العصر الجديد

في

الاجتماع والنقد والاخلاق والأدب

بقلم

محمد يوسف المدرك

الطبعه الأولي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

الى

الذين عرفوا الحق واتبعوه ، وأبصروا الهدى فاعتنقوه

الذين تنزهت نفوسهم من الاثم أنفة واستكباراً

والذين أعرضوا عن المنكر صادقين ونبذوا الرزائل متعففين

الذين هم لأعراضهم وفروجهم حافظون

~~والذين يعكفون~~ عن اللغو بأعراض المؤمنين وتجريح أتقية المؤمنات ، سجية طبعت عليها نفوسهم فكانوا حقاً من الطاهرين

أرفع رسالتي هذه ؟

المدرك

فهرست الكتاب

١ المتطور والتقاليد
١١ بين القديم والجديد
٣٣ فى الاخلاق ، أصل الفساد
٣٦ وصف المومس
٣٨ آلام المومس
٤١ حياة المومس
٤٣ شعور المومس
٤٥ المحرم
٤٧ الجمال
٤٩ الزواج
٥٠ من الجانى
٥٢ سرب الضلال
٥٤ الخطوة الاولى
٥٥ الحياء
٥٨ الوعود
٥٩ الحب
٦٣ حقه وباطله
٦٥ ضحية الحب
٧١ التعليم ضد الحب
٧٣ آلام العشق وقصص العاشقين
٦٧ الحب الشعري
٧٠ نابذوا الحب
٨٥ نجواهم
٨٧ فساد العائلة
٨٩ الزواج
٩١ الغرض منه
٩٢ اعتقادهم فى الزواج
٩٤ الثقة الروحية
٩٦ شقاء العائلات
٩٩ واجب الرجل
١٠٦ واجب المرأة
١١٦ كيف تتزوج
١٢٣ الوسط
١٢٥ دروس الزوج
١٢٩ اللذة اليتيمة
١٣٦ الخطبة

١٤٤ الطلاق
١٤٨ مجلس في قصص المتزوجين وقصة الزواج
١٦٠ حد الزنا فى غابر الازمان
١٦١ الآداب العامة ـ الادب
١٦٨ المسرح العام
١٧١ الاغاني والالحان
١٧٤ النقد
١٨٣ المعاملات
١٩٢ الحرية الشخصية
١٩٩ متاعب الحياة
٢٠٥ أيام وليالي الحظ
٢٢٦ التربية. التربية الحيوانية ومنشأها وغايتها
٢٣٤ التربية النفسية
٢٣٧ الارادة
٢٥٢ التربية المنزلية
٣٤٨ التراخي والشدة
٢٥١ التربية المدرسية

جدول الخطأ والصواب

نعتذر لحضرات القراء الكرام لما فرط منا من الاغلاط المطبعية التى قل أن يخلو منها كتاب ، وما دفعنا الي عمل هـذا الاستدراك إلا خشية أن يؤثر اهمال اصلاحها علي المعني فيشينه ولنا الامل الوطيد في أن القارىء الراغب في الوصول الى حقيقة الموضوع سيعني دون شك في تدراكها قبل البدء في قراءته وسبحان من لا يسها

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١	١٤	ممن عليه	ممن هى عليه
١١	٢	بها سلطان	بهـا من سلطان
٢٣	١٣	يججفونه	يجفونه
٣٦	٣	المأمون وصهياء	المأفون وصهباء
٤٤	٩	دليل	بدليل
٤٨	١٤	حسنا	حسناء
٥١	١	الزبد	الزبدة
٥٤	٧	أزهارها	إزهارها
٦١	١٨	الرحمن والأزرق	الرحمن الأزرق
٦٤	١٢	هو	هى
٨١	١٢	جو	جوى
١١٢	١٣	عذره	غدره
١٢٠	١	الكفأة	الكفاءة
١٤٥	٢	بقائها	بقائهما
١٥٦	١	جزاه	جزاها

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٢	٦	منصنعا	متصنعا
١٦٦	١٦	ذلك مشقة	ذلك من مشقة
١٧٥	٧	ألا أيها	يا أيها الرجل
٢٠٧	١٧	الهزال	الهزل
٢٤٤	١٥	صحفا	صفحا
٢٤٩	١٢	لا تعقب	لا تعقب
٢٤٩	١٨	فيخا	خفيا
٢٥٣	١٧	وشبه	فشبه

مقدمة

أقدم للقراء الكرام بحثا اجتماعيا أخلاقيا دفعني اليه حب الحقيقة وطلب الفضيلة مسترشدا فيما كتبت بالواقع الملموس والامر المشاهد وخلاصة أقوال المتكلمين وأعمال الباحثين ، وغاية ماأرجو من كل من يشرع في قراءة هذه الآراء ، أن يتفضل أولا بحفظ آرائه بعيدا عن فكره حتي لايكون تحيزه لرأيه أسبق الى تشويه الصواب والاستهانة بالصعب وله بعد أن يقرأه خالصا من كل ميل أن يحكم ويضع لنفسه ماشاء من النتائج والآراء . وانى قبل كل انسان ماأقدمت على كتابة حرف واحد الا وأنا خالص من جميع المذاهب والآراء ولهذا قد لاأرضي فيما كتبت الرجل أو المرأة ولكني مقتنع بأنى أرضيت الحقيقة وعلى الله المستعان ؟

محمد يوسف المدرك

التطور والتقاليد

لازلنا نرزح تحت أعباء كثير من التقاليد العادية والعادات البالية التي أورثتنا اياها غابر العصور وسالف الدهور وقد جر عليها البلى أذياله فرتقتها الخرافات ورقعتها المبتدعات فجاءت غير ما كانت تحمل اسما كان لمسمى لم يبق له أثر ، تزاحمت البدع حتي أزهقت الحق المتبع ، وزاعت الخرافة الى أن لابست الحقائق وطمست معالم اليقين

نعم ، ان العالم دائم التطور دائب على التغير فهو مافتيء يرتدي لكل حين حلة لم يسبق له ارتداؤها ولم ير من قبل متدثر بها ، وللزمان ولع شديد بتغيير أطواره وتبديل أحواله ، فارجع البصر على ماغبر من سنيه وانقضى من دهوره ، هل ترى إلا أشياء متناكرة وأحوالا متنافرة وأطواراً متناقضة ! حق لا يلابسه ريب ويقين لا يداخله شك ، فأين من عبدوا البحر وقدسوه ممن خاضوه وسخروه ! وأين من ألهوا العجل ورفعوه ممن اتخذوه مطية فركبوه ثم ذبحوه فأكلوه ، وأين من تزوج أخته حلالا ممن رغبه حراما حراما ، الى غير ذلك مما لا يحيط به حصر أو يخلو

منه زمن أو عصر

فالتغير سنة الدهر ومنهج الكون ، حتي انك لن ترى عادة أو عرفا رضيه الدهر حليفا أو اتخذه أليفا إلا إلى حين وأجل قليل ، كالانسان لم يك شيئاً ثم كان نطفة فعلقة فمضغة فخلق فسواه فجعله جنينا فوليداً فصديغا فرضيعاً ففطيما فحوشا فدارجا ف . . ف . . ف . . حتي الموت . ، أطوار عدة يتقلب فيها الانسان لا يرى فى طور كمثله في طور آخر بل لن تلائمه حال واحدة في طورين متعاقبين ، فالنظر مثلا الي ثيابه التي تنزعها عنه حاجة الابدان المتباينة فى كل حين وفصل . بالمثل كل ماحاطه من شراب وطعام ثم من حركة وتنفس وقعود ونهوض وديب ثم من كلام وعلوم وتفكير إلى غير ذلك من كل ماماس حياة الفرد الصحيح ، وهكذا الدهر يبلى عاداته ويبدل أهله وأخلاقه ويغير معالمه وهيئاته ، ولا يبعد أن يصير ما كان مذموما ممدوحا وما كان مندوبا مقدوحا مطروحا

إلا أن المتدبر البصير اذا ماتمعن لوح الماضي رأى ان هذا العالم فلك حائر بين قوتين تتجاذبانه وسلطتين تتنازعانه والحرب بينهما فيه سجال ، فاذا ما كانت احداهما فائزة مالت به الى مأواها فالى أسفل سافلين أو أعلا عليين وفى أحط الدركات أو أسمى الدرجات . حتي اذا مادار الزمان دورته وأصبح الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا اجتذبه الفائز الى يمته وجواره

فسعد أم شقاء !

وما هاتان القوتان الا : النفس والعقل ، أو الشر والخير ، أو الشيطان والايمان . فاذا كان العالم في تقدم وارتقاء فاعلم ان الايمان قد ساد والعقل قد غلب والخير قد حاز النصر المبين ، حتي اذا قارب العالم ذروة الكمال انبرى الشيطان فضل الانسان وطمس العقل بسجف البدع وهيأ له المنحدر بهرج الخرافات التي تخلب النفس وتثير الشهوات

وها هو التاريخ يحدثنا بأقوام بلغوا سنام الكمال وما لبثوا أن انحدروا هاويين مع ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم

والغريب أن دواعي الفشل والسقوط لا تتفشي في قوم الا من أقوي طبقاتها وأرفع هيئاتها ، وذلك بأن تشتغل بالعرض عن الجوهر فيشغلها الظاهر عن اللب وتحاول اذ ذاك التوفيق بين النفس والعقل (أو الهوي والواجب) فتغلبه على أمره وتسيره ، حينئذ تصدر عن هذه الهيئات فعال وأعمال لا تلبث العامة ان تأخذها عنها مخلفة الحقائق لا تصير لها ولا داعي اليها . وما أسمجه لو وجد ! .

تندفع العامة وراء هذه الأعمال الشهوية ضاربة بالحقائق والفضائل عرض الأفق مقتدين بتلك الفئة لمكانتها من العلم أو الجاه مثلا .

فالدولة العربية العظيمة التي بلغت مالم تبلغه أمة من أمم الارض قاطبة لم يقض على مجدها الشامخ إلا التعلق بالعرض وحب المظاهر الأمر الذي

أودي بحقائق العلم وفضائل الحق وبدلها بضروب من البدع والخرافات الواهية التي أتى بها قوم يحملون اسم العلماء ويتزيون بزي الفقهاء وليسوا على شيء ، بذلك كان القضاء على العلم بمن لهم هيئة العلماء فنفثوا الخرافة في العلم ولوثوا الحق بالبدع ولا مشاحة فى أننا نتعثر فى أذيال ماتركوا

* * *

ونحن لن نخرج عن كوننا جيل من أجيال هذا الكون المتقلب فينا مظهره الحالى وعلينا جلبابه العصري فكل ماتمسكنا به من عرف قديم أو عادة عتيقة كانت شبه رقعة بالية في ثوب جديد وخرقة عادية(١) في حلة غالية لأنا لانمسك من العادة الا أثرا لعبت به الاهواء وعبثت به أغراض الادعياء فلوثته بما لم يكن فيه أو بترته من خير ما كان فيه ا ولا نكاد نرى فى غيه أثراً من الرشد ، ولكننا رغم ذلك له تابعين وبحكم التقليد متأثرين منقادين يعز علينا أن ننبذ ماوجدنا عليه آباءنا الاولين دون تفكر أو تدقيق ، ولو حاولنا ذلك كان لتبريرشهواتنافنمسك بباطل ماتركوا لاوين عن الحق وجوهنا

واننا لنرى المهازل(٢) العديدة على مسرح الشوارع والطرقات العامة

---

(١) عادية قديمة

(٢) المهازل جمع مهزلة أي حادثة هزلية

من انتهاك حرمة كل عفاف وألم سياج كل شرف ونبذ كرامة كل عرض أمور طفح بها الكيل فأغرقت الطرقات تنعى الينا السرائر والمكنونات فكم من حادث زرفت لهامدامع الفضيلة وأنت من ألمها الانسانية الجريح وكم من مأساة تمزقت لها أحشاء الشرف بخنجر الرزيلة فبكت لها عيون الأعراض بمدامع الشكوى والاستغاثة دون آبه لأنينها الذي يذيب القلب ولو من حديد ويلين الفؤاد ولو كان من صخر شديد .

والغريب أن لا تبدر هذه الا من قوم كانوا أحق بأن يأتم الناس بهم ويأتسوا (١) بأعمالهم الكنهم والحسرة ملء قلوبنا قد حادوا عن الطريق السوي فنبذوا كل قديم حتي الفضائل والأخلاق تعلقا بكل جديد من رزيلة أو بدعة خرافية اتباعا لأهوائهم واسترسالا مع نفوسهم ، فأصبحوا وهم أحوج من البهم الغمر الى مرشد يعظهم لعلهم يذكرون

قالوا إنا لفي عصر جديد لا تربطنا بسالف الايام مشابهة في الأحلام أو العلوم وما لدينا من خير عميم كان السلف به جاهلين ، وقد حصلنا على مالم يحصلوا ، وعلمنا مالم يعلموا فنحن في حل من عدم تقليدهما كانوا يعملون ، لا يبغون من وراء ذلك الا إرضاء نفوسهم والنفس أمارة بالسوء ، فاذا ماوجدوا فيما خلف السلف لذة أو سبيلا اليها انكفئوا عليها ولو كانوا

---

(١) أى يتخذونهم أسوة حسنة

فى ذلك ضالين ، يعيثون فى الارض فساداضاربين الحق بشقشقة ألسنتهم حتي اذا قصرت حجتهم قالوا إنا لمتبعون ! . والله يعلم أنهم لمبتدعون حالفوا الافك(١)وكانوا له ناصرين وكان عصرهم الجديدهذاعصر الشيطان وهم له موالون ! فياقومنا أفيقوا وانظروا الى أي سبيل أنتم مسوقون ، وقد ضرب الشيطان على قلوبكم وأنتم له راضخون ! . فها كلمة صدق من أخيكم مخلصة لوجه الحق ابتغاء التذكرة لمن كان يستحي ويرجو أن يكون مع الراشدين لعله يزدجر عن الاثم وصحبة الشيطان الرجيم

لقد ألبس عليكم الشيطان أموركم فأخرجكم من دياركم الى مراتع الدعارة وحبب اليكم الفسوق فما زلتم تتبعون خطواته وللخمر تكرعون(٢) وللميسر عليكم سلطان مبين ، وللفواحش مازلتم ترتكبون ومامن فاحشة الا ولها اثمها وخطرها الجسيم ينزل بكم وكأنكم لاتشعرون ! فهل جنون الخمر عليكم هين أم أنتم له ترجون ! وماذا يعجبكم من الميسر إلا الافلاس والتنابذ وكراهية بعضكم بعضا ، وما فى الفواحش من خير قط بل كلها رجس من عمل الشيطان لا يرضي بها ويأوضارها(٣) من له عقل سليم

* * *

---

(١) الافك هو الكذب والضلال

(٢) تكرعون أي تشربون ولا يقال يكرع الا اذا شرب بفيه مباشرة دون وساطة يده أو كأس كما تشرب البهائم

(٣) أوضار: أوساخ

إنا لانرجو التمسك بكل قديم وقد دبت فيه روح الخرافة وسرت اليه الأهواء. ولا نميل الى التعلق بكل جديد لمجرد كونه جديداً حتى لو كان بدعة شيطانية فاسدة ! ولكننا نبتغي سبيل الرشد القويم وصراط الحق المستقيم . ولا مشاحة أن الفضائل والخيرات مابرحت مع الزمن مذ خلقه الله وما كان آدم عليه السلام الا أول هاتف بها ثم تعاقبت فى بنيه من بعده تتنازعها القوة طورا والضعف آخر ، ويتبع قوتها رقي هذا العالم وتقدمه نحو الكمال والعكس بالعكس ، فكل محاولة منا في نبذ تلك المحامد أو التخلى عنها بعكسها هدما لعمار هذا الكون ، وقد ظلت سياجه ضد عاديات الفناء ورائده إلى سبيل التقدم والارتقاء الى هذا الحين

* * *

اني نظرت فلم أجد بيتا لم تلوثه البدع وتندفع في مساربه الخرافات والأوهام ، متأصلة في النفوس لها قوة المعتقدات وكأن ليس هناك من حق !

ترى الناس سراعا يلبون دعوة الشيطان وقل من يبطىء إذا دعاه خصوصا اذا لم يستند على قوة من الحق .

وهناك الفضيلة المكلومة التي عملوا على أن يدموا جراحها بآثامهم التي هم عليها دائبون . فزادوها ألما على ألم ، وقل لها النصير !

ثم هم(١) على قلتهم انقسموا على بعضهم وتشعبوا وسط الساحة متخاذلين قد شغلهم التقادح عن مواصلة السبيل ، حتي قام نفر من دعاة الشيطان التصق كل فريق منهم بفريق من المصلحين وظلوا ينادون معهم بما ينادي هم به حتي كأنهم من المصلحين ! ثم مالبثوا أن انقلبوا على أعقابهم مع أهوائهم ناكصين ، فضلوا وأضلوا الناس الا من عصم ربك وكان من الراشدين ، يطنطنون بنغمة ساحرة المظهر سامة المخبر تصدع الرأس ولا تهدي السبيل

فمن دعواهم التي بها يصخبون أن المرأة بلاء على الرجل في الدنيا والآخرة وهي في نظرهم سبب كل بلاء وشقاء وجد في هذا العالم !!! وهذه دعوة حق عليها الفشل فهم يأخذون بالجرم من لايدفع أو يشفع ويطلقون من ارتكب الاثم وعنه لم يقلع فكان مثلهم في ذلك . مثل حاكم قدم عليه اثنان يحتكمان فى مال اغتصبه الأول من الثاني باعترافهما ، فحكم ذلك الحاكم باجرام الثاني وبراءة الأول لأنه لم يقدم علي فعلته إلا مدفوعا بطعمه الذي أثاره فيه منظر المال فاغتصبه ، وحق علي الثاني العقاب لحمله مالا يثير الأطماع فيه!

فهل يروقكم هذا الحكم وهذا القانون ؟! تلك هي حال الرجل مع المرأة ، إذ يعتدي عليها بما يعتدى ويسلبها مايسلب ولا يدان بشيء لأن

---

(١) هم : أى نصراء الفضيلة

طمعه دفعه الى ذلك ولا قبل له على مقاومة ذلك الطمع أما هى فمجرمة آثمة لأنها امرأة حملت للرجال فيها مطمعاً !!!

ومن دعواهم أن زعموا العلم والحياء لا يتفقان! (١) ومن لا حياء له لا أدب له ومن لا أدب له لا خلاق له ومن لا خلاق له أتى كل الدنايا وارتكب أسفل الموبقات دون رادع من علم أو زاجر من حياء!! قل هل تستوي الظلمات والنور حتي يجتمع العلم والضلال وما العلم إلا رائد الكمال ونبراس الهدى ومنارة العرفان لاغني له عن حميد الخصال وشريف الخلال ولكنهم زعموا العلم فيما لا علم فيه فأعماهم الشيطان وساروا علي غير هدى يتخبطون

الى غير ذلك من أمور كثيرة ينعقون بها وما هى إلا الشر المستطير والعجيب المزري أن كل ماصادف من نفوسنا هوى ولو من شر اتبعناه وتمادينا فيه وسايرناه حتي يستحكم فى نفوسنا تطبعاً فنستره باسم خلاب ونعته باجزل الأوصاف حتي نصوره خيراً صميماً ، وهذا أشد بلاء علي أخلاقنا وأكبر فساداً في نفوسنا يفتك بنا فتكاً ذريعاً ، لأن البدعة الفاسدة تصادف في نفوسنا دائما مرعى خصيباً وتجد لها من أحلامنا معقلا أمينا فتلابس معتقداتنا وتطغو عليها وتشغل من نفوسنا أغلبها ومن قلوبنا جلها حتي تتأصل بها كالعقيدة الراسخة وقد تتخذ اسمها غالبا .

---

(١) فانك لاتكاد تظفر بمن حصل له نصيب من مبادىء التعليم وقد حفظ قطرة من ماء وجهه وحيائه سواء فى ذلك الفتى والفتاة

وتلك البدع القديمة والخرافات السقيمة ذات سلطان كبير على نفوسنا جميعا حتي نرى خلافها ممضا لنفوسنا مؤلما لقلوبنا ، ومن أصعب الأمور علي المرء قبول ماخالف رأيه وعادته ولو كان حقا، لهذا كان كثير من الناس لا يميلون لقراءة ماخالف آراءهم كأنهم لعدم يقينهم من عقيدتهم فى شك من مقدرتها على الثبات أمام رأى مخالف لآرائهم فهم يسايرون الواقع ويتخذونه حجتهم ولو خالف الواقع الحقيقة مع أن الحقيقة غاية كل عامل وحصاد كل غاية. هى كعبة الباحثين ونشدة المجتهدين . ركيزة العلم وأساس العمران. طلبها من عاش ويطلبها من سيعيش . أما الواقع فأمواج لجة الظروف المرتطمة بأعاصير وانواء الحوادث فقد يوافق الحقيقة مرة وينبو (١) عنها المرار . وما الانبياء والمرسلون والابطال والمجاهدون الا طلاب الحقيقة وناشري لوائها بين الناس . ولذا كانت الجماعات في تطورها اما الى النمو والارتقاء ان لابست تقاليدها الحقيقة أو الدمور والفناء ان سايرت تقاليدها الواقع استسلاماً . ا « إن يتبعون إلا الظن وان الظن لا يغني عن الحق شيئاً »

---

(١) ينبو : يعرض ويبتعد

بين القديم والجديد

« إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها سلطان »
« إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس »

لا يكاد يخلو بيت من بيوت أي طبقة من طبقاتنا من أحد رأيين متناقضين . لهما رغم تنافرهما وتباعدهما أثر كبير في الحياة العائلية :

فهناك الذين لا يزالون ينظرون إلى السلف كأنه قد فتح لهم مغاليق الحكمة الأزلية وانكشف لهم مكنونات العلوم وسطعت بين قلوبهم أنوار العرفان واليقين وأتوا كل ما أتوه من علم فسيح ورأي صحيح وعقل صحيح فما قالوا إلا الحكم البالغة والكلام الصادقة ولو قالوا ومن قال هذا أمرهم وذو حالهم حق على خلفهم وأحفادهم ومن بعدهم أن يتبعوا خطواتهم ويسلكوا سبيلهم لعلهم بهم يلحقون ومن نور هداهم يقتبسون وحرام عليهم أن يحيدوا قيد أنملة عن الأثر الذي خلفوه ورائهم والنهج الذي نهجوه وسنوه لمن بعدهم

وأصحاب هذا الرأي هم جدي وأجدادكم وقد يكونون من أبي وآبائكم أيضاً . فالكلام عن رأيهم يجب أن أحافظ على آداب البنوة وإن

عدوني عاصيا ثم كافرا . وما أسهل أن يرموني بالكفر والالحاد دأبهم مع كل من يحاول معرفة الغث من الثمين مما يقولون ويعملون ولو لم يكن له أدنى مساس بالدين !؟

فيا أجدادي المحترمين وآبائي الفاضلين : اني أقدس معكم ماتقدسون من أعمال وأقوال آبائكم الأولين الى حد أن تكون مقبولة لها الى العقل طريق ودليل وثيق . تنفع البشر والانسانية داعية الى الرشد والتقدم مع الناهضين لاتفت فى عضد العاملين والمجاهدين بخرافة ليس لها من العقل ضمين . لأن السلف طيب الله ثراهم كان منهم العلماء والحكماء كما كثر بينهم الأدعياء(١) والمنافقون الأشقياء الذين لم يدعوا علما حتي لوثوه بباطل أوهامهم وفاسد افتراءاتهم شأنهم فى كل الأزمان وهم الذين لم تسلم من أكاذيبهم حرمة الخلفاء ولا مقام الملوك والأمراء . فكم سودوا من صحف كانت أدعى الى السخرية بعظماء الرجال وكبار الأبطال ! وانما الذى يؤلم القلوب ويدمى العيون هو تأثر العقول بهذه الخرافات والسخافات حتي كانت مضرب الأمثال وموضع الاقتداء يؤخذ عنها وما بها إلا السيئة تلو السيئة والمذمة تعقب المذمة والقرية السافلة تقدح القرية الباطلة ! (فاللهم الغوث)

أما ما لقيت هذه الترهات(٢) الخرافية من رواج وذيوع وبقاء مع الزمن

---

(١) الادعياء جمع دعي وهو من ادعى ما ليس فيه فخاض فيما لا يعرف

(٢) هى الدعاوي الفاسدة الواهية السخيفة الباطلة الحقيرة

الى هذا الحين فيشهد على أن النفس أميل الى الشر وأرغب فى الفساد . ولا يخفى أن ضياع عز هؤلاء السابقين الأولين ذلك العز الأقعس وانهيار مجدهم ذلك المجد الأنفس مسبب عن الخرافة السقيمة التي قضت على الحق فكانت قضاء على أهلها ونحاول نحن التشبث بها !!!

نعم ان العادة صعبة الاقتلاع والمألوف ولو خالف الحق أسهل في الاتباع ! ولكن أليس من الخرق(١) الأنكر أن نستلين عادة مألوفة فنتبع خرافة معروفة أتباعا لقوم خاطئين قد لاقوا جزاء خطئهم فكانوا من الهالكين البائدين !

* * *

ان لكل زمان علماء مجاهدين مجتهدين لا يغمط(٢) حقهم الامكابر. وهؤلاء القوم هم كواكب الهدى ومنارات العرفان . وهم كعادتهم قليلو العدد والدهر ضنين بهم شحيح بأمثالهم . يندر وجودهم في كل الأزمان فرقتهم الأيام كما يفرق الليل بين أضواء النهار . لكن أعمالهم متواصلة وعلومهم متتابعة متوافقة يتم كل مابدأ به سابقه لهذا يبدأ العالم بدرس نتائج سابقيه وأعمالهم فيتم مالم يتم ويدعم ماتنقصه الحجة ويحسن مايقبل

---

(١) الخرق نقص في القوي المفكرة

(٢) غمط أى لا يشكر أو ينكر

التحسين . على هذا النمط سار العالم من الوجهة العلمية .

وأنى وجد أحد هؤلاء العلماء زهى العصر وتقدم نحو الكمال. وتستمر العصور من بعده فى الارتقاء ان ظلت على سنته محافظة ولآثاره واعية . غير أنه لا يكاد يغيب نجمه الساطع من فلك الحياة حتي تتهجم على أقواله المأولون والمفسرون ومنهم من يعلم ومنهم من لا يعلم ـ وما أكثرهم ـ فيخرجون أعماله الطاهرة النقية ملوثة بكل إفك وبهتان . وماهى الا جولة من الدهر حتي يأتي قوم يضربون بالأصل عرض الأفق أولا يحصلون عليه فيحملون هذه التآويل لمرض في قلوبهم ! إذ يجدون فيها ما يبررون به أهواءهم ومطامعهم وطريق لذائذهم وهؤلاء هم الذين يقضون علي نور العرفان واليقين قضاء مبرما تبقي الاجيال من بعدهم تتعثر فيه حقبا عديدة . وما نحن الا احدي هذه الاجيال

وهؤلاء المأولون والمفسرون ومعهم الراوون والناقلون هم من نتكلم عنهم لأنا لا نتصور للسادة العلماء الأجلاء من خطل وقد حفظهم الله . وقد قال ابن خلدون فى مقدمته قولا عن الناقلين فى علم التاريخ وحقا على كل الراوين أن يقرع آذانهم قال :

« ان الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة »
« وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانساني »
« ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر منها بالذاهب فربما لم يؤمن »

« فيها من العثور ومذلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيرا ماوقع »
« للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع »
« لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو ثمينا لم يعرضوها على أصولها »
« ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على »
« طبائع الكائنات وتحكيم النظر البصير في الأخبار . فضلوا عن الحق »
« وتاهوا في بيداء الوهم والغلط . اه »

وعلى هذا الشكل من الخطل وصلت إلينا الخرافات الواهية والآراء الداغلة (١) فأخذناه لأنها عن السلف وصلتنا وهذا من خطئنا لأن الواجب أن ننشد الحق أينما كان في تالد الأولين أو طارف المحدثين

وإنا لموردون بعض الآراء المنقولة الينا في بعض العلوم وقد قامت الأدلة الملمغة على فسادها ولا ندري ان كانت حرفت الى ذلك أو وضعت كذلك

في الجغرافيا والفلك

« ذهب وهب بن منبه الى أن الشمس على عجلة لها ثلثمائة وستون »
« عروة وقد تعلق بكل عروة ملك . يجرونها في السماء ودونها البحر »
« المسجور (٢) في موج مكفوف كأنه جبل ممدود في الهواء . ولو بدت »

---

(١) الفاسدة

(٢) المسجور أي الملآن الطافح

« الشمس من ذلك البحر لأحرقت ماعلي وجه الارض من شيء حتي »
« الجبال والصخور . اه »

* * *

« روي عن كعب الأحبار انه قال: خلق الله القمر من نور والشمس »
« من نار . »

* * *

« قال بعض الذين تكلموا عن الكواكب أنها معلقة في السماء »
« بأيدى الملائكة »

* * *

« الرعد ملك موكل بالسحاب معه كر(١) من حديد يسوقه »
« من بلد الي بلد كما يسوق الراعى ابله فكلما خالفه سحاب صاح به »
« فزجره فالذى يسمع هو صوت الملك. أه »

* * *

« الارض : يقال أنها كانت على ماء والماء علي صخرة والصخرة على »
« سنام ثور والثور علي كمكم (٢) والكمكم علي ظهر حوت والحوت على »
ماء والماء على ريح والريح على حجاب ظلمة والظلمة على الثرى والي »

---

(١) الكر هو الحبل

(٢) الكمكم : هو الكمكم لانى لم اهتد الى معرفته

«الثرى انقطع علم المخلوقين .» «نهاية الأرب»

وقد اثبتت جميع العلوم أن هذه الاقوال ليس لها أدنى نصيب من الصحة .

في التاريخ

«مدينة إرم ذات العماد . وكان سبب عمارتها شداد بن عاد بن إرم» «لما سمع وصف الجنة سولت له نفسه أن يبني مثلها . فبني مدينة بين» «حضرموت وصنعاء طولها اثني عشر فرسخا وعرضها مثل ذلك. وأحاط» «بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع غشاه بصفائح الفضة الموهة(١) بالذهب» «فلا يدركه البصر اذا أشرق عليه الشمس . وبني داخلها مائة الف قصر» «(بعدد رؤساء اهل مملكته) من الذهب والفضة وكذلك جزوع سقوفها» «وأعمدتها وأجري فى وسطها نهرا صفح أرضه بالذهب وجعل على» «حافتيه أنواع الجواهر واليواقيت بدلا من الحصباء وألقى فيه المسك» «والعنبر بدلا من الحمأة . وفرع منه جداول الى تلك القصور والمنازل» «وغرس على شطوطها من الاشجار ما كان لزهره عرف طيب ورائحة» ذكية !!!

«ويزعمون فوق ذلك أن رجلا وقع فيها فى عهد معاوية

---

(١) الموهة : المطلية

مع ان هذه الاوصاف التي تتخطى أبعد خيال لا يؤيدها شيء من طبائع الارض هناك من وجود المعادن الكافية لاقامة قصر واحد على هذا المنوال وقد قال ابن خلدون فى مقدمته عن هذه الأكذوبة مافيه الكفاية وهذا نصه : ـ «وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها هى «فى وسط اليمن ومازال عمرانه متعاقبا والأدلاء تقص(١) طرقه من» «كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين» «ولا من الأمم. ولو قالوا أنها درست (٢) فيما درس من الآثار أشبه الا» «ان ظاهر كلامهم أنها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان» «قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم الى أنها غائبة وانما يعثر» «عليها أهل الرياضة والسحر مزاعم كلها أشبه بالخرافات . أه »

* * *

الأهرام :

« يقال أن هرمس المثلث بالحكمة (وهو الذي يسميه العبرانيون » « أخنخ ، وهو ادريس عليه السلام) استدل من احوال » «الكواكب على كون الطوفان ، فامر ببناء الاهرام وايداعها »

---

(١) تقص طرقه أي تتبع طرقه أو تجوبها

(٢) درست امحت وباد أثرها

« الأموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه الذهاب والدثور » . أه

نهاية الارب

فأين ادريس عليه السلام من خوفو وأين خشية الطوفان من الجيل الرابع من مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام(١)، اللهم ان كل هذا يشهد على أن كثيراً مما وصلنا قد أملاه الوهم وكتبته الأهواء دون تحقيق أو استناد، والتاريخ مفعم بأمثال هذه الأراجيف وعلى الأخص القصص الدينية التي تتكلم عن الاولياء بما لا يدخل عقلا سليما، الا أن العامة تضطر أن تأخذها قضية مسلما بصحتها خشية الالحاد ولأنهم يميلون بسذاجتهم الى الايمان بكل ما ينسب للسادة الاولياء ولو خرافة واهية . فمثلا تراهم يروون عن السيد أحمد البدوي من الخرافات والأكاذيب ما تشمئز منه النفوس ويتنافر مع العقل والكرامة ، ولو أردت زجرهم عن ذلك كنت فى نظرهم ملحداً والعياذ بالله ، لأن هناك شرذمة من حامل العمائم فوق رؤسهم مازالوا يروجون أمثال هذه السخافات إذ بها يستدرون ضرع العامة ويملكون ناصية الجيوب

ومما نقلناه عن السلف : النذور للأولياء وتقديمها لهم وهذه النذور

---

(١) من المعروف أن الطوفان كان على عهد نوح عليه السلام وهو المعروف بالطوفان الاكبر

هي القرابين بعينها،ولا قربان أو نذر إلا لله الواحد المعبود ، فيجب أن تكون لله خالصة ثم يوهب ثوابها للولى المقصود ، الا أن هذا الرأي يؤلم السادة لابسي العمائم كثيرا فلا يحبونه ، وما هؤلاء السادة ألاحاملي لواء الخرافة ناشرى رواق الأوهام يحضون العامة على التضرع للولى المقبور (ولا تضرع إلا لله) حتي لثمت العامة القبور وسجدت لها بارشادهم ! ! ! فاللهم احفظ علينا ديننا وقنا شر كهنة قدماء المصريين وما كانوا يفعلون ! (١)

إلى غير ذلك من أمور كثيرة تنبو عن الحصر ولا يجمعها الذكر ، قد قاسمت جميع حركاتنا وسكناتنا ومعتقداتنا وأتت على أغلبها ، ومما أحب أن أشير اليه هنا أيضاً عبارة يزعمون أنها حكم لغوي قالت به العلماء وأرى أني لا أستطيع قبوله ، نصها : خطأ مشهور خير من صواب مهجور ! مفاضلة غريبة جداً في بابها إذ كيف يفضل الخطأ الصواب مهما أضيف اليه من النعوت والأوصاف ، ومن الغريب أيضاً أن تكون الشهرة ميزان ومعيار الأفضلية وليس هناك من شك فى أن عامة كل عصر أضعاف خاصته الذين يعنون بالصواب ويطهرونه من الخطأ ، ثم ان من الخطر الداهم على اللغة أن تخضع خاصتها لخطأ عامتها اذ لا تدور

(١) كان قدماء المصريون يعتقدون بوحدانية الله ، ثم وضعوا الاصنام رموزاً وهيا كلا غير أنهم أكثروا من تعظيمها حتى اعتقدت العامة بألوهية الاصنام نفسها وإن بقى الكهنة عالمون بالسر الديني وستروه حفظاً لسلطتهم واستبقاء لسيطرتهم علي عقول العامة !

رحى الزمن مدة الا وتبدلت اللغة بلغة أخري من التحريف والخطأ وان قالوا أن هذا الحكم لعبارات حصرت لا تقبل الزيادة قلت أن هذا أغرب فهو التمادي فى الباطل بعد أن انبلج نور الحق والصواب

فهذه العبارة لا يصح نسبتها الى العلماء لأنها سبة لهم انما هي من أقوال ذي وجاهة لا علم عنده أو من مفتريات دعي لئيم يصعب على نفسه الرجوع الى الحق وبمثل ذلك وصلتنا كثيراً من الآراء والعادات المرذولة التي لا تقرها العقول .

***

ثم هناك الذين ينظرون الى كل جديد بشوق وشغف ، ويميلون الى كل طريف ميل المحب الدنف ، فيتهالكون على الحديث باقبال ولهف ، حتي تراهم يعتنقون البدعة سراعاً ولو كان فى ذلك للفضيلة ضياعاً ! فلا ترو خبيراً أو تمعن بصيراً حتي لا يدركون ما فيها من جدوة أو ما بها من نقمة ، ولربما عملوا بالبدعة الفاسدة التي تضرهم فيستهدفون لخطارها ، خانعين لبلائها وهم يتأففون (١) لألمها وهم عليها دائبون ، وكأنه ليس لهم منها من محيص ! ولا يبعد أن تكون تليدة (٢) عليهم لم تولد لديهم ، نقلها اليهم شريد وأتاهم بها نازح طريد فحملوها عنه تقليداً لتقليد ! فهم قوم افتتنوا

---

(١) يتأففون أى يقولون أف أف.

(٢) ولدت في ديار غير ديارهم ونقلت اليهم

بالجري وراء كل غريب جديد أوله اسم الجديد وعمره دهر مديد ، فلقد خاصموا القديم واستهجنوه وعابوا الغابر واستقبحوه ولكنهم جهلوه ولم يعرفوه ، فقصرت خصومتهم على الاسم فنفروا منه أينما وجدوه ! فلو أطلقته على ابن الغد لكرهوه ، فالقدم عار وسبة يودون لو يطهرون منه كل حركاتهم وسكناتهم وبيوتهم وما فيها ، ألم تر كيف يسرعون الي (المودة) من كل شيء من بناء وثياب ومشي وكلام وجلوس وقيام ، ا ثم يرسلون الى (الأنتيكة) من كل شيء نظارة استهزاء وسخرية ويتباعدون عنه كل البعد كأنه بلاء داهم ووباء حائم يفرون منه فرارا ويطلبون بعده ليلا ونهارا .

جروا وراء مذهبهم هذا أو ساقهم شيطان هذه البدعة الى أبعد مداها فودوا أن لا يروا على سطح الارض عتيقاً أو قديماً ولو كان شخص أبيهم أو جدهم لأنه فى نظرهم (دقة مصطفاوي) وهو طبعاً (مودة قديمة) أما عقلة فمن (بتوع زمان المغفلين الأنتيكة) فلم تصقله المدنية أو تهذبه الحضارة العصرية ، وأغلب أصحاب هذا الرأى هم الفتية والفتيات من كل حدث السن غرير الادراك حتي يظنوا أنفسهم علي علم و«ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى»

تراهم كل يوم في زي جديد وطرز حديث لا يتغون من ورائه

منفعة أو مصلحة إنما (مودة) جديدة قد تضر وتؤلم وتمرض وتؤذي ماديا وأدبيا ولكنهم لها يقدسون ولغيرها يحتقرون ! (لأنها مودة)

* * *

ولو قصرت تلك الدعاية على طراز الاثواب لقلنا افتتان غرير بشبابه وحسنه وأهابه لا يلبس أن تتركه الايام ويزوي غصن شبابه الرطيب حتي يمل التقمش والتجمل وتجبره الظروف والاحوال على اختيار ما يليق بحاجة بدنه ليقيه ويحميه الا أن الخطب تخطي الاشكال والهيئات الى الاقوال والمعتقدات وسرت تلك اللوثة الفاسدة من الازياء الى الآراء ، فأصبح المحدثون ينظرون الى قديم الآراء نظرة استهجان واستخفاف حتي تهجموا على أقوال الراسخين والثقاة فعابوا الفضائل واستقبحوا الكمال ونبذوا الحقائق وأعرضوا عن البر والخيرات ليس إلا لأنها قديمة من مخلفات السلف حتي انهم يعيرون من تعلق بأهداب الفضائل بينهم ويجهونه ، أما ترى كيف يضحكون ممن يصلي بينهم ويقيم شعائر دينه ! ويتهكمون عليه وبألسنة حداد يسلقونه كأنه أتى أمراً إدا ، وآخر مافي جعبة سبابهم أن يرمونه (بالولاية) يظنونها عاراً عليه أو أمراً ددا (١) وما يلقاها الا الذين شمروا لها كدا . فكم من فتاة رمينها أخواتها بالجمود والتأخر لعفتها وكمالها وتشبثها بظاهر الخصال

---

(١) لعبا

وشريف الفعال وطيب الاقوال ، ولكم سخرن من حياتها وهزئن من خفرها لما فى ذلك على زعمهن من منافرة طلاء المدنيه الكاذبة الموهومة

فبئس تلك المدنية التي تمحوا الفضائل من نفوس أهلها ولا حبذا ذلك الرقي والتحضر الداعى الى الفسوق والرذائل الحاض على الفجور والآثام !

ألا إن المدنية لبراء مما يلصقونه بها وينسبونه اليها . فما كانت المدنيه مدنية الا لنهجها بالعالم نهج التقدم والارتقاء على معراج الفضل وسنة الكمال ولن يتفق هذا وما يقولون ويعملون فقد وهموا أن المدنية أمر حديث طارىء على هذا الكون جهلا وضلالا إلا أنها عريقه في القدم مع هذا العالم القديم وها صفحات التاريخ تنبيك أن مدنيات العالم كلها مذ دب على سطح الارض انسان متشابهة متقاربة تدور حول محور ثابت فارجع البصر الى مدينة قدماء المصريين وعلاقتها بمدينة بابل وآشور وصور ومقدونيا ثم انظر الى مدينة الرومان والفرس والعرب والاغريق ومدينات أوروبا الحديثة فكلها ترجع الى بعضها بعضاً اذ ليست المدنية يا حضرات الرشقاء الظرفاء بالحديث الطريف أو الطراز الجديد انما هى اتباع أرقي السنن العقلية المؤدية الى نمو الجنس البشري وتمتعه بأتم رفاهية ورخاء لا ترف وشهوة وبهاء. علي ذلك ليس المتمدين الذي اتخذ من حلية الظاهر أحدثها استعمالا اذا سلك مع ما هو فيه من زي

طباع الوحوش والبهائم وصفات الحشرات السامة ، فهذا متأخر دون شك سافل ولا ريب منحط فى أسفل الدركات ، لأن المدنية مدنية أخلاق وآراء قبل أن تبدو على الظاهر والأزياء ، ولاقياس بالاخيرة على التقدم أو التقهقر ، فلو وجد قروى مصري أو زنجى سوداني وآخر ممن يسكنون المدن والحواضر قد تطربش وتقمط بثياب أفرنجية ليس لنا أن نحكم على الاول بالوحشية والثانى بالمدنية لمجرد المظهر اذ لا يبعد - وهذا كثير الوقوع - أن يكون الاول على حقارة مظهرة أرقى بمراحل ومراحل من ذلك الشخص صاحب المظهر المدنى ، ولكنا بلينا بتصديق المظهر واحترام الهيئة الخارجية وهذا أمر شائع فينا لا يكاد يختلف فيه الجاهل والمتعلم (من متعلمينا) ، حتي تري ان الابن يستنكف رفقة أبيه لأنه فى غير ثياب التمدن !!! وليس التمدين بقاصر فى عرفهم على الازياء بل هناك فعال وأعمال ان لم يأتها الفرد منهم كان في نظرهم متأخرا . وكل هذه الفعال آثام ورذائل منكرة لا يسعنا ذكرها ولا نريد أن نسجل بقلمنا بعضها في صحيفة شباب مصر الناهض !! ويكفيك نظرة واحدة الى حياة ذلك الوسط الملقب نفسه بوسط المتمدنين (المودة) لتعلم تمام العلم أنهم على غير هدى سائرون ، فتعالوا انظروا الى أى دركة تحطون أنفسكم ياأولى الألباب!!!

ان الاخلاق التي هى أول ركن من أركان هذا العمران هي أيضا

أدق ميزان لرقي أو دمور الحياة الاجتماعية، فان أردنا الحكم على أمة استطعنا ذلك بنظرة دقيقة الي أخلاقها الاجتماعية

انما الأمم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

واما اخلاقنا التي تزداد كل يوم سوءا على سوء حتي صاح كل امرىء صيحة الفزع لما آلت اليه حالنا وما هي هاوية اليه ، فانك لتسمع أنات الناس من تدهور نا الاخلاقى وتألمهم وشكاتهم من انحطاطنا الاجتماعى في كل مكان ومن كل شخص ومن المرتكبين وذلك لانهم يتألمون مما يعملون إنما هم مندفعون في تيار جارف من المزاعم الموهومة ، وكم طنطن بذلك بعض الصحف لكنها طنطنة كانت شبه أنة المحموم أو بكاء المكلوم وليس فى ذلك ما يدفع الأذي أو يكشف الغمة

فآفة ذلك أنا اتخذنا لنا مثلا أعلى (١) ليس بيننا وبينه أدنى مشابهة فى

---

(١) المثل الاعلى : أن لكل إنسان آمالا في هذه الحياة يسعى اليها ويرجو تحقيقها ، وهذه الآمال أما خيالا من بنات خياله كونها من جمع بعض صفات ظن فيها الحسن والكمال وأما تنحصر بالشبه بأحد الاشخاص الذين صادفوه فاستحوذوا علي إعجابه وغاية هذه الآمال هو ما يسمونه بالمثل الاعلي . وليس المثل الاعلي لفرد من الناس ثابت دائما فى جميع أحواله وتطوراته بل أن البعد بينه وبين مثله ثابت لا يتغير تقريباً لهذا لا ينفك الانسان يجري وراء المثل والمثل يجري أمامه بسرعة متعادلة وتفسير ذلك أن الانسان وقد وضع لنفسه خطة فى حياته أى اتخذ لنفسه مثلا وسار إليه ، ترى أن موضع المثل عند أفق بصيرته

الأحوال والظروف فأخطأنا اختيار ذلك المثل ثم كنا له مقلدين لاعنه ناقلين ، أى كان همنا اقتفاء أثرهم الظاهر واتباع حركاتهم الفردية الشكلية وفيهم دون ريب الغث والثمين والمليح والقبيح لأن بين أفراد ذلك المثل من هو صالح ومن هو طالح ومن هو زكى ومن هو شقي الا أننا أحصبنا (١) فى تقليدهم ومازال بنفوسنا أثر من الخرافة والاوهام التي غرستها فينا التربية المنزلية الأولى فكان ذلك ادعي الي ارتباك واضطراب بين القديم العالق فى نفوسنا والجديد الذى تدفعنا اليه شهواتنا واهواؤنا لأنا لم نبغ عند تقليدنا اتباع الأصلح وما ينفع انما أخذنا ماوقعت عليه أبصارنا برمته دفعة ضر أو أفاد ، فكنا كمن يحمل اثقالا لا يدرى أفيها شرا له ام رشدا ، فمن ذلك ان يزعم القوم أن شرب الخمر من التمدن ودليلا على الرقي والتحضر لانهم رأوا الغربيين وهم مثلهم الاعلى يحتسونها فشربوها مثلهم وزادوا عليهم ليلحقوا بهم ، وما دروا هؤلاء التعساء ان الغربي ان تجرع الخمر فلضرورة ليست لدينا من قوارص البرد ولوافح القر ، ثم انهم

وخياله فكلما اقترب اليه أمتد أمامه الافق ولازم المثل دائرة الافق دائما ، لان المرء إذا خطا إلي مثله خطوة واحدة إمتد نظره الي ماهو أسمي من أفقه بخطوة واحدة فكما أن الافق لا يدرك وأن اختلف بعده عند الناس حسب قوة نظرهم وضعفه كذا المثل لا يدرك وإن إختلف عند الناس حسب إختلاف آمالهم وأهوائهم .

١) اسرعنا فى العدو حتى تطاير الحصي .

أى الغربيين لم يتخذوا الخمر لهرا أو لعبا انما شربوها دفعا ومقاومة لبرودة طقسهم فليس لنا مثل عذرهم هذا لتبرير تجرعها ، واننا فى اتباعهم وتقليدهم الاعمى كنا ولا شك ساعين الى اضرار ابداننا لما تسببه الخمر من افساد الدم الحار ، هذا ونفس ازياءنا الغربية التي أرتديناها أيضا حبا في التقليد لاتلائم جو بلادنا وأيام الحر ومايلاقيه الفرد منا خير دليل ، ومع هذا فقد أبوا المتفرنجون منا الا ان يحتقروا جلبابنا العادى وملابسنا الشرقية الجميلة التي هى خير مريح للبدن الحار فحرموا أنفسهم حتي من التمتع بلذة النوم فى بحبوحة ذلك الثوب الفضفاض ، ولا يخفى أن التدخين وأشباهه انما هى وليدة بلاد الغرب انتقلت الينا عدواها مع النازحين وليست الامور العملية هى كل ما أخذناه أخذ غرير غير متئد بل الآراء والافكار فكم ترى من فتي ممشوق القوام آنق الهندام قد حشر نفسه وسط قوم من الاقوام مناديا فيهم بكلام لا يمكنه أن يعرف حقا هو أم زورا وبهتانا وتراه عييا عن أن يقيم له حجة أو يعززه من لدنه ببرهان فما سنده الا أنه ناقل ـ وقل أن يكون النقل صحيحا ـ عن أستاذ عالى الشان من أبناء الغرب أعجم اللسان ، وكأنه لا يدري أن النقل ليس بحجة ولا برهان ان لم يؤيده قول صدق وبيان وليست العجمة بمفخرة فلكل أمة لسان

وهناك كثير من الشباب يرددون أقوالا محرفة يسندونها الى كبار الاساتذة والعلماء وما لهم بها من علم انما تسقطوا بعض عبارات الصحف

ولن تنفع شذرات الصحف لبناء الآراء والافكار ، ولقد سرت تلك اللوثة الفاسدة الى كثير من الصحف التي يديرها قوم غير متمكنين فتتناقلتها الألسن وتلبست بها الافكار !

ويغلب أن لا نأخذ عنهم الا ماصادف أهواءنا وشهواتنا من لهوهم ولعبهم فألعابهم انتشرت بيننا بشكل مريع بل هى ألعابنا التي لانعرف سواها وكأن أهلنا الاولين كانوا أهل خمول وموت لم يعرفوا اللعب فى فراغهم ولا الرياضة عقب أعمالهم ؛ وهذا محال — وأزياؤهم هي أزياؤنا فكأن زي أسلافنا عاقهم عن التفكير أو التقدم، أما أخلاقهم فما أخذنا الا أسوأها وأحطها تلك التي لا تتفق مع كرامة كبرائهم وعظمائهم ومفكريهم وان سرت فيمن دون ذلك وهي التي لا يمكن اتفاقها مع مالنا من خصال شريفة وحمية كريمة لا توجد فيهم لانهم قوم يمكن القول بأنهم صغار العمر بالنسبة لنا فلا يكاد يرجع مبدأ شعورهم بانسانيتهم الي أكثر من الف سنة مع أننا قد تقلبنا فى أدوار عديدة منذ آلاف عدة ومن هذا كان من الضرورى وجود خصال استأصلت بنفوسنا هي خلاصة تجارب تلك الآلاف العديدة ، ومع ذلك فان أبناء الغرب لهم من الاخلاق السامية مايصعب على النفوس النزاعة الى الاهواء المنقادة للشهوات التخلق بها معتذرة بنشأتها التي تعوقها عن اتباعها فما تعجبوا من ذلك الذى يطأكل تقاليده فى سبيل شهوة أو لذة ثم يتعلق بفاسدها امتناعا عن

المكارم والخيرات ، فالغربي سافل في كثير من أعماله وعاداته لكنه يحترم نفسه ويشعر ان لكل فرد هنا الحق فتراه يظهر الاحترام لكل أفراد هيئته دون أن يكلف ، أما عندنا فمن احترم نفسه شمخ بانفة على بني جلدته حتي ظنهم أنعاما وود أن يطأطئوا ويحنوا له الرؤوس ولا يكاد يراعي لهم حقا أو واجبا ومن هذا كنا أكثر احتقار بعضنا لبعض دون مسوغ أو عذر معقول فمن أين جاءتنا هذه الرذيلة ؟ هي خليط من الكبر التركي والشهامة العربية وعدم التعليم الصحيح الذي يهذب القوة المفكرة كذا فساد التربية المرتبكة المختلطة لكثرة ما انتابها من عوامل وتقاليد ، فقل أن توجد أمة في العالم منيت بما منيت به مصر منذ آلاف السنين من تعاقب المغيرين الذي يعمل كل منهم على تصويرها على شاكلته وغرس عاداته في نفوسها لتتعلق به وترسخ بذلك قدمه فلم يراع حاكم من الحكام تكوين روح قومية مستقلة في هذه الديار من مئات السنين ومن هذا نشأت بالنفوس عادة حب تقليد أسيادها أو غالبيها على أمرها على باطل كانوا أم على صواب ، وكثيرا ما يعمل الغاصب على تكوين روح مضمحلة مفككة تكون معه على نفسها حربا مثل حالنا اليوم

فمن أصعب الأمور علاج مثل حالتنا هذه المرتبكة بين شتي التقاليد والعادات وبما أنه ليس لنا قوة مفكرة حرة لوضع نظام أخلاقي ملائم لظروفنا كنا في أغلب تطوراتنا مقلدين ومتبعين مخطئين أو مصيبين

ألا أن هناك أموراً بدهية يمكن نسبها حسياً دون كثير قول أو تدليل يسهل على المرء إدراك فسادها وهى شديدة الخطر ذات بلاء كبير . وقد ترجع إلى أصول حقيرة قل أن يعبأ بها الانسان فتراه كثير التهاون فيها وكأنه نسي أن معظم النار من مستصغر الشرر وما طوال النخيل إلا من صغار النوى فأكبر العيوب والنقائص الأخلاقية والرذائل والآثام ترجع إلى جرثومة صغيرة قد لاتزيد عن كلمة واحدة فالقاتل الذى يسفك الدم ويزهق الارواح قد يكون في أول أمره صالح أغضبته كلمة والغضب جنون فأقدم على الجريمة الأولى وما هى إلا أن يتابع السبيل ، فكلما ازداد إجراماً كلما غلظ قلبه وصار من المتوحشين بالمثل كل صغيرة أو كبيرة لو تتبعنا تدرجها لرأيناها ترجع إلى كلمة أو إشارة وهذا أمر مسلم به فلكل معلول علة فالذين يحاولون علاج أو درس المعلول نفسه بلا نظر إلي علته كان ولا شك محتوم عليهم الفشل ، ولقد شاهدنا أن جميع من حاول إصلاح الحالة الاجتماعية باعتراض التيار المندفع فى إبان قوته قد حقت عليهم كلمة الفشل وباءوا بالخزي آفلين ، فواجبنا أن ننقب عن علة الأمر وأسبابه فنبينها ونرشد إن أمكن الى أقوم الوسائل وأضمن السبل لتدارك الخطب وتلافى الخطر فان النطاسي البارع إذا تمكن من القضاء علي جرثومة المرض في البدن أو علي الأقل منع نموها وانتشارها فى مختلف أضلاعه كان ولا شك هو الأقرب إلى

الصواب ، وهذه الطريقة دون ريب أخف وأجدي وأدق وأنفع وأقرب وأضمن للنجاح والفوز الأكيد ، وحسبك أن تري أن هـذا الأمر البسيط الواهي الذي يمكن دون شك الاستغناء عنه في بساطته يسبب أخطاراً وأهوالا حتي تعرض عنه كل الاعراض وتنبذه نبذ النواه أما إذا ترك حتي كبر هذا البسيط في نفسك لتعوده وألفته فيغدو دون ريب عصي النبذ مهما كان !

ولقد فصلنا كثيرا من الأمور من وجهة نظرنا هذه وماحصلنا عليه من التجارب العديدة التي يقوم بها الناس بعد ان ضربنا لكل امر مثلا لاتكاد تخفي على عين من له بصر سليم

ولم اجد أمرا اشد خطرا من شبح (المودة) الجديدة وماهي الا مثال الرزيلة مموه بوشاح البدعة الخلاب وبرد الاهواء الجذاب فيبعد بالمرء عن مواطن الفضائل حيث قد زحزحة عنها مثال الخرافة القديمة التي ليست الى بدعة عتيقة لها من الشر مالبدعة اليوم حتي لقد قضت على أهلها وأصحابها الاولين وها هي تفتح لاختها بدعة اليوم مغاليق القلوب الخاوية من نور اليقين فالحذر من البدعتين قديمها الموروث وحديثها المبعوث فمن كان يرجو حياة طيبة فليعمل عملا قيما ولايخبط في حياته وآرائه خلطا بين القديم والجديد وليتبع طريق الحق فانه أجدى لمن ابتغاه وكان من الراشدين

المبحث الأول

فى الأخلاق

الفصـــل الأول

لم يبق اليوم بمصر من لا يلتاع حزناً ويتفطر كمداً ويذوب أسى كلما ألقى الطرف إلى ما انحطت اليه حالنا الاجتماعية الأخلاقية أذلا يكاد يفتح المرء بصره أينما كان أو يرسل بنظره حيثما يكون ألا ويقع على جرح دام في كبد الفضيلة وسوسة ناخرة في صلب الآداب

انتهكت العفة على قارعة الطريق ومزق الشرف على رؤوس الملأ، وجعثن الفساد المورق اليوم بين ظهرانينا الآن المرأة الساقطة التي

هى أم الشر بنت المنكر أخت الفجر

هى أصل الفسق ورأس الخبث وحبة الجريمة

هى ركاب الشيطان ودعامة اللوم وبذرة الكذب

هى أس المجازر وسبب المعارك ودليل المفاسد

هي سراب اللذة وكهف الآلام

هى سلم الدعارة وباب الخراب

* * *

هى الممثلة البارعة والماكرة الخادعة

هي عاشقة الذهب ومحبة الفضة
هى المتهتكة المتجملة والمتبرجة المترنحة
هى المتمنعة الطامعة والمتحببة المانعة
هى اللبوة المقنعة والأفعة المبرقعة

بل

هى الخادمة الذليلة والأمة الكسيرة
هي الشقية المعذبة والتعسة الحقيرة
هى الضالة الفقيرة والتائهة الضريرة
هي الخاسرة المفحمة والساقطة المرغمة
هى الفريسة الملومة والتاجرة المذمومة
هي الكارهة الصامتة والمتألمة الساكتة
هي المسكينة الظالمة والحزينة الباسمة
هي الميتة التي تسعى والقطرة التى تهوى فالي حمئة من طين تصير

* * *

هى المحاسبة التي ليس لها حساب

ف

هي المسروقة السالبة والمقهورة الغالبة
هى المخذولة الغانمة والمذبوحة القاتلة

هى الوردة الناضرة التي سقطت تحت أرجل الكلاب والخنازير

بل

هى راح المأمون وصهباء المجنون

هى حظ المغرور وأنس المضرور

هي خصيمة الفضيلة وحليفة الرزيلة

هي ضد الآداب وند الألباب

هى مثال الزينة البهرج وعروس (١) التبرج

مع أنها صاحبة الفؤاد الكسير . والنفس المعذبة والقلب الضال والوجدان الخامل وهي ليست فقط الساقطة بعلم القانون وبتصريح منه وتحت حمايته اذ هى كل من خدشت عفافها بأى وسيلة وعلى أي شكل

— ٢ —

كثر الفسق وعم الفجور وانتشر الزنا في البر والبحر ، أى كثر الزانون والزانيات وكل زانية هي مومس وانتشار المومسات انتشاراً فظيعاً تخطي كل حد فى هذه الايام يرجع (اللوم) فيه على الرجل !

نعم . فلم تولد المومس مومساً ولم تكن من يوم نشأتها مومساً بل أحتكت بها ظروف وأحوال هي التي خلقتها مومساً وهذه الأحوال وإن لم تكن واحدة إلا أن أساسها واحد ألا وهو : الرجل

---

(١) هي أجيرة بمحلات الثياب تضع مختلف الازياء أمام المشترية

غريب جداً على مسامع الرجل أن يسمعني أصرح بملء فى أنه سبب بلاء تلك التعسة طبعاً غريب جداً أن يسمع ذلك بينما هو يصخب بأعلاصوته أنها علة شقائه ونحسه ، وأغرب من ذلك أن يتنصل من الاثم وينكره بعد أن يري ويلمس البراهين الدامغة على أدانته

ولكنني قبل سرد هذه البراهين سأكمل وصف المومس وأتم بيانها حتي لاتختلط بالمرأة الشريف

وصف المومس

المومس هي التي نزعت عنها برقع الحياء وتلك أول خطوة تتخطاها المرأة في سرب السقوط ثم داست أحكام العقل والآداب ولعلها ثانى قفزة في ذلك المنحدر ثم أنتهكت العفة ونبذت الشرف وهذه هي الذلة التي تصل بها الى قاع هوة الفجور

ومتي وضعت المرأة قدمها في هذا الطريق لأول مرة صعب على نفسها النكوص ، وخيل لها سهولة سلوكه ، كذا الانسان يبقى متهيباً الشيء محجما عنه حتي يطرقه مرة فيسهل عليه ويهون إذ لايزال المرء مستمراً مالم يعثر فاذا عثر لج به العثار

* * *

فترى المرأة في أول سقوطها ، مطرقة حزينة . هان على المصلح انتشالها بأزالة الأسباب الدافعة لها ، وبعد . تراها وقد تلبسها الأفك وأعماها الشيطان عن الخير وزين لها الشر فتصبح عضده المتين وساعده اليمين ينال بها أتقى المتقين ، فاذا ما تجرعت الكأس حتي الثمالة تنبهت... فاذا بها وسط بؤرة فاسدة وبيئة منحطة فى أسفل سافلين ، ترى شاطيء الطهر أبعد مراماً عن منال جهدها وبرج العفة لا يكتحل برؤيته طرفها الذي أعياه التلاعب وأضناه السهر . تبصر ذلك . فتتأوه من صميم فؤاد مكلوم إذ تتخيل أنها من قليل كانت راتعة هناك في ذلك النعيم الترف حيث الاحترام والأجلال ، والثقة مع الوقار ، والصداقة مع الهناء ، والراحة مع السعادة الزوجية . حيث كانت امرأة فاضلة وسيدة آمرة وأم محترمة ، متمتعة بالمحبة القلبية وحنان الأهلية وإخلاص الأقربين ،... والآن تري نفسها لعبة كل عابث وهدف الكوارث فهى : —

المطروقة لغاية والمحتقرة فى النهاية ـ أليست مأجورة الدرهم فى يد الوضيع والدنيء نفرت منه أو أنست إليه ؟ فلا رغبة أو إختيار . مسكينة ! لم تر ذلك إلا بعد أن تحققت بالممارسة أن كل ما تسمعه من عبارة منمقة وكلمة مزوقة ماهى إلا ستار خلاب للسخرية والامتهان فسرعان مايخفت رنينها عن أذنها وتجابه الغاية المرجوة منها ! وما أدناها من غاية هى التي اشترك فيها الوحش مع الانسان حتي الطير والهرام ، فتضع نفسها بين

يدي القاسق يعبث بأجزاء بدنها الغض النضير بجامشه بيد لاتعرف الرحمة ، ولا يمكنها أن ترده عن موضع ألمها خيفة كدره واستيائه وإن فعلت كان بكل تذلل وانكسار ، ومع ذلك فقلما يثق بقولها أو يسمع لشكايتها وذلك لأنها مومس (وكفى) ، أي بذرة الكذب وكل ذلك فى مقابل دريهمات ينهجها بها كأجر على مانال منها ، و هو لو وهبها مال الأرض ما جزاها على ما أخذ

ظهرت لها كل هذه الحقائق متجسمة ورأت بعين اليقين البون الشاسع بين الطهر والفجر فهاج حقدها واضطرم سخطها ضد الذي قادها هذا المسلك

فتشت عنه فوجدت أنه هو الرجل فصبت عليه جام غضبها وجعلته مرجمة إنتقامها لنفسها المتألمة أفليست محقة فيما تأتيه ؟ ؟

— ٣ —

آلام الموحس

أن الثاكل التي ثكلت إبنها أو الأرمل التي فقدت بعلها يصيبها بث شديد لفرقة جدت بينها وبين عزيز عليها (تحبه لنفسها ويقربه فؤادها) فجزعها الذي يكاد في بعض الأحيان يذهب بنور حياتها ليس إلا لجرح

فؤادها جرحا قد يندمل على مرور الأيام بتناسي الفقيد وإن طال الزمن . فلا يصح لنا أن نقيس بهذا الحزن كمد المومس ، بل لست أرى أي لهف يشابه أو يقارب سدم المومس أبداً ، فالسارق والقاتل لا يلقيان من سدمها ما يعادل جزيء ضئيل منه من وخز الضمير

أما هي : فهي المخلوق الذي ثكل في كل عواطفه ونكب في كل مشاعره فأصبحت لا يقاسي لها أو لعواطفها وحواسها وزنا فالكلب في بيت سيده يجد من المعزة والادلال ما تتشوق إليه ولا تنال خياله وهي تتألم لنفسها ولكل عاطفة من عواطفها ألما يعادل ألم عشرات كلات لحياتها ألم وشقاء وأسي

وليس أدل علي توجعها ان كان هناك منزع للشك فيه عند البعض مما يسمعه المار بينهن من الأغاني المملوءة أدعية من الله أن يتوب عليهن وحتي لا تبتهل الواحدة لزميلتها إلا بالتوبة زد على ما يروي عنهن علي السنة زوارهن والمترددين عليهن من عبارات لا تدع مجالا للشك في فرط تألمهن إذ حدثني أحد المترددين عليهن فقال : جلست يوما الي واحدة كنت أتردد عليها فعرفتني ، فاذا بها تتأوه آهة طويلة وتقول والدمع يترقرق فى عينها . متي يتوب الله على وقد طال عذابى . ست سنوات وأنا فى هذه السعير المحرقه ! أه

وقال آخر : كنت أزور هناك فتاة توسمت فيها حداثة العهد بالمهنة

وكنت آمل انتشالها قبل الانغماس إلى القعر فكانت تجلس بين يدي مطرقة صامتة إذ كنت أحدثها عن حياة الشرف ولما ألمعت لها عن إني لا أضن بمساعدتها فى العودة إلي الطهر ارتمت علي صدري مجهشة فى البكاء تتمتم . أحقا ما تقول ! ؟ أه

هذا وضمني مجلس كان سمرنا فيه انتقاد الحالة الادبية ومعرفة من الملوم ؟ خالفني الكل الا واحدا ، رأى رأيي ، فقال : حقا ما قلت فلقد تحككت بفتاة بميدان المحطة . فحادثتني وكلمتها وتواعدنا على منزل كبير هناك ، ما هو ألا أحدى مقابر العفة ، وهناك جعلت حديثي عن أسمها وعائلتها اذ راعني سرعة أنقيادها ، فعلمت على دهشة مني انها من عائلة كريمة وزوج لرجل ، غير أنه من كبار المساهمين في الحانات (والبارات) وانها لا تبغى بعملها هذا ألا اكتساب ما حرمها منه بعلها ، فحملت عليها بقارص الكلم وشنيع الشتائم مبينا لها فظيع ما أثمت مؤنبا لها على ما جنت على نفسها وعائلتها وبعلها ولولا جلستنا التي كنا بها لأدت فرارا من شديد لومي أنها أطهر من حواء وأشرف من عائشة ، وطلبت منها الكف عن ذلك واعدها بأصلاح زوجها ، وقد كان . فصلح حال العائلة وانا لها (العائلة) إلي اليوم صديقا يقر كلا الزوجين بفضلي . أه كما أني سمعت قول أمرأة كانت مومس وتابت مع شاب تزوجها

فلحقته معها فاقة شديدة فقالت : لو أني خدمت بمنزل كافر ما عدت الى ما كنت فيه بعد أن عرفت الجنة من النار . أه فهل يعرفن ذلك المندفعات الى هذه الهوة المملوءة بالرمداء والنار وهلا يشفق الرجل على هذا الهيكل الرشيق ولا يقذف به الى ذلك العذاب الاليم ابتغاء شهوته وسعيا لذته ! أناشدك الرحمة أيها الرجل أن تحرص عليه كحرصك على عينيك

— ٤ —

حياة المومس

ما أمر حياة المومس وانكي عيشتها التي لا تكاد تكون الا سلسلة حلقات متماثلة تماما ، فليست الا برنامجا واحداً ، تسير على نمطه بكل دقة كعقربي الساعة ، فهي تقضي نهارها الي ما بعد العصر بين نوم وغسيل وكى وتجهيز حتى أذا ما آذنت الشمس بالانحدار الي المغرب — اذ الشمس نمامة والليل قواد — لبست ثياب الفجور وبرزت الى ميدان الدعارة . تباشر عملها . فهي أما واقفة بباب مسكنها تعرض على المارين أو الزوار بضاعتها ، التي ليست إلا جسداً أضناه التعب وأنهكه الخمر

والمسمات الأخري بوجه شاحب طلته بطبقة سميكة من الدهانات والمساحيق وعينين غائرتين من كثرة السهر والتلاعب . أو واقفة بمحطة السيارات الكهربائية تميل بنظرها ذات اليمين وذات الشمال . أو مارة وسط ميدان بمشية المستوحلة بلا وحل . أو بحديقة عمومية حيث مدت من لحظها الشباك ، أوفى محل عمومى وقدلبست من أثواب الرياء ماتغرر به الاغبياء وتمنطقت بسلاح الخبث لتصيب به الأدنياء

وهنا يمكنك أن تتمتع بمرآي رواية من أبدع مايمكن أن تمثل أمامك على مرسح الحقيقة لامسرح الخيال هى

رياء المرأة وغرور الشباب

فتظفر بالرجل إذا لم تخرج من مأواها إلا لذلك ويظن نفسه الظافر بعد أن سال لعابه على مواطىء نعليها !

وهذا العمل الشاق زيادة على تلك العملية الوحشية التي لاأري إلا أنها حلقة إتصال الوحش بالانسان هو ماتقوم به طول ليلها ثم تأوى إلى فراشها تتساورها المتاعب والآلام

وهذه صورة مجملة من عملها اليومى فالناظر إليها يحكم دون أدني تردد بتعاسة هذه المسكينة . فهل يعلمن ذلك المقدمات على هذا المسلك وهل يعرفن إلي أي هوة هن مسوقات ـ لا أظن ذلك فلو علمن لفضلت الواحدة منهن الموت علي تلك الحياة ولرضيت أن تموت وتنهش جسمها

الغض الأساود والذئاب قبل قضاء تلك الساعة التي أورثتها شقاء الأبد وفقدان الحياة أهون على من شقاء ساعة كشقاء تلك التعسة ، هذا زيادة على ما تلاقيه من اضطهاد وامتهان ومقاطعة ، حتى تضطر أن تستتر وراء ثياب الطهر محاولة كتمان أمرها عن أهلها ومن التف حولها ، فتفر من خط لآخر ومن مسكن لثان . كيما تخفى جرمها عن الزيوع ، فتحرم الطمأنينة أيضاً . والتاجر الشريف يأنف معاملتها ، فهو إما يردها دون ما تريد أو يبيعها الشيء بأضعاف ثمنه ، حتى لا تعود إليه . ثم لا تلقى من أحرار القوم إلا إمتهاناً ومن أدنيائهم إلا كل سفه وطمع فهل من حياة أتعس من هذه الحياة ؟

— ٥ —

شعور المومس

وأدهى من ذلك وأمر أن يعتقد غالب الناس أن المومس لا شعور لها ولا حس فلا يوجد من بين عامتهم من يري أنها أحق بالشفقة والرحمة والكل مجمعون على أيقاع الأذى بها والاضرار ، وأني لا أدرى كيف حكموا عليها بعدم الشعور ، ولا دليل لديهم إلا كونها تظهر الميل لكل فرد وتضاجع كل شخص بلا تألم ، وما درواخبء قلبها . وإذا صحت

هذه الحجة كان أحري أن ندين بها الرجل إذ هو يبادلها هذا المنكر بسعي من طرفه وهو مطالب مثلها بالعفة تماما ، مع أن شأنها فى هذا ليس إلا كتاجر يستقبل جميع زائريه بالتحية والترحيب فان كان حسن أستقبال ذلك التاجر كل زائريه منقصاً من شعوره كذا يحكم عليها إذ هي مضطرة بحكم التجارة التي تملك رأسماليتها أن لا ترين الناس منها إلا تجملا ظاهرا يخدع البسطاء وليس علينا ان تعيب من أجاد مهنته مهما صغرت والبصير المدقق لاتخفى عنه مظاهر ألمها

ألم تسمعوا أن لم تروا كم من مومس اجتهدت بكل أسلوب وحيلة فى أخفاء أمرها عن الناس أو ليس هذا دليل علي أنها تشعر بدناءة ما تأتي وشناعة ما تفعل ؟ خير من ذلك الشاب المهندم الذي يتوسط محفل اخوانه يسرد عليهم كيف أصاب عرض عذراء وغدر بحرمة جار وانتهك عرض صاحب وهو مبتهراً فخورا والكل منصتين لحديثه بكل انتباه ! !

إذن فالمومس تتألم من حالها وتشعر بخفضه وتخاف إفتضاحه وهذا يكفي للدلالة على أنها تشعر بشعور أرقي كثيراً من مباعيها الشبان

وهل يتق الاحتقار إلا من يشعر بغضاضته أو يحذر الأزدراء إلا من يتأفف من مرارته ، ولكن هى الضرورة الغالبة التي قهرت هذه التعسة فليست إلا واحدة من ثلاثة متألمة أرغمتها الحاجة أو يائسة استسلمت أو متحيرة ضلت السبيل وقليل من مروءة الرجل تسعفها

الفصل الثاني

— ٦ —

المجرم

أيها الرجل خل عنك التحيز قليلا واصحبني الي بؤرة من هـذه البؤر التي لا تخلو منها بلدة فى قطرنا — تسهيلا للطريق — ودعنا نواجه كل ساقطة نراها هناك بهـذا السؤال : — ما سبب وجودك هنا ؟ فلا نكاد نسمع ألا أحد الاجوبة الآتيه : —

١ — أحببت فتي أغواني فهربت معه بعيدا عن أهلي ثم مالبث أن خلفني الى حيث لاأدري ! فطرقت جميع أبواب المعيشـة فلم يفتح لى الا هذا على مصراعيه ! . آه

٢ — تزوجت من شاب مالبث أن أهملني بعد شهر العسل ملتفتا الى خدیناته وخليلاته وبحكم الطبيعـة بحثت عن من يملأ فراغه فـكان هذا مآلى . آه

٣ — زوجني أبي من كهل أسن منه . أو من شاب أنفر منه فـكنت له زوجـة بالاسم ولـكني لغيره أستبدله بآخر لبعض ظروف ، وكذا ولجت هذا الباب . آه

وعن هذه لا تكاد تخرج قصص أغلبهن في المغزي فلا ينكر أن لرجل دعامتها الا مكابر وهذا لا جدل لنا معه . فهي رغم أنفه حقيقة والحقيقة مرة ، وأمر منها الاعتراف بها . فلا غرو أن يصعب على الرجل الاقرار بها لذا فهو يثير الجدل ويعكس الآيات ، ويقلب الحقائق حتي يتهم المرأة بأنها التي دعته الى اغوائها ، ومنته بنفسها ، طورا باظهار محاسنها وطوراً بابراز زينتها ، ثم بموافقته على مايبغى ، ولو تدبر قوله هذا لرآه اثباتا لا نفيا لجرمه فهو يحكم على جنسه بالانصياع للشهوة كالبهائم فلا عزة أو عفة ولا ارادة أو اباء حتي جعل اشارة واحدة من مرأة كافية لان تجعله يهرول خلفها كالكلب المطيع فأين أين أوصاف الرجولة ؟ أفضحيا فى سبيل انكار الحقائق ؟

* * *

والغريب أن يجعل نفسه في حل من كل ما يأتيه معها اذا ماأثر فيه جمالها ويريد منها أن تصد هجماته القوية عليها وهى هى الضعيفة التي تتأثر به كما يتأثر بها ان لم يكن أكثر أفليس هذا اجحاف ؟ !

ثم لاأدري كيف يستعظم جرمها اذ ماانظرت اليه مرة بقصد أو بلا قصد (وقد يكون ذلك بعد سقوطها على يده) ويستسبل أن يرشقها بسهام لحظة المتوالية ويحوطها بسياج من كلماته اللينة عذبة المنطق أجاج المقصد ثم يتأثرها الشهور والليالي فاذا ماغلبها على أمرها افترسها بلا رحمة

أو اباء فنأخذها بجريرته ونكبره لبراءته وما هو إلا مجرم أشد اجراما من السفاك فهذا يقضي على حياة فرد وذاك يهدم كبرياء أسرة مدي الدهر في سبيل لذة بهيمية دقائق معدودات

— ٧ —

الجمال

أبك معى أو اضحك ! من قول الرجل حين يقول وهل خلقت من حجر أو عديم الشعور حتي لا تحركني تلك المناظر الجذابة أو لست رجل يجذبني ما أري من جمال إليه . وما ذنبه إذا خطرت أمامه الحسناء في ثيابها الشفاف وجسمها الرجراج وأريجها العطرى فأسرت لبه وسلبت رشده فسعي سعيه ملق بنتائج عمله الدنيء عليها . بل على تكوينها الذى وضعها الله فيه ! الا يضحك هذا ! والضحك هنا أمر من البكاء . أن يكون نظر الرجل إلى المرأة أحط من نظرة الحيوان إلى أنثاه . غلبت عليه بهيميته وملكته غلمته فهي غايته منها أبدا ويئس بها من غاية سافلة.

قد يتبادر هنا إلي الذهن انى أطالبه بأن يتحجر فلا يعرف ما هو الجمال ! . ولا يميل إلى النساء ! فعن الأول أقول انى أدعوه بكل قواي أن يعرف (أولا) ماهو الجمال الحقيقي الرباني الرائع الجذاب الجمال الحق

الذي يفضل الخير ! ويشمل عليه فهو مازال يطمر(١) وراء الطلاء يغره الرياء ويسره التهتك يهرول اليوم وراء المرأة فقط ، لأنها محط شهوته، كالقط يجري وراء قطته . وهاهي المشاهدات بين يديك في كل مكان تسير فيه تقيم الدليل على أنه يجرى وراء الفسق ويتلذذ بالفسق ويحب الفسق لأنه فسق فقط ، وقد يكون متزوجاً ويتبع خطوات الشيطان وهو يعلم أن المرء كما يدين يدان ، غير جاهل أن زوجه تقوم بتلك المهمة بكل ارتياح كما يشاء فتغنية من ارتكاب الموبقات ويحصنها عن ثلم شرفه وفي الحديث النبوي الشريف .

(أيما رجل رأى إمرأة تعجبه فليقم إلي أهله فان معها مثل الذي معها)

(ثانياً) أن يكون رجلا صمحماحاً لاتغرنه الزينة البهرج ولا تستهويه المرأة الشطبة المياس الثدياء فينظر إلى المرأة الجميلة نظرة المعجب بقدرة مبدعها جل وعلا وإلي المتبرجة مهما كان ظاهرها نظرة إزدراء واستنكار بدل كلمات الأعجاب التي تكال لها أينما سارت من أفواه الرجال

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

(ثالثاً) أن يتحلى بنفس عالية فيتمسك بالعفة ويتسربل بالأباء فيري المرأة قسيمته في الحياة ويتخيل فيها الأم المحترمة التي قال عنها روسو (إن

---

(١) الطمور وثب من أعلا الى أسفل

المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها) ويتصورها ذلك الهيكل الظريف الذي خلق لمؤانسته ومواساته ولترويح المتاعب والمشاق عنه (لا لجلبها عليه) ينظر اليها بنظر أدق وأوسع فيري نفسه مرغما علي احترامها ، إذ يبصرها فى جمالها الروحانى ، لو اجتهد أن يعرف من هي المرأة ؟ تلك المرأة التي لا تزال من يوم نشأتها إلى الآن مثار ابحاث كبيرة بين الفلاسفة والأدباء وسيبقى كذلك أمرها الى الأبد.

— ٨ —

الزواج

أما عن الثاني وهو الميل الى النساء فهو غريزة لا يمكن استئصالها بل لا يعمر العالم الا بها ، ولكن الافراط في كل شيء مفسدة (حتي فى العلم فأنه يورث الشذوذ والجنون) وقد سن الله لنا سنة حسنة لا يجحد فضلها الا كافر ، ألا وهى : الزواج. وسنفرد له المبحث الثالث من هذا الكتيب

٩

من الجاني ؟

اني لأعجب للرجل يطلب من المرأة التي شهد لها الشرع بالنقص والطب بالضعف ان تمانعه فيما قد غلبه على امره وهو مشترك بينهما بطريقة عكسية ، فامتاز عنها بكثير من القوى وقسطه منه دون قسطها ، حتى أصبح الكثيرون يأخذون على المرأة استسلامها للرجل فجعلوه رضي منها وقبولا وليس الواقع الا قهراً أو انخذالا اى انها لا تستلم للرجل الا مرغمة بثلاث قوي فعالة أجيز لنفسي ان اقول انها فريستها وهى :- الرجل وتأثيره فشهوتها ثم الشيطان .

فأين من ينكر ان المرأة تشعر نحو الرجل بمثل ما يشعر هو نحوها أن لم تفق ، كما ان غلمتها أشد عليها تأثيراً من شهوة الرجل عليه زد على ان الشيطان يملكها عن الرجل لوهنها وخلوها (والشيطان يسكن الخالى)فهذه المميزات التي منحها الرجل دونها تجعله أكثر مسئولية بل هو المسؤول عن كل مايصيبها منه .

ومما يؤسف له انه هو دائما الذي يسعى في الايقاع بها بكل خطة دنيئة واسلوب منحط ثم يتطلب منها تعففا !فكان كمن يريد من الماء جذوة نار أو واضع

الزبد على الجمر ويود أن لا تذوب! أليست الضعينة والمغرض، فكيف نرجو لها السلامة مع كثرة ما يعتورها من السهام أو ندينها بشيء؟ اللهم اني لو رأيت امرأة تحاول الايقاع برجل وتمكنت منه لا ألومن الا الرجل لانخذاله أمامها، اذن ليس من العدل أن ندين البريء ونطلق الجاني أو نشركهما معا فمن الاجحاف أن ندين أو نشرك المرأة فى جرائم الرجل

* * *

أيها الرجل . خبرني صراحة كم حاولت اغواء جارتك أو ابنة جارك وهل راعيت فى ذلك حرمة الجوار ؟ ثم دعنا ممن أبليت نعليك فى متابعتهن وأتعبت قدميك في تأثرهن وأصدقني وأبيك هل تمنعك عفتك أو خلقك أن تأتي امرأة ثيبا كانت أو بكراً، أو هلا راجعك وجدانك مرة أولم تر فى ذلك مادونه جرم القتل . لعمرك قل ولا تمارا لا تتمني كل امرأة تراها ؟ — غير العجائز طبعا — مهلا لا تنكر فان عينيك اللتين تستقبلان المرأة من فرسخين ثم تشيعها فرسخين آخرين وقد كستهما لمعة البهيمية لاصدق عليك حجة من لسانك، لقد ملكتك شهوتك وغلبتك بهيميتك . لذا يسرك أن تزعن المرأة لبغيتك ونفسك راضية بذلك والى هذا أنت سالك ، فكأنك تسعى في جعل جميع النساء مومسات ، فليس بغريب بعد ذلك أن أقول أن المومسات مخلفات جرائم الرجل وأن المومس اشلاء امرأة افترسها رجل .

الفصل الثالث

— ١٠ —

سرب الضلال

ينحدر المرء الى هوة الضلال فاقد الرشد مسلوب الحجا اذ ينزلق اليها بكل بطء فلا يشعر الا وهو وسط تلك اللجة التي لا قرار لها ولا يحس الا وقد أحاط به سرادقها وانطمست عينيه عن سواء السبيل ، تتخبطه دياجير الضلالة وتتقاذفه أنواء الرزيلة ، ولو علم بهذه النتيجة لسلك غير هذا الطريق ، ولكن للرزيلة سراب خلاب وللسيئة شكل منمق زاهي الالوان لا يدل على خبثه ظاهره وخصوصاً للمرأة قصيرة الادراك .

حدث المرأة الشريف عن العهر ، تظهر لك مقدار مقتها له وليكن هذا هو الميعار الذي به تقيس ما بين الطهر والعهر من بون ومرحلة ، فالطهر ذروة عالية والعهر خفضة واطية وحطة متناهية في أسفل الدركات ، وعلى ذلك لا أدري كيف يصفون بعض الناس المرأة بالشرف الى أن تزني . وما تلك الا غاية الفجر القصوى ، ومحال ان تسقط امرأة تلك السقطة الشاهقة دفعة واحدة لا تموت اذ الانتقال من الطهر الى منتهى الفجر لا يطاق

والحقيقة أن المرأة لاتصل هـذه الدرك إلا بعد أن تكون قد انحدرت تلك المرحلة الواسعة خطوة خطوة متكأة على ساعد الرجـل ومنقادة له دون أن تبصر غاية الطريق ووعوثته ، إذ وضع على عينها غمة من الاسماء المشوقة. فاذا ماقاربت عجمتها(١) وقفت برهة!؟وفى هذه البرهة تتريث فاما أن تولد من جـديد أم تسقط الى الحضيض ،أما ان تنكص علي عقبها وتفلت من حاطبها إذ تنكشف لها الحجب أو أن تنكفىء على وجهها متعثرة معياة وقد حصرها كما هو الغالب ، إذ لا يسمح أن تضيع الصفقة وقد قاربت الانتهاء وعلى ذلك تسقط صاخبة بعد فوات الفرصة: يالكم من أنذال .ولكنها صيحة المفعم المحموم تستغيث ولكن من حياتها وتندب ولكن بقاءها تفتش عن السعادة الوهمية التي تخيلتها عقر(٢) انهما فلا ترى حولها إلا حزازة الجريمة وقذارة الرذيلة ، إذا بها غارقة فى قمامة الفجور وما سمعت إلا خداعا وما رأت إلا سرابا ، نصيح بها (عن كثب)(٣) أيتها الساقطة أنت بلاء علي الرجل فى الدنيا والآخرة ؛ثم نلتفت إليه فاذا به قد علت وجهـه ابتسامة الظفر ، ولا أنيبال ساعة انتصاره فنهلل له لأنه بطل وداهية ! ! ! ؟

---

(١) آخرها (٢) العقر هو أجر المومس (٣) مجتمعين

١١

الخطوة الاولى

ان المرأة التي سقطت اليوم انحرفت عن السبيل السوي من أمد وجاست مضلات الاثم والافك دون رادع او مانع ان لم تكن كما هو الغالب تحت تأثير خادع طامع

نهدت البنت فاحبت التجمل ومالت الى التزين بحكم فطرتها ، فتقمشت وتهندمت وتعطرت أي اصبحت كوردة اكتمل أزهارها وكمة تم تفتحها حتي اذا ما اعصرت ثم عنست اي كمل نضجها وتناهى نماؤها دون آبه لها شعرت بانها مهملة في عقر الدار وآلمها ذلك أذلا يختلف اثنان في ان البنت خلقت لتكون زوجة قبل ان تكون اما ،فماذا يصيبها اذا ما عطل ماجعلت له ؟

ان الوردة بعد تمام نضجها تأخذ في الانضواء والذبول ثم التراخي فالجفاف حتي تصبح هشيما زلقا تذروه الرياح ،أما البنت فعند ما تبلغ سن الاعصار تشرئب بعنقها الى من سيكون بعلها ؟ فترى من وراء خدرها اغفالا وتبصر من خلف سترها أغضاء ـ اذ بلينا أخيراً بأعراض الشاب عن الزواج لأسباب سنتكلم عنها في البحث

الخاص بالزواج . فتتخيل ذلك لجهل وجودها وعدم العلم بحيويتها. فتبرز لتدل على نفسها وترشد الشاب الى وجودها وحقها عليه، وخصوصاً في أوساطنا الغالبة التي تعير البنت فيها بعدم سرعة زواجها ، حتى من ذويها ، بألفاظ جارحة وكلمات مؤلمة كأنها التي ردت الشبان عن طلبها والله يعلم ، أنه أجل أمانيها ! ولكنها ويا لألف أسف ركبت الى بغيتها مطية جامحة غير ذلول ، وقد عرجت على غرة منها الى ميدان هائج وساحة طاحنة لا تتلائم مع تكوينها الطبعي باذلة في ذلك ثمناً باهظاً وقدراً فاحشاً ألا وهو الحياء

١٢
الحياء

هو انفعال النفس من اتيان ما يجلب اللائمة وينحي عليها بالتوبيخ وتأثرها بما يعد في عرف الناس نقص . كذا عرفه جمال الدين الافغاني

فالحيي هو الشخص الذي تتأثر نفسه مما يأتيه هو من النقائص وقبل أن تعلم ذلك الناس لهذا تراه ينأى بنفسه تلك عن مواقف الخجل فيترفع عن جميع الدنايا ويبتعد من نفسه عن مواطن الغوايا حتى لا تثور نفسه حياء ويندى جبينه خجلا

وتلك هي النفس الحساسة الرفيعة التي منحها الله حظا أوفر من حميد الخصال التي تلازم الحياء كشرف الناس والآباء والغيرة فالأولى

تنهي عن قرب الرزائل والصغائر والآثام كما تدعوا الثانية الى نبذ الذل ومواضع الحطة والامتهان

أما الثالثة فتدفع بصاحبها الى الجهاد والحرص على عرضه وشرفه ونفسه وروحه فوطنه وأمته

وليس الحيي هو الجبان أو من لا يستطيع عن نفسه دفاعاً لأن هذا من الجبن فالحياء وما تفرع منه من الخلال والسجايا يسوق صاحبه الى الكمال النفساني والمجد والفخار بعد أن يطهره من أرجاس الرزائل ومن أوزار النقائص حتي لا يرى الحامد فيه مقدحاً والخاطب له مذمة ،

أما من لا حياء له فهو أقرب الى السوام والبهائم حتي قيل : —

اذا لم تستح فاصنع ما شئت .

وهو للمرأة كالشمس للنهار والدواء للداء فهو لها درع يقى عرضها وسياج لشرفها وحارس يزود عن عفافها فهو الوازع النفسى الذي ينأي بالمرء عن مواطن النقد واللوم فلا يأتي الدنايا أو يقرب النقائص، اذن الحياء والتبرج ضدان لا يقترنان والا كيف يسمح الحياء للمرأة أن تبرز بصدر عار بأعالي النهدين وساعدين باديين الي المنكبين وساقين مكشوفين الى مافوق الركبتين . وهل أبقت هذه لنفسها أو لسيد أمرها من شيء الا مايقابل عورة الأمة؟ وهذه الله أعلم ! مع ان ملابسها الضيقة المنطبقة تماما

على باقى بدنها لاتستر ورائها من شيء ، ثم كيف يسمح الحياء للمرأة أن تضحك تلك الضحكة ذى المثاني والمثالث على مسامع الملأ وفي قارعة الطريق وبدون مسوغ ، بل كيف يسمح لها أن تسلك السبل تتصنع التثني ميامنة ميامسرة تراشق القوم بسهام اللحظ و نبال الثغر؟ فطبعا هذه لاحياء لها وما جرأها على فعلتها الا أنها لاتستحى وامرأة لاتستحى احق بها القبر ، فمتي أراقت ماء وجهها وصلد جبينهافتح أمامهارتاج الاثم فهان عليها ارتكاب الدنايا متدرجة فيهاتنازلا حتي تأتي الفحش تحت قيادة الرجل غير شاعرة بشناعته، اذ متي خالطت المرأة الرجل بلا حياء هان عليها الانحدار أو قد قربت من السقوط اذ عرضت فسفور شهوتها لكبريت الرجال وتصبح مرمية في عرضها مشكوكا فى أمرها اذ الغالب أن تسقط وراء ستار من الوعود الخلابة وخلف اكمة (الحب) تضيع

— ١٣ —

الوعود

الوعد ميثاق يقطعه المرء على نفسه يقوم به لزمن أو شرط رهين شرفه وكبريائه ، فوفاء هذا الوعد لا مفر له منه إن كان ممن لهم ذمة وشرف يرعونهما

لهذا كانت الوعود من المعاملات السائرة عرفيا بين الناس ، حتي قيل ـ الوعد دين ـ غير أن هناك فئة لا تعرف للوعد قيمة : ولذا فهى تكيل الوعود جذافاً مضمرة الخلف ، فهؤلاء جرثومة فساد أقل ضررها أنها تربك دولاب أعمال الهيئة الاجتماعية وان شئت فقل إنهم يؤذون المجتمع فى كل حركة أو سكنة يأتونها إذ هى غش ورياء

وما أكثر هذه الفئة بيننا ثرثارون متحذلقون آفتهم إن رأيتهم خلتهم من علية القوم وسروات الناس !

وتأثير هذه الزمرة علي المرأة أشد ، إذ يغرها رواقهم وتستهويها لباقتهم (والسم فى العسل)

فيستدرجها الفرد من هذه الزمرة إلي حافة السقوط علي وعد أن يرشدها إلى مالا تعلم من المدنية الحديثة فيزيل عنها برقع الحياء ليزيد جمالها ويزهو جلالها ، ثم يرشدها إلى طريق الضلال واعدها فيه بالسعادة

الابدية ، كل ذلك وهى واثقة بقوله مستهدية بهدية (وهو في ضلة يعمه) حتي إذا ما استلانت له خيل لها تمثالا من المدنية والسعادة وجعل له دربا يوصل إليه به كل المخازي والفجور وأطلق عليه إسما عذباً لذيذاً ألا هو (الحب)

المبحث الثاني

الفصل الرابع

١٤

الحب

وما ادراك ما هو :

الحب عنصر من عناصر الحياة ذوات الاثر الفعال فى تسيير دفة أمور الكون . ولو اننا تعمنا حركة الكون العالمية لاهتدينا الى ان للحب دخلا كبيرا فى حركات الطبيعة وأفعال الانسان ، فلولا حب الارض للشمس ماحامت حولها ، والقمر للارض ماطاف بها وابتسم لها من آن لآن مداعبا مضاحكا ، والرياح للسحب ما حملتها على أعناقها واحتضنتها بين جوانحها ، ولولا حب الانسان للحياة ماعمل وكد وزرع وحصد ،

والحيوان للبراري ماعدا فيها وركض وآوي مغاورها فرحا مغتبطا ، أو الطير للرياض ماغني على أفنانها وصدح على أغصانها وعز عليه هجرها

تلك معجزات الحب رسول الحركة التي هي مبعث الحياة الكونية

فهو اذن كامن في كل حركة وكل شيء ، فتنوعت أشكاله وتعددت اسماؤه حتي غدت لاتدخل تحت حصر ، منها . الجذب والفطرة (الطبيعية) والغريزة والحاسة والعاطفة والفن : فالجذب للمادة و(الفطرة) او الطبيعة للحركة والغريزة للحيوان والحاسة والعاطفة والفن قد اختص بها كلها الانسان واختص كل اسم من هـذه الاسماء الثلاثة بجزء من أعمال وشعور الانسان :-

فالعاطفة هى مايكون بين الوالد وولده أو الام وما حملت
والحاسة هى مايكون بين الانسان للخير أو للشر
والفن هو ما يكون بين الانسان ومظاهر الطبيعة أو معانيها

وتلك هى حقائق الحب وما خلق له . غير أن تقادم التواتر أحدث على أفهامنا معان جدد حتي أصبحنا ضالين لانعرف إلا حب أنفسنا وغاياتنا ثم كسونا أغراضنا بنعوت والقاب فكانت كلمة الحب ضمن ما أطلقناه على إحدى علاقات المرأة بالرجل وتوسعنا في ذلك مسايرة لأهوائنا وأتباعنا لملاذنا حتي رددها كل لسان ولاكتها شفاة الصبية والأطفال

كما تزينت به الشيب وتغني بها الشبان . ثم تناولتها عروض الشعر وزينتها أقلام البيان فخرجت بذلك علاقة المرأة بالرجل عما كانت عليه إلى مجال لم يجعل لهـا ولم تكن له فاضطربنا واختلط علينا، حتي دفعتنا الغريزة الحيوانية فخضعنا صاغرين، وبعد أن كانت المرأة هي جماع العاطفة والحاسة والفن أصبحت وقد تفردت بالغريزة وطلبت من أجلها ليس الا، وإن بقيت كلمة الحب كلمة يرددها كل لسان، فأصبح الانسان يراها أو يسمعها في كل مكان وبقعة علي شفاة الصبي الصغير والبنت الكاعب، وتلك الكلمة هي التي أغرت المرأة حتي سيرتها مومسا ودفعت الرجل في سبيل الفجور، فهي شرك القلوب وضياع العفة بل أشبه بالسم في العسل

الحب وإن كان لذيذاً علي فؤاد كل من سمع إسمه ولم يخبره يشتاق إليه اشتياق العطش إلي الماء الزلال والأسير إلى الحرية الكاملة إذ يظن فيه خيال السعادة وما به إلا شقاء مستمر علي مايقول الخبيرون وتنبئنا به حوادث الغابرين

ويقول البعض إنهم يلتذون بحلوه وصعبه ويأنسون إلى نكده ونصبه وهذا بلا شك علامة الألق والألس بل الجنون والهوس حتي لقد أجمع كثيرون من الأطباء والعلماء كالمقري والماردني والشيخ عبد الرحمن والأزرق وابن المقفع وأبو علي بن سينا إن العشق داء يشبه

الملخوليا(١) لا يصيب إلا الضعفاء إذ الضعيف هو الذي يمكن أن يقيده لا شيء ويثيره لا شيء فيعقله منظار أستحسنه أو شكل أستجمله، أما الرجل ذو الارادة القوية فلا يذله حب أو يقهره عشق لانه دائما متسيطر على عنان قلبه وعواطفه والحب قهري على ما يقولون كل داء آنس في بنية الانسان ضعفاً أتاه ، أما الحب فلضعف الارادة ووهن العزيمة وصغر المدركة

كلام بعض الفلاسفة

في العشق

قال افلاطون : العشق حركة النفس الفارغة بغير فكرة

وسئل ويوجانس عن العشق فقال : سوء اختيار صادف نفساً فارغة

وقال ارسطاطاليس : العشق هو عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب

وفيما روى الاصمعي عن أعرابيه أن العشق : ذل وجنون

نهاية الادب

— ١٥ —

الحب

حقه . باطله . جرائمه

أما ذلك الحب الذى كانوا يعرفونه بأنه مهذباً وهادياً فلم تثبت الايام وجوده ولم نرمنه سوي الاسم إذ أن الحب الشعري (الفن) الذي مازال الكتاب يتغنون به علي صفحات رواياتهم ويشيدون عليه دعائم كتاباتهم ويترنمون به فى أشعارهم ما هو إلا شركا يستعمله الشخص لبغية له حتى ينفوذ بها فيندثر ويموت ! ورغم أن هذه الحوادث تكررت أمامنا كثيراً لم نتعظ وهاهى ضحايا تلك الكلمة أمامنا فى كل مكان تعطينا العبرة ولكن ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار !

ألم تئن المومس رمية تلك القذيفة وقنص ذلك الشرك ! أليس هو أول طارق طرق باب قلبها ! ألم يك دافعها الى الرجل وموثقها له؟ بل ما كل ساهر وشاردوباك وهازل الا طعين العشق ولذيغ جمرته. وكم للعشق من جرائم لا تحصي ولا تستقصى واليك واقعتين تثبتا لك تأثير الحب على شرف المرأة

١ ـ ففرة من خطاب مرسل من محبة الى حبيبها بالنص : —

« مازلت تطلب الى البرهان على حبي لك فأقدم لك البرهان تلو البرهان »
« فتضرب بذا عرض الحائط وتطرح ذاك خلف الظهر مالي نبذته مقتنعاً »
« بغني فؤادك وجاهي رميتني فيه اذ قلت ليس كل من حاز الرتب شريف »
« وعندك العامل خير من الوزير ـ فماذا أقدمه لك على مائدة حبك لتقتنع »
« بأني أحبك فوق ما أستطيع ـ أي ماذا تملك فتاة مثلي بعد المال والجاه »
« وأعز منها ليتعادل مع قلبك الكبير (الصخري) اللهم الا الحياة والشرف »
« وهما لك فلم أر بأساً من أن أهبك الثاني والأعز لعلك تثق أني أقدسك »
« يا فلان . وياليته قبل افلا تأخذني بتلك الزلة فأنا مقتنعة بسخافة الفكرة »
« ولعنت منمقها لي في حالة سكر (اذ للعاشق ساعة فيها يسكر أو يعمى »
« لا أدري . اه »

تقر هذه الآنسة بوجود ساعة يذهب فيها عقل العاشق ويطيش حجاه إذ قد تلقت ذلك طبعاً عن التجربة التي هي خير أستاذ .

ساعة يذهل فيها العاشق عن حجاه لا يدري ما يأتيه فيها ـ أعيذك الله من شر تلك الساعة فهي

هي يذره باكورة الشقاء السريعة التأصل بل
هي ساعة الجنون التي تلد تعاسة الأبد وذل الدهر
إذ لولا شرف نفس حبيبها لأمست في عداد الساقطات .

ثم أنظر كيف يسهل على المرء التفريط في كل شيء في سبيل ارضاء

شيطان الهوي أفليس هذا بجنون وجنون محض ماسببه سوى مانسميه حباً ! ؟

١٦

(ب) ضحية الحب

علقت سيدةٌ حسناء بشاب نصف عامى وقد كانت تعيش من دخلها حرة بلا رقيب . فاندفعت فى تيار حبها وأفرطت فيه دون مانع . فلما علم ذاك الشاب دخيلة قلبها نحوه ولم يبادلها من العاطفة سوي مايفهمه منها صراحة إذ للحب سبيل عند كل طبقة ، فابتدأ يراودها عن نفسها مختصرا الطريق وهي ترده بكل حيلة وأسلوب وجعلت تلقى عليه المحاضرات فى العفة والشرف ولكنه كان يحبها أي امتلأت نفسه ميلا إلى وطئها اذ هذا منتهى درجات الحب عند المحبين لذا كان لا يفكر إلا فى هذا الامر الدني، وصعب عليه فهم ما كانت تلقى عليه من كلام أما هى فرغم ولهها به بقيت متمسكة بشرفها حتي هددها بالهجر بل بالقطع ان لم ترعن له ..؟

(ولو دري لتأنى قليلا حتي يتملكها شيطان الحب جيدا)

دارت رحى الحرب النفسية بين النفس والوجدان وباتت تقلب الأمر على جانبيه فلا تري لها ألا أحد مجازين بل واحدة من التضحيتين حبيبها أو شرفها .

ولما ذاقت مرارة الهجر المريرة تخيلت لذع صلا العار أهون منها ، بل عميت عن هدى السبيل فسارعت بعد ست أيام قضتها في لهيب القطع ألى الطريق الذي يمر فيه حبيبها ألى عمله وردته ألى وصلها ووعدته بنوال مايريد!! ثم عز عليها شرفها فماطلته مسوفة بكل يوم ألى الذي بليه ، حتى سئم وازداد هيامه فأتاها يوما لايرضي فيه تسويفا ، فركعت تلك الفريسة أمام ذلك الوحش الذي (تحبه) متذللة ضارعة أن يرحمها من تلك المعرة الكبرى فأبي ألا . . . .

وبلغ منها ماأراد وهى باكية حزينة حتي أغمى عليها من فرط تأثرها وسقطت تلك التعسة مكبلة بالحب . . . !

وكما أني أعرف فيمن أعرف حوالى العشرين شاباً لكل واحد منهم فوق الثلاث عشيقات ويا للاسف كلهن من المتعلمات وبنات البيوتات ـ والشاب منهم لا يأنف أن يسلب الواحدة درتها ويقول (والله حصل عفواً) (١) وهو منتفخ الاوداج تيها وكبرا

* * *

على ذلك وجب على كل فتاة تود أن تعيش شريف أن تحذر الحب حذر الساري وسط رملة قحلاء من الحية الرقطاء خصوصاً وشبان اليوم

---

(١) كلمة قيلت لي حرفيا من شاب يعتذر بين يدي عن فعلته

قد تفننوا في الحب وابدعوا فلعبوا بأفئدتكن وسخروا من عواطفكن الوجدانية البحتة مقابل كلمات لا تتعدي عندهم مخارج الكلم. وقد أصبح القلب على المبدأ (المردة) (يسع ألفا وزيادة) (١) (ولا حب الا لمن حضر) (٢)

١٧

الحب الشعرى

عجبا أن يدعى كل عاشق أنه يحب ذلك الحب الشعرى الشريف. فاتهدأ ياهذا بالا فأنا لاأود أن أرميك في حبك بل أقول : ألست ممن رأي فعشق ذاتا رآها لجمال امتازت به عن سواها في نظرك ؟ فعشقت جسما جميلا ! فان أردت أن تعرف حبك عبثا كان أو جداً ، فتخيل تجرد ذلك المخلوق من آيات الحسن التي بنيت عليها حبك واخبر روحك أن كنت تميل اليه أم لا ؟ وطبعالا ! . أى . لاتميل اليه والنتيجة تكون: أنك لا تحب ذلك الحب الشعرى .فذاك هو اجتذاب روحين بلا أدني التفات الى ماعداهما فلا جمال أو شكل أو مال بذى أثر فى قيمته ولذلك يستمر المحب محبا ولو صار محبوبه هيكلا عظميا يرعب الرائي بمنظره ـ فهو الذى

---

(١) مبدأ قررته فتاة تساير صاحب لى وواقفتها أخرى

(٢) كلمة أحد الرشقاء قالها لحبيبة له علي مسمع مني

يفوق حب الأم لابنها وهل رأيت أما تتحول عن فلذة كبدها ولو صار قرداً ؟ !

أما أنت أيها المفتون فتخيل أن محبك أو محبوبك بعينيه بخص فهل ترى نفسك الا نافراً منه ! وهذا هو الواقع الذي يؤيد أننا مازلنا بعيدين عن الحب الحق لأن ذاك لا يكون الا بالارواح والارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف فلا يتسرب بعد ذلك الى ايهما شك في أختها لانها تكون أدرى الناس بها حتى لو أجمع الكل على وصمها بعيب لا يكون لذلك الاجماع تأثير عليها بل لها هي نظر أصدق من الجميع ومثل هذا يجب أن يكون الحب غير أنه ويا لالف أسف غير موجود الا في عالم الخيال . فالواجب أن لا يزجن المرء بنفسه في ذلك العشق الطائش الذي لا أسميه الا باب السقوط فكل الساقطات مررن به وكل العاشقات على أبواب السقوط وعلى كل امرأة على الأخص النظر فيما أقول، ألا ترى أنها بين يدي حبيبها مسلوبة الرشد ضائعة الحجا لا تفكر الا في التعبير عن عواطفها بابلغ أسلوب وأدق معنى وهل رأى العاشقون أو اهتدوا الى عبارة أبلغ في ذلك التعبير عن الرشف واللثم ثم الضم !؟ وهل يختلف أثنان في خطورة هذه الحال على عرض المرأة ؟! بل أن في ذلك الكفاية لاثبات السقوط، أو ليست القبلة من لزوميات الحب وما هي الى رسول الضم والاحتضان . . . مهلا مهلا الى أين يسوقنا الحب . . .

ها ها . . . أنه ولاشك يدفعنا الي الفحشاء وأى شريف ترضى عن ذلك نعم أنها تستطيع أن تأبي وترفض وتأنف وتستنكف هذه الآثام والمنكرات مالم يدنس قلبها العشق ، أما أن سمحت لنفسها واغترت كغيرها فاسترسلت مع طيشها وشبابها لداعى الهوي فهي ولاشك ساقطة وساقطة رغم أنفها لأنها شربت بيدها مخدرا كان قضاءا على قواها وحسها الحق الخالص الحر كما قضى على كل من تقدمنها فى هذا البلاء

الفصل الخامس

— ١٨ —

نابذوا الحب

رأينا أن الحب مفسداً أكثر منه مهذباً وسمعنا أن الحب الصادق الشعرى الشريف كان قدما أول هاد إلى حميد الخصال! فبين ماتري وتسمع نقف حائرين ، كوقفة السارى على مفترق الطرق ، وكان قد سمع أن الطريق الذى قباله سهل : السلوك مظللا بالاشجار ذات الثمار وبجانبيه الآبار بها الماء الزلال ، وها قد وقف أمامه فاذا به جبل وعر ومأسدة موحشة ! أفليس من الهوس أن يعتمد على ماسمع ويغامر بنفسه في هذا الوادي وهلا يكون عمله هذا جنونياً محضاً فيه الموت المحقق ؟

والحب ، لا يختلف عن ذلك قط ، فما أشهي مانسمعه عنه وما ألذ ما يترنم به فيه ، ولكن بأفواه المصابين به والمرضى ، إذ الواقع بين أيدينا غير ما قالوا فما قولهم الا أنات المرض وآهات الداء

فواجبنا حيال ذلك أن نخاصم الهوي ونزدري الغرام ونهجر العشق ونابذ الهيام . فما من مفكر إلا ويرى هذا واجبا لمن يريد أن يحيا حياة طيبة شريفة هادئة لذيذة . ولكن كيف يمكن ذلك وقد أصبحت الناس

تركع لسلطان الهوى وتسجد له اذ باتت جميع القلوب مطعمة بالمادة القابلة لنماء جرثومة الحب وهى والعياذ بالله فاتكة بالحياة أدبيا وماديا ضارة بالجسم والعقل على السواء، قال كثيرون منهم من ذكرنا أن علاج العشق هو . اشغال الفكر بالرياضيات والعلوم والسفر والتنقل وكثرة الوطىء ولكني أعتقد أن الحب داء عصي إن أصاب قلبا فتك به فهو شبيه بالامراض الوبائية القاتلة كالزهري والسل والجزام عزيزة الدواء، وهاقيس العامري وغيره من عشاق العرب لم يحصل لهم شفاء

* * *

فكما أن الاجسام تحصن ضد جراثيم هذه الامراض بالتطعيم كذا الحب يجب أن نطعم قلوبنا بالمادة القاتلة لجرثومته حتي نضمن لأنفسنا السلامة منه وطريقة ذلك دقيقة جدا ولكنها سهلة وهى تتعلق بتقوية النفس كما يأتي : —

١٩
التطعيم ضد الحب

ما من نفس الا وتشعر بحنان الي كل جميل (الفن) وتود اطالة النظر اليه لتتشبع برؤيته ، وهذا الشعور مختلف التقسيم بين الأنفس باختلاف حسها فيحسن بمن يري في نفسه أستعداداً قويا لتلك العاطفة أن يعدها لحب شريف بأجلى معانيه الشعرية ثم يضرب فى بيداء

الخيال ساعة يفتش عن محبوبه فيري وسرعان مايبصر :شخصاحوي من الصفات أنبلها ومن الأخلاق أكملهاومن السجايا حميدهاومن الغرائز أشرفها ومن المدارك أسماها ومن القوي أقدرها فأن رجلا فبطلا وأن أمرأة فحورية

يرى ذلك ويتخيل أنه منه محبوبا وله محبا فيشعر بالغبطة وألارتياح وعندما يعود إلي مجال الحقائق وفى نفسه أثر من ذلك المحبوب وأوصافه ويقرن بينه وبين نفسه ! وينظر ، أيليق أن يكون أدنى من محبه في شيء؟. ومن ذا الذي يطيق ذلك ؟ . فيميل ألى نفسه يهذبها .ويعدها لمزاملة تلك النفس العالية فيثبت فيها من المحامد مالو حاول أكبر المهذبين غرسها فيه في عشر سنين لعجز ويثقف مداركه وعقله بما يرقيها من الاطلاع والمذاكرة لتتعادل مع مدارك حبيبه السامية أي يسعى بغاية جهده أن يقارب حبيبه فى جميع ماتقدم من الصفات ، وعلي ذلك يرقي عالمه بأتساع مداركه أي يري الجميل والحسن بمنظار أكبر ، فتبقى المرحلة التي كانت بينه وبين حبيبه حيثما كانت (بنظرية المثل الأعلى)فيجتهدأن يدانيه فيرتقى عالمه بأرتقاء مداركه ويرقى حبيبه لأتساع عالمه وهكذا كلما داناه سبقه حتي اذا بلغ الشخص من الكمال الدرجة المحمودة أصبح بحيث لايخشى عليه من حب أو عشق اذ يقبض بيده علي أزمة فؤاده وعنان

قلبه ويتسيطر على عواطفه . وهذا يبقى سليما من داء الحب إلا إذا كان مثله منحطاً جداً ميسور الحصول عليه فى كل مكان فيصاب بالحب الذي يقضي على شرفه وصحته وماله لانحطاط المدارك وفساد التربية

ومن الغريب انا لم نسمع عن العاشقين إلا كل مايزرى بالكرامة ويحط بالقدر ولا نرتدع ! كما انا لم نر أو نسمع أن أرسطو عشق أو إفلاطون أحب أو النبي صلى الله عليه وسلم تدله فى هوي أو أبو بكر أو عمر أو أحد كبار الرجال وصف يوما أنه من العاشقين أما كل العاشقين فمن حثالة الاقوام أو مأفونيهم أما الشعراء ففنيون ليس في أقوالهم إلا جولة خيال محبوكة الأوصال حسنة الوقع والتأثير ولهذا حاول الطائشون تحقيق الخيال فكانوا من الخاسرين

مجلس

في آلام العشق وقصص العاشقين

قال المتنبي

ما العشق الاغرة وطماعة يعرض قلب نفسه فيصاب

وقال اخر

هل الحب الا زفرة بعد زفرة وحر على الحشا ليس له برد

وفيض دموع العين مني كلما بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

قال آخر

الحب مشغلة عن كل صالحة وسكرة الحب تنفي سكرة الوسن

لابن أبي حصينة

والعشق يجتذب النفوس الى الردي بالطبع واحسدا لمن لم يعشق

وقال أبو تمام

اما الهوي فهو العذاب فازجرت فيه النوي فالتيم كل التيم

وللبحتري

قال بطلا وأفال الرأي من لم يقل ان المنايا في الحدق

ان تكن محتسبا من قد ثوي بحمام فاحتسب من قد عشق

ولعبد المحسن بن غالب الصورى

وكان ابتداء الذى بى مجونا فلما تمكن أمسي جنونا
وكنت أظن الهوي هينا فلاقيت منه عذابا مهينا

قال محمد بن عبد الله المبادر

من فتي أصبح في الحب سقاه الحب سما
كلما اخفى جوى الحب عليه الحب نما
يا أخى دائى جوي الحب وداء الناس حمى
لا تلم مفتضحا فى الحب ان الحب أعمى

وقال آخر

من سره أن يرى المنايا بعينه منظرا صراحا
فليحس كاسا من التجني وليعشق الاوجه الملاحا

وقال آخر

ما أقتل الحب والانسان يجهله وكل مالم يذقه فهو مجهول
راح الرماة الى بعض المها فاذا بعض الرماة ببعض الصيد مقتول

وقال اسماعيل بن عمار الاعرابي

عينان مشئومتان ويحهما والقلب حيران مبتلى بهما
عرفتاه الهوى لظلمها ياليتني قبلهما عدمتهما

وللمتنبي أيضاً

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل

ولابن المعتز

وما أدري إذا ماجن ليـل اشوقا في فؤادى أم حريقا

ألا يامقلتي دهيتماني بلحظكما فذوقا ثم ذوقا

ولعلية بنت المهدى

ياعاذلى قد كنت قبلك عاذلا حتي ابتليت فصرت صبا ذاهلا

الحب أول مايكون مجانة فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

أرضى فيغضب قاتلى ماتعجبوا يرضي القتيل وليس يرضى القاتلا

وقال من قال

والله لو حلف العشاق أنهم موتي من الحب أو قتلى لما حنثوا

قوم اذا هجروا بعدما وصلوا ماتوا وأن عادوصل بعده بعثوا

ترى المحبين صرعي في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

قال واحد من الناس

سقتني كأسا أزال الهجو ع وأجري الدموع وازكى الجوي

سقتني كأس الغرام التي أضلت بها فى الهوى من هوي

وكنت بكأس الغرام طرو ب فاصبحت اكرع كأس النوي

وراشت سهام لحاظ العيو ن فاودت بقلبي وغصني ذوي

وحطت لدى جيوش الهمو م وعز التآسي وهد القوي
فما أنا الا يائس الحيا ة بكأس البلايا انتشي وأرتوى

ولأبن عبد القدوس

عاص الهوي أن الهوي مركب يصعب بعد اللين ، منه الذلول
أن يجلب اليوم الهوى لذة ففى غد منه البكاء والعويل

ولابن الفارض رحمه الله

دع الحب واسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضني به وله عقل

أنات قيس العامري

ألا أيها القلب اللجوج المعذب أفق عن طلاب الغيد إن كنت تعقل
أفق قد أفاق العاشقون وإنما تماديك في ليلي ضلال مضلل
تعز بصبر واستعن بخلاله فصبرك فيما لا يدانيك أجمل

***

فان تك ليلى بالعراق مريضة فاني فى بحر الغرام غريق
أهيم باقطار البلاد وعرضها ومالى الى ليلى الغداة طريق
كأن قلبي فيه نار تقادحت وفيه لهيب ساطع وبروق
اذا ذكرته النفس ماتت صبابة لها زفرة قتالة وشهيق

***

(١) قصة زليخا وسيدنا يوسف بنص القرآن الكريم

«وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها»
«حبا انا لنراها في ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن»
« وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج»
« عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشراً»
«إن هذا الا ملك كريم . قالت فذلكن الذى لمتنني فيه ولقد راودته »
«عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من »
« الصاغرين »

والقصة مشهورة فانظر كيف ان امرأة العزيز على مكانها في الملك قد راودت مولاها عن نفسه لما شغفها حبا .

***

(٢) حكى عن محمد بن زياد الاعرابي قال . رأيت بالبادية اعرابيا في عنقه تمائم وهو عريان وعلى سوأته خرقة وفي رجله حبل ومن خلفه عجوز آخذة لطرف الحبل وهو يعض ذراعيه ، فقلت للعجوز ،من هذا؟ قالت : ابن ابنتي ! فقلت لها ! ابه مس من الجن ؟ فقالت : لا والله ولكنه نشأ وابنة عم له في مكان واحد ، فعلقها وعلقته . فحبسها أهلها ومنعوها منه فزال عقله وصار الى ماتري ! فقلت لها . ماسمه ؟ قالت عكرمة .

فقلت . أياعكرمة ماأصابك ؟ قال . أصابني داء قيس وعروة وجميل فالجسم مني نحيل والفؤاد عليل .

نهاية الارب

***

(٣) حكى عن عباس بن عبيد ، قال . كان بالمدينة جارية ظريفة حاذقة بالغناء فهويت فتي من قريش ، فكانت لاتفارقه ولا يفارقها . فملها الفتي وفارقها ، وتزايدت محبتها له حتي ولهت . وتفاقم الامر بها حتي هامت على وجهها ومزقت ثيابها ، فرآها مولاها في ليلة من الليالى وهى تدور في السكك ومعه أصحاب له ، فجعلت تبكي وتقول

الحب أول ما يكون لجاجة تأتي به وتسوقه الاقدار

حتي إذا اقتحم الفتي لجج الهوى جاءت أمور لاتطاق كبار

فما بقي أحد إلا رحمها . فقال لها مولاها ، يافلانة إمضى معنا إلى البيت فأبت وقالت : شغل الحلى أهله أن يعار

نهاية الارب

(٤) . يحكي أن رجلا اجتاز بباب امرأة نصرانية فرآها فهويها من وقته ، وزاد الامر به حتي غلب على عقله فحمل الى البيمارستان . وكان له صديق يتردد اليه ويترسل بينه وبينها . ثم زاد الامر به فقالت أمه لصديقه اني أجيء اليه فلا يكلمني ، فقال :تعال معي ،فأتت معه . فقال له : ان

صاحبتك بعثت اليك رسالة ، قال : كيف ؟ قال : هذه أمك تؤدى رسالتها . فجعلت أمه تحدثه عنها بشيء من الكذب . ثم زاد الامر عليه وقد نزل به الموت ، فقال لصديقه : قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبتي في الدنيا ، وأنا أريد أن ألقاها فى الآخرة . فقال له : كيف تصنع قال ، أرجع عن دين محمد ، وأقول عيسي ومريم والصليب الاعظم فقال ذلك ومات

نهاية الارب

* * *

٥ — يقال أن ابن ملجم رأي امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام ، كانت من أجمل النساء ، وكانت ترى رأي الخوارج ، وكان قد قتل الامام على قومها يوم قهروان فلما عشقها ملجم وخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة ألف درهم وعبد وقنيه ، وأن تقتل علي بن أبي طالب . فحمله العشق على ان خسر الدنيا والدين وفى ذلك يقول الشاعر .

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة كمهر قطام بيننا غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقنية وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من (علي) وإن علا ولا فتك الا دون فتك بن ملجم

* * *

٥ — يحكي أن عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن

مروان بن عبد الرحمن الناصر ، ويعرف بالطليق . ـ كان يتعشق جارية كان أبوه قد رباها معه وذكر أنها له ، ثم استأثر بها وخلا معها . فحمله العشق على أن انتضي سيفاً ورصد أباه فى بعض خلواته بها فقتله . فسجنه المنصور بن أبي عامر سنين . ثم أطلقه فلقب بالطليق . واعتراه من ذلك شبه جنون فكان يصرع فى بعض الأوقات .

* * *

٧ — قال الراوى

بينما ابن عباس رضى الله عنه في عشية عرفة ، إذ أقبل فتية يحملون فتي من بني عذرة في كساء وهو نحيل البدن ، من أحلى من رأيته من الفتيان فوضعوه بين يديه ثم قالوا : استشف لهذا يا ابن عم رسول الله ، فقال : وما به ؟ فترنم الفتي بصوت ضعيف خفى الأنين وهو يقول : —

بنا من جوى الأحزان والحب لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة معول ... على ما به عود هناك صليب

وما عجب موت المحبين في الهوى ... ولكن بقاء العاشقين عجيب

ثم حمل فمات فى ايديهم فقال ابن عباس : هذا قتيل الحب لا عقل ولا قود .

* * *

٨ — عن الاصمعي ، قال رأيت بالبادية رجلا قد دق عظمه وضؤل جسمه ورق جلده . فتعجبت ودونت منه أسأله عن حاله . فقالوا : أذكر له شيئاً من الشعر يكلمك ، فقلت

سبق القضاء بأني لك عاشق حتي الممات فأين منك المذهب

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته ، ثم أنشد يقول :

أخلو بذكرك لا أريد محدثا وكفى بذكرك سلواً وسرورا

فقلت له : أخبرني عنك ! قال ان كنت تريد علم ذلك فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة ، ففعلت . فأنشد يقول بصوت ضعيف يرفعه : —

ألا ما للمليحة لا تعود أبخل بالمليحة أم صدود

فلو كنت المريضة كنت أسعى اليك ولم ينهني الوعيد

فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فألقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك فلما خفت عليهما الفضيحة ، فرقت بينهما فاذا هما ميتين

. . .

٩ — كان أبو عبد الله الجيشاني يعشق صفراء العلاقية وكانت سوداء ، فاشتكي من حبها ، وضني حتي صار الى حد الموت ، فقال بعض أهله لمولاها : لو وجهت صفراء الى أبي عبد الله الجيشاني ، فلعله أن يعقل اذا رآها . ففعل ، فلما دخلت عليه قالت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : بخير مالم تبرحي ؟ قالت : ما تشتهي ؟ قال : قربك . قالت : ما تشتكي ؟ قال : حبك . قالت : فتوصى بشيء ؟ قال : نعم ،

أوصي بك أن قبلوا مني . قالت : اني أريد الانصراف . قال . فتعجلي ثواب الصلاة علي . فقامت منصرفة . فلما رآها مولية تنفس الصعداء ومات لساعته .

* * *

١٠ — حكي عن أبي يحي التيمي ، قال . كنا نتخلف الى أبي مسعر ابن كدام ، وكان يختلف معنا فتي من النساك ، يقال له أبو الحسن ، ومعه فتي حسن الوجه يفتتن به الناس اذا رأوه . فأكثر الناس القول فيه وفي صحبته اياه . فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلمه ، فذهل عقله حتي خيف عليه التلف . فلقيته فأخبرته بذلك ، فتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول

يامن بدائع حسن صورته تثني اليه أعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بأمنهم وشقيت حين أراك بالفرق

ثم صرخ صرخة وشخص بصره نحو السماء وسقط الى الارض ، فحركته فاذا هو ميت .

* * *

١١ — ومما يحكي عن العاشقين أن رجلا هوي جارية له وكان كبير السن فخشي أن مات تمتع بها سواه فقتلها وأحرقها وصنع من رمادها قدر اصار يشرب فيها !!

١٢ — وقريب من هذه الحكاية ماروته احدى المجلات الفرنسية

من أن بحارا صحب زوجه في بعض رحلاته حتي اذا كانت سفينتهما وسط اللجة ثارت زوبعة مخيفة فخشي الرجل غرق زوجه فما كان منه الا أن قتلها وأكلها حتي اذا غرق تكون فى جوفه !

* * *

ثم ان الجرائد لا تفتأ تذكر لنا المدهشات من الحوادث التي أساسها الحب وما أظن أن حادثة : ـ

١٢ — الدكتور محمد عبد المجيد بغانية عن الاذهان ،ذلك النابغة المصرى الذي قتلته عشيقته الفرنسية لما هجرها ويئست من رده الى وصلها، فبلغ بها جنون العشق الى ان قتلته رميا بالرصاص .

* * *

١٤ — ولا زالت الصحف تطنطن بخبر تلك البولونية التي أمدها الحب بجرأة حتي استطاعت أن تصوب مسدسها الي قلب من تهوي لتقضي علي حياته فتريحه من آلامه المبرحة التي يعانيها !

* * *

هذا وحوادث العاشقين أكثر من أن تعد وأشهر من أن تذكر فلنا فى كل ساعة حادثة وفي كل خطوة مشهد غريب أنما الحب ربه ومثواه

الفصل السادس

— ٢٠ —

نجواهم!

لو أوتيت قوة الوقوف في عدة مجالس للشباب الناهض في ساعة واحدة أوالسماع لعدة أفراد . ماخيل اليك إلا أنك تسمع نغمة واحدة ترددها عدةأبواق !وذلك أنه أصبح لاحديث للشبيبة فى نجواهم وسمرهم سوي لغو القول واللغط بالاعراض وانتهاب الحرمات .فاذا ماغدت غادية أوراحة رائحة التفت كل الى الآخر يقول من هذه ؟ فينبري أحدهم ذاكراً أهلها فرداً فرداً ثم يقول : ولى معها قصة بديعة ! أولم تروا كيف كانت نظرتها إلي؟، ثم يدوي فى آذان الحاضرين بقصته المقتطفة من الف ليلة وأحط خيالا حتي انك تود لولا حرمة القانون أن تشبعه بالنعل ضربا فوق أم رأسه جزاء له على قصها فقط ، وقديغلب أن تكون من قذائف خياله السافل فلم يعرفها أويرها من قبل ولكن حب الاثارة كذبا قد تربع بعقله حتي ليقضي الشاب منهم تسعة أعشار وقته في هذا الحديث دون ملل ،ولو حدثته فيما ينفع لنأى عنك بجانبه وكنت من المبغضين وأما إن تنازلت الى جدله فى حديثه والتدقيق في قوله وقربت

من كشف ثوب كذبه رماك بالجهل بأمور الرقي والتمدن ، لأنك لا تخالط سوي قدماء القوم الغابرين . وأما هو فيجب عليك أن تأخذ قوله كما يلقيه لأنه من معاشري العصريين أصحاب الرقي مختكري التمدن آخر (طرز)

وتري كل منهم عاشقاً يبكى غراما ! متيما يشكو هياما معذبا فى الهوي يعدد آلاما ، ولو تنقبت الحقيقة ما وجدتها إلا كلاما أو فسقا حراما ، فان جاريتهم سمعوك وآخوك وان حاولت زجرهم باعدوك وبالكبر وجميع المسالب قذفوك . وما نشأ ذلك إلا من فساد التربية وسوء التعليم وخلل عوائدنا القديمة التي شببنا عليها وفي دائرتها وكلما سارعنا في الخلاص منها وقعنا فى هوة الافك حبا فى التقليد الاعمى لمن نرى أنهم مثلا أعلى . . . . ! ولربما أنا واهمين .

المبحث الثالث

الفصل السابع

٢١

فساد العائلة

نستخلص من المبحث الأول والثاني ، أن علة تدهورنا الاجتماعي وانحطاطنا الاخلاقي هي فساد تربية العنصرين ! ! لهذا كان المتبادر الى الذهن أن تكون التربية موضوع هذا المبحث ، ولكن اتباعاً لطريقة الاستقصاء والذهاب وراء علة كل معلول نرى . أن فساد التربية نجم عن فساد العائلة الناشيء هذا عن خلل في تكوينها وغلط فى تأليفها أي فساد طرق الزواج عندنا

ولو أنك ألقيت الطرف يوماً الى المحاكم الشرعية منها لرأيت الجموع الحاشدة والآلاف من النساء والرجال متهالكين في خصوماتهم ! وما هم الا الرجل وزوجه والمرأة وبعلها ! وهؤلاء رغم عظم عددهم ليسوا إلا جزءاً ممن احتوتهم المرابع وآوتهم المساكن وهم على الشحناء مقيمين وفي التنابذ مغرقين ، يتمني كل من كل الخلاص فلا يهتدي اليه السبيل منعتهم ظروفهم من التقاضي حرصاً على حشالة الحياء وضنا بالمال أن ينفذ

با سر أن ينقضى ولم يفصل بعد في شكاتهم !

وزوجان تسا كنا على هـذه الحال دون أن يظلهما شيء من وفاء الزوجيـة أو اليسير من الاخلاص فى العشرة، يبذل كل ما استطاع من كيد نكاية بالآخر حتي يهلك في ذلك ماله ووقته ! ؟ فهل يجد ان وقتاً أو مالا لاصـلاح حال أولادهما ! زد على ما يفلت من أحدهما في حق الآخر من سيء القول ورديء الفعل أمام أطفالهم التعيسين ـ مع أني لن أكون منأدباً أكثر مني فى حضرة أولادي ـ فتنبت في نفوسهم بذرة الشر التي تغدو دوحة الاثم يوماً فتكلم أفئدتنا وتدمى قلوبنا

ولو أن هذه العائلة أسست على دعائم صالحة من الولاء والاخلاص، بقبول من الطرفين ورضا الزوجـين لوجدا من ميلهما وودهما مبعثاً لراحتهما ودافعاً لتعاونهـما على ما تتطلبه هـذه الحياة فيتعهدان الطفل بالاشتراك بما يجعله قرة عينيهما وكعبـة آمالهما ومرآة حبهما ولأعطيانه من نفسيهما خير مثال يحتذى به فى حسـن الأدب والمعاملة مع الناس واحترام كل الآخر . حتي يصبح رجلا يفيد بلاده بعزم صادق . ولن تكون هذه العائلة الا باصلاح طرق الزواج

الفصل الثامن

٢٢

الزواج (١)

خلق الله الذكر والأنثى وأوحى بقرانهما ماأوحى وجعل الزواج عروته الوثقي وخصه بالنعم العظمى والجزاء الاوفي . الزواج رابطة الجنسين ومحك اتصال النوعين وموحد القلبين وعلة بقاء الثقلين على كر الجديدين به يستكمل المرء نقص نفسه ويريح قلبه ويسعد فؤاده ويسر نظره ويتمم بدنه ، به يستنهض المرء همته ويقوي من عزيمته وينشط مروءته ويجهد قدرته لهناء أسرته

بالزواج يصبح الرجل وليا وربا وأبا . ولي لزوجه ورب لبيته وأب لولده . فالزواج سر خلق الرجل والمرأة ووحى العاطفة الانسانية قبل الغريزة البهيمية ، به يتخذ الرجل معينا أمينا وجليسا أنيسا ، به تكون العائلة ومن العائلات تتألف الأمم ، حقا انه لعمل جليل

---

(١) هو عبارة عن وفاق مفهوم أو مشهود به بين ذكر وأنثى على ان يرتبطا رباطا وثيقا يتعاضدان به على تأليف هيئة جديدة ويتشاطر ان ماناهما من السراء والضراء وغايتهما انما هي انماء الجنس البشرى قياما بما سنته العناية من نواميس الطبيعة . (دائرة المعارف)

الزواج أمر لابد منه تسوق اليه العواطف والغرائز، فيشعر الرجل منذ تحركت بقلبه المشاعر وتأججت بفؤاده الوجدانيات أنه فى حاجة الى الف يشاركه خطرات قلبه ونفثات صدره ، ولا يزال هذا الشعور ينمو بنمو الاحساس فيه فيهيم باحثا عن ذلك الالف الخدين أو الشطر الثانى للانسان الكامل فاذا هو : المرأة، ولا يجمعهما غير الزواج ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولو أن للرجل أن يحيا منفصلا عن المرأة ودون حاجة اليها ما خلقت لآدم حواء لتعوضه عن جنة الخلد بحلاوة الابناء وسعادة الولاء وطيب الهناء، ولو كان لآدم منفرداً أن يعمر الكون ما وجدت بيننا النساء

وهل خلقت المرأة لغير الزواج ؟ به يضمها الرجل الي جنبه ويلصقها به لتعاونه على هذه الآلام الدنيوية ويشدا أزر بعضهما بعضا ويقوم كل بما ينفع صاحبه ويرضيه فما أجمل الزواج وما أحلاه

تخيل أن لك زوج تود لقياك وتحن لمرآك ترقب مجيئك بفارغ صبر وتستقبلك بوجه وضاح يعلوه البشر والانشراح. فاذا كنت بعيداً تخيل أن هناك قلباً يخفق لك وانك تسمع نغماته الودية .

تخيل كيف تكون زوجك بين يديك تعي كل اشارة منك وتفقه كل بادرة تأتيها لا ترجو إلا سرورك وراحتك

تخيل كيف تقاسمك حبورك وترحك وكيف تجتهد أن تزيل عنك الاتراح ان كان ذلك فى وسعها ، تخيل أنها لا تتكلم إلا من فؤاد مخلص وسريرة نقية وقابلها بالمثل تري أن الزواج من أجمل ما أفاضه الله على خلقه

— ٢٣ —

الغرض منه

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فليس الزواج لمجرد الشهوة البهيمية كما غلب على عقول الكثيرين فاستعاضوا عنه بالفسق ، إنهم لفى ضلال مبين ، جروا وراء شهواتهم وهم لا يشعرون بما حرموه من سعادة الالفة الزوجية ولذة المودة القلبية ! وما دام قضاء الشهوات ميسوراً لهم هان على هذه الطغمة الاعراض عن الزواج جهلا وغروراً . وليست الشهوة الا احدى لذات الحياة الزوجية وان لم تكن غرضا لذاتها بل لنتائجها التي أهمها الولد والنسل ، وانما منحنا الله الشعور بتلك اللذة حين القيام بهذه العملية شاقة تخفيفا لآلامنا وتشويقا لنا ، ولولا تلك اللذة الوقتية لأعرض الرجال عن الوطء فانقرض النشىء وباد العالم . فتعس الذي ظن سعادة الزواج في النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تناسلوا

فاني مباه بكم الامم يوم القيامة» وليس الذين قضوا على النسل وأبتغوا الشهوات إلا من الأشرار المجرمين . عجبا ! أنسوا من المرأة رقتها ولطفها وطيب مودتها وحنانها وحقيق اخلاصها ولذيذ سمرها ! ألا يعرفون منها الا ما يعرفه أحقر الحيوانات من أنثاه

اللهم أن هناك بعض فصائل من الحيوان تكره حياة السفاح وقد اختض كل ذكر بأنثى يتبادلان كل المنافع باخلاص أكيد، ولو فرض أن طرأ على أيهما طاريء فما أمر حياة الآخر بعده ان لم يقض عليه أسفا

فاللهم ماأعجب هذه العقول ! أفبعد ان يؤمن الحيوان والطير بسعادة التزاوج ولم يطالب مثلنا بطهارة الاعراض وسلامة الانساب يقوم منا المأفونون يبغون ماانتبذه الحيوان وقد أحل له وحرم علينا ! مزر والله ! يهيء الله لنا سبل الكمال تماسن لنا من سنن كاملة وشرائع طاهرة فنحيد عنها عنادا وكفرا ! فاللهم انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

٢٤

اعتقادهم في الزواج

الرجال اليوم فريقان معرض عن الزواج وراغب فيه . أما الفريق الأول فهم أدعياء التمدن مروجي وباء السفاح أعداء العمران ممن خلبهم

شارع العاشقين بلندره وهيدبارك . وعلى يدهم وبمبدئهم الفاسد الذى لو قدر له الانتشار لقضى على هذا العالم القديم قضاء محتوماً ، فاللهم ارحم

أما الفريق الثاني فذي ثلاث شعب : من ينظرون الي الزواج من ناحية الشهوة البهيمية فقط ولا يطلبونه ألا من أجلها، وزواج هذا الاعتقاد أساسه قل ان يعمر طويلا ان استمر هذا غرضه ، ثم ان طال أجله لا مر ما فعلي مضض ونفور يصحبه ألم ، ولما كان هذا هو الرأي الغالب فينا فقد تفشى الشغب فى العائلات وعم الشقاق كما يؤيد ذلك الواقع. ثم من يرغبون فيه فتمنعهم ظروفهم الاجتماعية والشعبية أولياء الامور مع فساد الجو العملى والفكرى ! وآخرون يطلبونه سعيا وراء غنم شخصى دنس لا يتفق مع الكرامة والاباء فى شيء وقل من يرجونه لما وجد له ! ؟

أما المرأة فليست بأرقي من الرجل في فهم سر الزواج والغرض الحقيقي منه الذي أوضحناه . بل انها لاتري الرجل الا بعين شهوتها وبمنظار غلمتها ، ثم انه ليس إلا عائلها الذي يعولها ويكسوها مقابل انصياعها له ، وعلى ذلك فهى انما تبادله المنافع المالية الشخصية واحدة بواحدة دون أن يكون هناك أدنى رابطة روحية توثق عروة المودة القلبية بينهما ولهذا قل ان تحرص مثل هذه الزوج علي مصالح بعلها حرص المبقى على الشيء المؤمل في غده لانها تري أن ليس بينهما الا علاقة أوهي من أن تحمل كلمة من فيه ولم ينشأ ذلك الا من سوء تصرف الرجل

٢٥

الثقة الزوجية

الثقة هى غذاء كل العواطف وري حبات القلوب وعماد المعاملات مادية كانت أو أدبيـة . فالمالى غير الموثوق به مقضي عليـه بالافلاس والأدبي العارى من الثقة محتوم عليه الخمول، كذا كل عمل لم ترفرف عليه ألوية الثقة فمآله الفشل، حتي أن جميع المشاريع والمخترعات القيمة لم يبرزها الى حيز الوجود غير الثقة ، ولهذا نرى العلماء والمخترعين والزعماء السياسيين يبذلون جهودهم لاكتساب الثقة باشخاصهم وفى آرائهم لتحوز روعة الحق وبهاءه

* * *

وأي عمل تري أجل وأعظم من تأسيس عائلة هى بمثابة ركن من أركان الأمة ،وكيف يعقـل أن تشاد أمة بغير ثقـة ! وقد قضت سنة الاجتماع أن حسن الظن من أكبر دواعى حفظ الامم ورقيها

وأين مجال حسن الظن اذا كونت العائلة على النفرة والـكراهية ، أين مجال حسن الظن اذا كان رأي الرجل في المرأة أنها من سقط المتاع وهى انسان كامل الخلقة تام الأضلاع مكلفة أمام الشارع بما كلف به الرجل دون نزاع، أين يكون حسن الظن اذا رأت المرأة فى الرجل المستبد

المطاع ، وأين يكون حسن الظن اذا رأى الرجل أن المرأة والشيطان سواء و (الرجال قوامون على النساء) ، أين حسن الظن اذا رأى الرجل المرأة عبئاً على كاهله يخاف عليه ولا يؤمن اليه وتراه يطلبها وهي رخيصة عليه يراقبها ولا رقيب عليه، أين مجال حسن الظن وهو لا يرى الا أن المرأة والشهوة البهيمية سيان فلا يعرف منها أو يطلب سوى فرجها كما أنه يتخيل بل يكاد يجزم أنها لا ترجو منه الا فرجه ! وقد صنف سادتنا السابقون سامحهم الله من الخرافات السقيمة والقصص المسممة التي صورت المرأة عارية من كل الفضائل لا تميل بغريزتها الا الى الخبائث فتسممت بها عقول الرجال وأثبتت سوء ظنهم بالمرأة .ولم أدر كيف أن هؤلاء السلف عملوا على أن يوسعوا بل ينشئوا شقة خلاف بين الزوجين الذكر والأنثى ! أليس ذلك بقاض على حسن الظن؟ وهل بغير حسن الظن تعمر القلوب ! وبعمار القلوب تعمر البيوت فترقى الأمة

الفصل العاشر

— ٢٦ —

شقاء العائلات

الحياة الزوجية

مامن شاب الا ويفكر ساعة فى الزواج ولو لأحد الأسباب والدوافع التي ذكرناها ، ولكنه لا يلبث أن يسمع من آهات المتزوجين وأنات المتأهلين ما يمحو لذيذ أحلامه

وقل أن ترى اليوم متزوجاً لا يشكو متبرما ويتأفف متألما كأنه على السعير مقيم وفي الرمداء دفين ! صرخة تكاد تصم ونزعة تكاد تعم . فما أسبابها وما علتها وكيف يكون علاجها ؟

كتب فى ذلك كثيرون منهم من حاد عن جادة الرشد ومنهم من أصاب لب الحق ، لكنهم لم يضعوا أنفسهم موضع الأساة واكتفوا بالصراخ والعويل والنحيب والتهويل ! فهل تزيل دموع البكاء ألم الداء أو تخفف عبرات العيون من خطر المرض والوباء كلا وألف كلا ! نعم ان الأمر مبك والحال تتقطع لها نياط القلوب. حتي لا يفكر فيها أمرىء الا وعيناه تذرف مدامع الحسرات وقد حشرج صدره بغصات

وزفرات نعم ان الحال تحتاج نادبا وناعيا . يندب لنا أحلامنا وينعي علينا أفئدتنا ! ! !

* * *

يتوجع المتزوج جهارا علي رؤوس الملأ ولا يدرى أنه بذلك يقدم أعترافا على سوء تصرفه واقرارا بعجز ادارته فيقيم الدليل على قصر نظره وعدم ادراكه لمعنى الحياة

وأن للحياة المنزلية لسياسية واسعة النطاق وتدابير وأجراءات تطلب من الحزم والتفكير مثلما تتطلبه سياسة الدول والحكومات حتي قالوا أن البيت مملكة صغيرة . ويتكون من مجموع هذه الممالك الصغيرة جسم المملكة أو الدولة التي ترجع سياستها غالبا الى ما تكون عليه حالة بيوتاتها، والرجل وحده هو المسؤول عن سياستها فهو رب البيت وصاحبه والرأس الأعلى فيه ، فمما يشكو وحقا أن تكون الشكوى منه ! أنه يئن تحت عبء المسؤلية التي لم يقدرها عند أقدامه علي الزواج !

أنه يشكو ممن ألزمها أن توقف له حياتها ولا يريد أن يمنحها من وقته أو ماله أو أهوائه شيئاً !

أنه يتبرم ممن قيد حريتها وحبس أهواءها ولا يميل الى النزول لها عن شيء من حريته وأهوائه !

انه يتأفف كلما خال الزواج قيدا وتوهمه سجنا لشهواته ومفاسده !

دقق النظر في شكوي البعل فهو لا يستطيع أن يحصرها أو يحدها بل لن يمكنه أن يعينها لك أنها من أعمال المرأة أو من المرأة نفسها أو من غيرها، والحقيقة أن المرأة اذا كانت من وسط زوجها لن تكون سبب شقاق لولا سوء تدبير الرجل . فان الفتاة عندما تنتقل من دار أبيها الي بيت بعلها تكون فى حالة تشبه المعدن الذائب على أهبة أن يصب في أي قالب يريده الزوج ، حتي انها تكيف نفسها لما يلائم مزاج وليها فى ظرف وجيز، فواجب الرجل أن يحرص على الأيام الاولى من أيام زواجه لأنها ستكون كبرنامج لحياته الزوجية فيما بعد ، فيها تدرس المرأة عاداته وأخلاقه وتطبعها فى نفسها .

وكثيرما يتكلف الرجل في شهر العسل أخلاقا غير أخلاقه وخصالا غير خصاله وأعمالا ليست من جهده ولا من طاقته ثم لا يلبث بحكم الضرورة أن يحيد عنها راجعا الى طباعه وعادته فيجد بينه وبين حليلته فروقا هو الذي كونها ، تكون بذرة الشقاق وعلة شكاته ، وعلى نفسها جنت براقش . ولو انه ظهر من أول أمره بدون رياء بأخلاقه وطباعه الحقيقية لعرفت من هو زوجها وعملت على ان توافق مشاربه، أما وقد ظهر لها فى ثوبين فقد أربك عليها أمرها وغدت فى حالة تشبه أمر الغراب!

ليس هذا كل ما يأتم الرجل مدي أيام حياته بل ان أفكاره ومعتقداته وآرائه لذى أثر بين في حياته الزوجية ، وعلى قدر صحة ماله من

الافكار تكون سعادته أو شقاؤه. ومن أكبر اغلاط الرجل أن يطالب الزوج بواجبات كثيرة قد تكون غير مسؤلة منها ثم أنه يهمل في قسطه من الحياة الزوجية جاعلا نفسه في حل من ذلك الاهمال لعدم تمكن المرأة من سلطة تضطره بها الى اداء واجباته غير انه بذلك يولد فى نفسها فكرة امتهانه لها وقل ان يحمل مخلوق مهما صغرت نفسه هوانا، فيكون ذلك داعيا لاهمالها راحته فاذا ماأحس بذلك لايحاول اصلاح خطئه بل يزيد الطينة بلة بتماديه والتجائه الى طرق يزعم فيها راحته وهى أكبر إرة (١) في سعير العائلات

٢٧

واجب الرجل

لايريد الرجل أن يكون مدينا بواجب ما نحو المرأة وهو يميل أن يجعل كل رغباته واجبات وفروضا عليها مع ان واجبات الرجل ما أقلها، ولكنها هى على قلتها مهر واجبات المرأة الجسيمة العظيمة.

ان من الصعب تحديد تلك الواجبات تفصيلا ولهذا سنجمل الاشارة اليها فى أهم مواضعها: فانك ترى فى كثير من العائلات عدم ميل المرأة للتوفير حتي لتجتهد بكل حيلة لتبديد أمواله بدون حرص

(١) إرة هي الحفرة الملأى بالنار

فيظن الرجل المسكين ان ذلك من نشأتها وتربيتها! ولربما كانت تذكر اله في أحاجيها عادتها في بيت أبيها ! والحقيقة أنها كاذبة. إذ فعلت مافعلت لما رأته من عدم اقباله على بيته حتي فضل عليه القهوة أو (البار) أو احدى المحال العمومية .

وقد يعتاد الرجل قبل زواجه قضاء أغلب أوقات فراغه متنقلا بين محال اللهو حتي اذا تزوج لم يجعل لزواجه تأثيرا على تلك العادة المرذولة واستمر متابعا خطته العوجاء غير ملتفتا الى قسيمته فى الحياة التي أصبح مطالبا بانسها وسمرها وطربها واسعادها من جميع الوجوه ، وان ساعة يقضيها الرجل بين جدران داره في مناجاة حرمه لأجدي عليه من مائة ساعة يقضيها بين أمكنة اللهو ومراتع الرياضة و (نعم صومعة الرجل داره) حديث

فهى اذاً تندفع الى تبديد ماله حرصا عليه ورغبة في ابقائه لنفسها لأنها تري في ذلك رأيين . أولهما : انها ان لم تبدده هي بدده هو في محال اللهو والفساد دون أدنى عائدة عليها أو عليه اذ يهلك المال بذلك تماما . أما هي فان أسرفت فى زينتها وحليها فاغلبه باق لها وهذا دون شك أخف من الاول خطراً .

وأما كانت تخشى ان يتزوج من ثانية . وهذه الافكار السخيفة ما لوثت عقول المرأة الا بعد تجارب عديدة! اذ تكون المرأة آمنة مع بعلها

وبدون أدني سبب تري أو تسمع أنه تزوج بثانية! وهذا أمر كان شائعا ولا زال تتعثر في اذياله بين الطبقة الوسطي والتي دونها وفوقها أيضا

ثم ان كثيراً من الرجال ينظرون الى أزواجهم نظرة مصغرة فلا يميلون الى سترها أو مبادلتها القول وأن تكلم فبالأوامر والنواهي بكل شدة وجفاء وبالفاظ ليس فيها رائحة الاحترام أو المحبة

انما المرأة مرآة بها كل ماتنظره منك ولك

مثل هذا الرجل لا يلقى من زوجه أدني عاطفة او احترام وان أظهرت له طاعتها فقد أخفت كراهية وسخطا شديدين لا تلبث أن تبثهما في نفوس صغارهما فيشبون الاولاد علي خوف وكراهة أبيهم فان محبة الاولاد لابيهم من محبة أمهم ؛ وقل أن تصلح لهذا المسكين تربية فقد لا يسمع كلمة حق صريحة لم تمددها حرارة الخوف او تقلصها رطوبة الحذر .

وقد قال الله تعالى فى كلامه الحكيم

«قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم»

فالرجل العاقل يقدر أنه بزواجه سينتقل من طور العزوبة الى طور الزواج فيصبح رب بيت ورئيس أسرة عليه هو أن يسعى لراحتها بكل ما استطاع من قوة ولن يمكنه معرفة ما تتطلبه الاسرة الا بملازمته لها وبملاحظته اياها ، والمرأة كالصبي تفرحها كلمة وتغضبها نظرة ، تخيفها

الشدة ولا تقومها ويفسدها التراخي ولا يسعدها، وليست سياستها بالامر الهين وليس كل متزوج رب بيت وهو فطير الرأى غرير العقل في حاجة الى التثقيف لأنه ويا للأسف لم يتلق عن أبيه شيئا بل وما نقل عنه الا كل فاسد لا يصلح ومع ذلك تراه قد جفخ وشمخ وحسب نفسه عالم الاولين والآخرين حتي اذا فاهت زوجه بكلمة - بحسن نية - أولها الى غريب المعاني وأسفلها الها كأنه بين اخوانه في ماخور أو (بار) لقرب عهده به ولشدة تأثيره عليه ، مهلا أيها الرجل ! ان المرأة لم يصل علمها الى حد الالمام بنكت (الغرز) و(قفش) الحانات حتي تحاسبها على كلامها كأنها إحدى جلسائك بالحان امام الدنان ، نعم انها جرحت احساسك ولكن بدون قصد فعفوا الأنها لا تفهم من عبارتها الا ظاهر معناها وليس لها سابقة اطلاع علي علوم التورية البلدية !

نعم عزيزي القاريء : ان كثيراً جداً من الرجال يشقون أنفسهم بتأويل كلمات نسائهم على حسب قواعد التورية البلدية التي لن تصل اليها أرقى متعلماتنا وقد تلم بها جيداً المومس وبائعة البرتقال والممثلة ، فخير لهم لو عاملوها بعلمها لا بعلمهم والا اضطرت الى لزوم الصمت وامتنعت عن ذكر ما يختلج بنفسها من شكوى أو ذكرى فيبغض اليها سمر زوجها وتكون من البائسات

وقد ينظر الرجل الى كثير من الامور المنزلية العائلية بدون اكتراث ولا يعيرها أدنى اهتمام لأنها من صغار الأمور وسفاسف الاشياء في نظره وقد

تكون هذه الاشياء البسيطة الواهية كما ادعى أكبر أثر في النفس والعواطف مما قد يوليه اهتماماً كبيرا . فلو اعتاد أن ينادي زوجه بما يشعر بالاحترام والمحبة واذا أدت اليه عملا ولو بسيطاً تقبله منها باسم الثغر ضاحك السن ولا بأس من أن يقول لها كلمة شكر فاذا أراد أمراً قاله بصفة استحسان أو استشارة مصحوبة باظهار رغبته في تنفيذه، واذا نهاها عن شيء كان في قالب نصيحة مبيناً مساوىء ومضار ما ينهي عنه محاولا أن لا يلبس ثوب المستبد الغشوم. على أن لا يغفل التنبيه على كل صغيرة وكبيرة في ثوب قشيب وأسلوب رقيق. ويبادر باستجلاب ما تشتهي قبل أن تطلبه وان طلبت أمراً فليسارع بتنفيذه إن لم يك مضراً أو مفسداً وان لم يكن في استطاعته. وبعض النساء سريعات الغيرة يملن الى التقليد لجأ الى استقباح هذا الشيء بأسلوب لا يشعرها بأن ذلك بناء عن طلبها وانما بمجرد ذكر وانتقاد. ان من لانت كلمته وجبت محبته . ومن أكبر ما يستجلب رضا المرأة عن زوجها ويكون دعامة المودة بين قلبيهما أمر قد لا يذكر صراحة إلا في حالات الانفعال ، مهلا أيها القاريء فليس هو بالذي تبادر الى ذهنك أنما هو الأكل ونظامه ومما لا شك فيه أنك لو خيرت الزوج بين أن تأكل أفخر الأطعمة على انفراد وأن تأكل أحقرها مع زوجها لفضلت الثاني بلا أدنى تردد. حتى أن كثيراً من السيدات اللائي اعتدن الأكل مع أزواجهن لا يتلذذن بالطعام ان

غاب بعولتهن افليجتهد الرجل قدر استطاعته في أن يكون شريك حليلته في أوقات الطعام ، ثم استسمح المبطنين والشرهاء في أن أستحسن لو آثر الرجل زوجه على نفسه فمنحها بيده خير الموجود محاولا أن يشركها معه في كل لقمه وقضمة . اما الذين يقولون بان المرأة هي التي بيدها كل شيء وهي التي تجود بها علي رجلها فقوم أعماهم حب النفس حتي عميت أبصارهم عن طباع المرأة التي ألمحنا اليها أعلاه افهي ان كانت من الاغنياء وقد طبخ الخدم وجهز الطعام لا تقربه حتي يحضر زوجها ثم لا ترضي أن تسابقه الى طيبات الاطعمة وهي لا شك أدري بها منه وبالأولى ان كانت تصنعها بيدها

أما ان رأت منه ذلك الشره والا شعبية اضطرت ان تخص نفسها بما تشتهي وبذلك ينهدم ركن كبير من توافق الزوجية ، أما الوسلك السبيل التي نرشدها اليها رضيت عن طيب خاطر أن تخصه بأفخر شيء وخصوصا اذا كانت طاهية بيدها اتحفته بجد واجتهاد بكل ما لذ وطاب ، زد على أنه قد ملك بذلك نفسها وعواطفها إذ تذكر دائما أنه يقدمها على نفسه في طعامه . وهذا أمر عندهن جسيم يذكرونه دليلا على فرط المحبة والاعزاز وتتأثر بذلك عواطف المرأة الوجدانية وقوة المرأة منصرفة في عواطفها وبذا يسلس قيادها وتلين شكيمتها . ولكن احذر كل الحذر من التصريح بهواك لها جهاراً أو ذكر سالف خدناتك وخليلاتك أو استحسان

امرأة قابلتها أو رأيتها في الطريق، وابعدها قدر المستطاع عن الروايات الغرامية السافلة إن كانت ممن تقرأ، واجتهد قدر طاقتك ان تشغل وقتها كله فلا تدعها خالية أبداً وحاسبها على الوقت من طرف خفي وكن دقيقا حذرا منتبها واعيا لا تجابهها بشكوكك أو ظنونك ، ولا تفرط في غيرتك إلى درجة سوء الظن ولا ترخي العنان إلى درجة الاباحة، واجعل نفسك مسؤولا أمامها ليسهل عليك أن تسألها واخلط بين الجد والهزل معها اني شئت ألا أمام الناس وأولادك ، واجتهد أن تعاونها من نفسك في كل شيء ولكن لا تسمح لها أن تكل اليك مالا يخصك، واعلم بان الزوج خير من الصديق فما كتمته عنها لا تبحه لصديقك فهي أحرص الناس عليك بعد أبويك

٢٨

واجبات المرأة

هنا كلمة أود أن أسرها لأختي فتاة وادي النيل محاولا قدر ما استطعت أن أكون رقيقاً متأدباً في حديثي لعلي أقنعها بما أريد ، نعم ان مدارك بنت مصر العالية ليست في حاجة لنصيحة ضعيف مثلي واني لم أتقدم بهذه لأكون مرشداً أو واعظاً حاشا لها وهل هي في حاجة لوعظ واعظ أو ارشاد مرشد وقد طبق الخافقين علمها وبلغ السماكين أدبها ورقيها ومن ذا الذي يتجارأ على نكران ذلك ! وهل أصابته عمة فلم يبصرها في الطرقات وقد سابقت الرجال في تقليد عادات أبناء المغرب فبرزت في ميدان . . . . . ولم تدع باباً من أبواب الرقي الحديث إلا كانت أول والج فيه ولا ضرباً من ضروب التقليد . . لأبناء وبنات الغرب الا وهي أول مقدم عليه !! ماذا جرى وما الذي أقام بعض المتهوسين ! لقد نظرت المرأة المصرية (بواسع) نظرها فرأت أن الغرب قد صار الي الرقي والرفاهية مراحل واسعة فأخذت على عاتقها أن تقلب مصر فالشرق إلى حالة تفوق الغرب بكثير ، فهل لا ترى ذلك (بردون) يا عزيزي ، ألا ترى أنها أصبحت أمهر من بنت الغرب في التواليت والبيانو والدانس وملحقاته . وأنها تحافظ بكل شرف على الراندڤو ثم أنها

تفوق ولا شك بنت مغرب فى ندغ اللبان وهز الفلك (ومهارشة) البائع والدلع مع الكمسري . . ؟ العفو العفو: وهى أيضا سياسية واسعة الاضطلاع فى الأمور السياسية الوطنية تتابع بشوق ولهف الحوادث القومية مع كل . . بل تام وعقلية . . . لا يملأها سوى المودة الجديدة والفستان الجميل ، مهلا انها أيضا تقرأ الجرائد والمجلات والاعلانات والروايات خصوصاً الغرامية وتزور السنمات والتياترات والحديقات وهل تطلب من مزيد أنها تجيد الضحك والغمز واللمز وانتقاء الجميل من . . . . وانتقاد الثياب التي على الغير من نساء و . . . ! ماذا تريد أيها الرجل من الجنس اللطيف أكثر من ذلك ! ؟ ! ولماذا تفضل عليها بنت الغرب أيها المفتون وقد بلغت فتاتنا هذه الدرجة من الجمال الترى چنتيه . !!؟

لا لا . ان الرجل لا يتزوج ليفتح على نفسه بابا من أبواب جهنم فيأتيه أحد الزبانية يسومه سوء العذاب . فأن امرأة كالتي وصفت ستحرم بعلها الراحة على الدوام لأنها ستقضي نهارها في أودة التواليت وقراءة بعض الروايات وزيارة بعض الصويحبات وليلها فى احدي الملاهى أو (السنمات) الخيالات أو محلات (الدانس) الرقص الافرنكي فهل يرضيك هذا يا أخت ؟ فمن الذي يرعى الدار وما فيها؟ ومن يتعهد الاطفال ويربيها؟ أيستطيع ذلك الرجل وله أعمال وأشغال؟ أو هل تكفى الخدم لأداء كل شيء على مايرام حتي تربية الأطفال؟ وهل تسمحى أن ينشأ طفلك فلذة كبدك بين أحضان

الخادمة أو الخادم فتفسد روحه وتنفث فيه أخلاقها ! ألا تكونين اذاك قد جنيت على ولدك وقرة عينك وسلبتيه أكبر نعمة ألا وهي الاخلاق وحميد الخصال اذ يشب بين الخدم وفي وسطهم الخطر الذى لابد مؤثر عليه ـ والى ذلك يرجع فساد أخلاق أغلب أولاد النبلاء ـ ، هذا اذا كان زوجها من الاغنياء أما اذا كان من متوسطي الحال لابد أنه يموت هو وأولاده خير من حياة منغصة . . . !

انما الفتاة يجب عليها قبل أن تحاول اتقان التواليت والبيانو والدانس أن تعلم جيدا ان هذه الامور لا حاجة اليها قبل أمرين مهمين جداً بل ثلاثة هي : —

كيف تكون ربة بيت ؟ وكيف تكون أماً ثم كيف تكون زوجة هذه العلوم الثلاثة هي خير ما تتصف بها امرأة، وان الفتاة التي تعلم كل هذه الثلاثة لهي الزوج التي تسعد زوجها حقا ويسعد بها زوجها

. . .

كيف تكون ربة بيت : يرجع ذلك الي علم ادارة المنزل أو علم التدبير وهو علم ضروري جداً لكل امرأة وقد حض مبدأ الكشافة الرجل على تعلم شيء منه وذلك دليلا على أهميته لكل انسان فكيف بالمرأة التي عليها مدار البيوت ! يتعلق بهذا العلم أمور كثيرة من أهمها الطبخ والخياطة والتنظيف والترتيب ومنه أيضاً العجين والخبز الخ. غير أن فتياتنا المتعلمات يستنكفن عمل هذه الاشياء حتي زعمن فيها امتهانا مع ان هذا العلم ضروري للمتعلمة والعامية والغنية والفقيرة على السواء ، وليس هناك

تنافر بين التعليم والتدبير بل هو جزء منه ولا يمنع الغني عن تعلمه ولو على سبيل المعرفة فتكون السيدة اذاك أقدر على معرفة مهارة الخدم واماانهم وجودة مايعملون من رداءته على عكس ما لو كانت لاتدرى في التدبير شيئا لشابهت من يتناول منح الغير وان كان من مالها وسنسوق واقعة من هذا القبيل :

نزل باحدي مدن الوجه القبلى أحد كبار الموظفين وعلى حسب عادات النساء عزمت السيدات علي زيارة حرم ذلك الموظف، ولم يلبثن ان غدون وزوج هذا الموظف فى وداد وتزاور ، حتي اذاعادت احداهن من زيارة تلك الزوج ذات مرة سألتني ان كانت كل المتعلمات علي هذا الشكل أي شكل (الست هانم)ولا أجيب عن هـذا السؤال العويص سألتها عما عرفته عن الست هانم فقالت : كانت ناظرة مدرسة وتزوجت هذا العام بقريبها الذي نقل حديثا الى هذه البلدة ، وهي لاتعرف من الاعمال المنزلية شيئا،وقد تعذر الحصول علي خدم بهذه البلد فاصبحت حالتها بؤسا ونكداء ويظهر أن هذه السيدة سألتها عما تعرفه من التدبير ، فادعت أن هذه أعمال قذرة وشاقة لاتقبل لها بها ولا تليق لها. وبعد خمسة عشر يوما أصبحت تتمني معرفة كل شيء حتي طلبت الى هذه السيدة ان تعلمها ما استنكرته بالأمس افلو تعلمت هذه ادارة المنزل ما أكلت خبزا برمله وحصاه فوق العشرة أيام .

كيف تكون أما : ان من حكمة الزواج إنماء النسل . ولن

يصلح النسل الا بالتربية ولا يكون ذلك الا بعناية الام ، وفن التربيـة يجب أن يدرس في كتب مطولة. وللتربية ثلاثة أطوار تختص بالمرأة: الطور الاول في الحمل لأنه يقال ان جميع التأثرات التي تتأثر بها الحامل تترك أثرا من نفس الجنين فيحسن بالحامل أن تجتهد دائما أن تكون هادئة النفس مرتاحة البال قريرة العين محاطة بمناظر جميلة تبعث في الفؤاد ارتياحا وانشراحا

ثم طور الرضاعة ويحسن فيه اتباع النصائح الطبية من عدم اكثار الرضاعة ، واني أحض واستحسن كثيرا جدا أن ترضع الام ابنها فهو ابنها ولا يصح الكبر على الامومة، اذ لا يمكن أن يوافق لبن لبنها مهما كان ويجب احاطة الطفل فى هذا الدور بمناظر جميلة وأصوات حسنه والسن فصيحة، ولا يصح مداعبته بلغته انما يحسن أن ينطق أمامه دائما باللسان القويم حتي يكون سريع النطق جيده، ويجب ان يبعد عنه العادات القديمة من علم النساء لأنها تسبب له الامراض اما النظافة فلا داعى الي الحض عليها وهى من أوجب الواجبات المعلومة ، اما الطور الثالث فيبتديء من الفطام ويجب ان لا يعطى له أطعمة دسمه ابدا ولا يأكل اللحم الاحمر الا بعد الخمس سنوات ويرجع فى ذلك الى اراء الاطباء . ويجب ان لا يسمع الطفل أو يري من أبويه الا كل حميد . ولما كان الطفل يلازم أمه اكثر من أبيه كانت أخلاقها وعاداتها واعمالها والفاظها أكثر

تأثير في نفسه فان لم تكن هي كان الخدم ومما لاشك فيه انه لاتوجد اي سيدة مصرية ترضي ان يشب ابنها مشبعا بروح ونفسية الخدم السفلة المساكين والطفل منذ الثالثة في عمره تظهر غرائزه وأمياله او تبدأ تتكون فالام العاقلة تصقلها اولا بأول وتحولها الى أشرف الغايات مع ملاحظة ان مخ الطفل كلوحة المصور الشمسي تنقل كل مامر أمامها فتكرار الفضائل والمحامد تغرز في نفسه حبها وتتأصل هي بفؤاده ولن تتمكن الام من ذلك الا ان كانت ملمة بعلم التربية

كيف تكون زوجة : لاتوجد فتاة لاتعرف كيف تكون زوجة والحقيقة غير ذلك لان المرأة لا يمكنها أن تكون زوجة حقيقة الا ان عرفت من هو الرجل وما مكانه منها وما مكانها منه ، استرق السمع الى حديث السيدات على بعولتهن في أي طبقة ترى أنهن لا يعرفن: من الرجل؟ ولو عرفت المرأة من هو الرجل ماغرها منه رواؤه وخلبها منه بهاؤه إذلم تتفاوت الرجال بحسن الوجوه وجمال السحن فلو كان الامر كذلك لكانت المرأة غالبة الرجل في ذلك المجال على الدوام ولكن الرجال بالاعمال فلاهي بالجمال أو بالمال فكم ترى لايعرف من الارض الاقريته وسوقها وكم جميل نافس المرأة في سوقها فتقدير الرجال بهيئتهم الظاهرة خطأ محض واساس كبير للشقاء العنصرين

ليس الجمال بأثواب تزينا إن الجمال جمال العلم والادب

وقد نصحت اعرابية ابنتها عند زفافها فقالت .

أي بنيتي ،انك فارقت بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي فيه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكن لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخراً

أما الاولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع والطاعة

أما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموقع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح

أما الخامسة والسادسة : فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التقتير وفى العيال حسن التدبير

أما السابعة والثامنة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه فان تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة

أما التاسعة والعاشرة ! فلا تعص له أمراً أو تفشين له سراً فانك ان خالفت أمره أو غرت صدره وان أفشيت سره لن تأمني غدره ثم أياك والفرح بين يديه ان كان مغتما والكآبة بين يديه ان كان فرحا (أه)

حكم بالغة ونصائح غالية من فهمتها ووعتها فعملت بها فقد عثرت على عظة الدهر وطرقت باب السعادة وعرفت من أين تأتي . وأن المرء لا يجد ما يزيده عليها ، ولو انا أحببنا أن نعرف نصائح الأمهات

لبناتهن اليوم (١) لزرفت عيوننا بدل الدمع دما على ما تشربت به نفوس الجنسين من سوء الظن ببعضهما ، نبكي ويحق لنا البكاء على المرأة التي كانت تقول: إن المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد . تلك المرأة التي كانت تري بيتها جنة وبعلها روضة وولدها زهرة ليس لها في نفسها أكثر مما لهم ، وأين هذه المرأة الآن ، في ثياب عادي مادامت

---

(١) نصيحة أم لابنتها في هذه الايام باللغة العامية على قدر المستطاع وهي حقيقية لامجال للتصنيف فيها :

أنت دلوقت يابنتي داخلة على رجل لايعرفك ولا تعرفيه فاوعى توريه انك تحبيه وتوريه ريالتك قوام ، وكل مايقول هيه تقولي طيب لأه ، خليكي غالية عليه ماترخصيش روحك ، ودايماً أطلبي منه طلبات عشان تعرفي ان كان يحبها لك يلون بيحبك وخلي لك قرش دايماً تحت إيدك من وراءه ، لأن الرجل يابنتي زي البحر والمتغطية بالراجل عريانة يقولوا في الامثال محبة المرة في الراجل زي البصاره في الطاجن ومحبة الراجل في المرة زي العدس في التنجرة فيابنتي خليكي دايماً غالية بغددتك وتؤلك لان الراجل لما يشوف عين الارادة من المره يشد فيها ويرخي . ولكن انت ماتستحمليش له كلمة أحسن بعدين يركبك ولا يأ يلكيش في عينه بزار.

هذه مختصراً على قدر وسعت ذاكرتي ثم اذا كانت أمها ستسكن مع آل زوجها تزيد على ذلك :

وأنت دلوقت داخلة في بيت كبيرة مش تعملي نفسك حمارة سخرة كل من آل شي يركب لأه ، انت مرات راجل معلشي كل حماتك ماتقولك على حاجة سنحي عن حاجة واعملي حاجة . . . . وهكذا .

فاللهم اغفر وارحم إنك خير الراحمين .

فى عقر دارها فان عزمت على الخروج قامت الي غرفة الزينة فخرجت منها عروسا للنظارة من السابلة والسوقة،تراها متكبرة في بيتها ولا تكاد ترديد لامس في الطرقات من الارازل والانذال ، مع أن واجب الزوج الصالحة أن تلازم دارها حين عودة بعلها فى أحسن زينة لتقابلهأحسن مقابلة فتزيل عنه وعثاء العمل وجهد الحياة فيعرف أنه حقا بلغ داره جنته ومأواه حيث راحته وهناءه،فان مقابلة الزوج لرجلها حين عودته أقوي مريح لنفسه مزيل لمتاعبه تشرح صدره وتفرج كربه مهما كان مغتما أو مهموما ، وعلى عكس ذلك إذا أساءت لقاءه كانت هى والاعمال عليه حربا فلتتق الله ولا تصدمه صدما صلبا وهى متكأه ساعة النصب وجليسه وقت اللعب،ولتبقى حاجتها بعد حاجته تملك بذلك نفسه ومشاعره ،ولتحذر أمورا خمساً ما اتصفت زوجة بواحدة منهاحتي بغضت الى زوجها ونغصت حياتهمامعا

أولا — كثرة الأنين والتوجع بلا مرض

ثانياً — ذكر ما لاقته من متاعب في البيت وأعماله ،لأنها بذلك تدل بعملها كمنة عليه

ثالثاً — الحنين إلي سابق حياتها وسالف أيامها قبله .

رابعاً — كثرة التزين والتبرج حتي تفتن بمرآتها عنه

خامساً — اللجاجة في القول بلا مسوغ

ويقولون باستحسان ثلاث خصل فى المرأة لا تحسن في الرجال وهي

الكبر لأنه في المرأة مزيد فى حيائها داعيها الى عدم مخالطة غيره

البخل لأنه فيها أدعى الى التدبير والاقتصاد وعدم التبرج والتبذير

الجبن فهو يكسبها الحذر والخوف من الاقدام على كل ما يخشي منه وهى الرذائل

وقد قيل في الحديث الصحيح .

ما استفاد المرء بعد تقوي الله خيرا من زوجة صالحة أن أمرها أطاعته وأن نظر اليها سرته وأن أقسم عليها أبرته وأن غاب عنها نصحته في نفسه وماله

وقال أصدق القائلين في محكم التنزيل : —

«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما انفقوا»

«من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، واللاتي»

«تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان»

«أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا »

الفصل الحادي عشر

٢٩

كيف نتزوج

ليس يخاف علي أحد كيف نتزوج. فكم حضر المرء بنفسه حفلات زفاف أو عقد، وكم قرأ الفاتحة أعلانا للخطوبة، ولا يوجد فتي أو شاب علي غير تمام علم بالمتبع في هذا الأمر، ان لم يكن بالمشاهدة فبالسماع، لهذا لا يكاد يجهل واحد منا طرق الزواج المتبعة الآن تلك الطرق المتبعة عن السلف بالتوارث والتي لا تخرج اجمالا عما يأتي: -

يعزم الشاب على الزواج فيكاشف بذلك أهله واخوانه ليجرى البحث عن عروس له بين طيات سجف البيوت، حتي اذا صادفوا من نالت منهم هوي راحوا اليه يتغزلون بمحاسنها فيعشقها، والأذن تعشق قبل العين احيانا، ويقوم لمقابلة أبيها ليساومه فى شراء بنته ويتعسف هذا فى قوله ويشتط في طلبه والشاب لا يضن بشيء في نوال المأمول حتي يقضي الامر ويتفق الطرفان، ويكتب العقد ويدفع الصداق، وهو لم ير ظلها أو سمع صوتها! مع أن الحديث قد ذكر فى هذا الصدد ان: اذا خطب احدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم

وقال عمر بن الخطاب . اذا اراد احدكم ان يتزوج امرأة فليدل النظر فانما هو مشتر . وذلك لأن الناس تختلف في امزجتهم ودرجات حسهم حتي قد يصادف الشيء الواحد استحسان واحد واستقباح آخر . وكثر ما كان اختلاف الامزجة والمشارب في العائلة الواحدة بل وبين الأخوة الأشقاء أمر الا جدل فيه. لهذا كان الاحرى ان يري الخاطب خطيبته وهذا أجدى له ان كان من الراشدين . ثم اذا انتقلنا الى امر المساومة رأينا وسمعنا بعودة النخاسة المرذولة والدليل على انها نخاسة بل شر من النخاسة أيضا هو انه لو تقدم شاب ومن تخطي العقد السادس من العمر لطلب يد كريمة احد الناس مثلا وعجز الشاب عن دفع الثمن المفروض لها ودفعه الشيخ، دفعت اليه دون اي نظر من الوالد الرحيم للاعتبارات الأخري كالسن وغيره وخصوصا اذا كان ممن يملكون مئات الأفدنة وآلاف الجنيهات او بمثل هذا يقضي علي كثير من الفتيان والفتيات، ورغم خسة هذه الفعلة وسوء عاقبتها التي تكلم القلوب طرا اذ قد تلجيء الحال تلك (الامة) المسكينة الى جناية على نفسها تريحها من ألم الحياة أو خيانة تصلاها سعير العار. جناية وليها عليها والله شديد العقاب . هذا من جهة الصداق وغشه واشعبية اولياء الامور وليس هناك مفكر الا ويرى فداحة المهر خطأ فظيعا

* * *

ونحمد الله أن هذا الأمر أخذ يزول ويعدل عنه آباء الفتيات لا عن تغير فى الأفكار واعتدال فى آرائهم أنما لكساد سوق الزواج وبوار أكثر الفتيات . وهذا مادفع السادة أولياء الأمور على التخفيف من غلوائهم غير أن هناك شرا أنكر من سابقه وأكبر خطرا هو أن كل أب لا يرجو لابنته إلا موظفا ! ! ! . . . . . اغريب . . . ومدهش جدا . . . أليس هذا بغريب حقا ! . . . . . فلو تقدم لطلب يد فتاة أثنان أحدهما تاجر متوسط ربحه الشهري خمسين جنيها وموظف لا يتقاضى أكثر من عشرين جنيها كان الثانى أسعد حظا وأكبر حظوة من أخيه التاجر ! ولا أري فيما يقال لتبرير ذلك ألا خيال الترقي الوهمى للثاني وثبات الأول على حال واحدة وهذا رأى فائل اذ التاجر يتقدم بخطي متواصلة نحو الرقي والارتفاع ان لم يقفز فى سيره طفرا . ولكن الحقيقة ان للرأي القديم السخيف تأثيرا كبيرا فى عقول القوم حتي المتعلمين منهم ولا يزال تسعين المائه من اهالى مصر يعتقدون أن التوظف فى الحكومة هو غاية ترجى وأمل ينتظر ويعمل له الوالد وولده، ولو دروا الحقيقة لعلموا أن وظائف الحكومة غل لمواهب المرء تقضى عليها فهي أبدا فى خمول. وألى هذا الرأي العتيق يرجع فقر البلاد من رجال احرار الافكار وثابي الهمم فلا يكاد يكون اكبر آمال الشاب الا مقعدا بمصلحة من مصالح الحكومة يقضى به شطر يومه ثم يمضي الشطر الثاني فى القهوة او في

مراتع القصف واللهو لا يطمح سوي الى علاوة في المرتب وزيادة في الدرجة افشل هؤلاء ماهم الا آلات جامدة ودواليب متحركة قبل أن تعمل عملا قيما او تخرج فكرة ناضجة جديدة. ولهذا الرأى يرجع أيضا بعض أولياء امور الفتيات فيشترطون أن لا يصاهرن سوي الموظفين! نعم هؤلاء هم الموظفون غالبا وقد سرت عدواهم الى غير الموظفين أيضا ممن رأوا سراب السعادة والراحة فى حياة الموظفين ! ! وهذا الشرط لاشك أنه يكون أكبر عائق لتأليف عائلات من أكفاء التجار ومهرة الصناع على مايروم المرء منهم ويبتغي الراشد فيهم والمستقيم. ومن اغرب ما يشترطون اولياء امور الفتيات أيضا ان يكون المتقدم لطلب يد كريمتهم ذا ثروة من أطيان او عقارات دون التفات الى الكفايات الشخصية والمستقبل. فكأن من لم يرث عن أهله ضياعا حرم عليه الزواج حتي يحصل له بكده مايقنع القوم بثرائه. وقد لا يصادف المرء اثراء فى أول حياته العملية فيحرم بذلك التمتع بالحياة الزوجية فى طور الشباب! اللهم ان هذا حكم صارم شديد الخطر علي حياتنا فرحماكم الله ايها الآباء رفقا بنا وبفتياتكم، الا يكون الأصلح ان تتطلبوا فينا الفضائل والكمال لا الابهة والمال، اللهم ان الفقير ولا اقول متوسط الحال لأسعد حالا بفضيلته واستقامته ان كان كذلك من الغني المبتذل المغمور فى حمأة الرذيلة واغلبهم كذلك. فالرجل العاقل يطلب لابنته بعلا كالذي وصفته فتاة لوالدها قالت:

اطلب لى الكفء ، وليست الكفأة بالألقاب والمراكز ، ولست ممن تغرهم لمعة النياشين . بل أطلب لى زوجا يفهم النفس وما هى ، والروح وما لها ، والاخلاق ومركزها والعاطفة وكنهها ، اذا تكلم فهمته ، واذا ألمعت وعانى . رجل يقود زمامي لايخضع لكلامى ، يرى اللب خلف القشور . ويبصر اللآلىء في أعماق البحور يعرف الرجل وواجبه والمرأة ومنزلتها، يستخدم المادة لايخدمها . غيور على عرضه متواضع لأهله جريء فى الحق . حليم على زوجه رحيم بها يقنع منها أن يري فيها انعكاس حركاته ويسمع منها صدى أقواله .اه

وأن المال فقط لايحصل سعادة أبدا بل السعادة في راحة النفس وهدوء البال وقد تتوفر هذه لقليل المال بسديد عمله ولايحصل عليها كثير المال بجم أمواله

* * *

واذا خلصنا من أمر الصداق دخلنا في دور من التقاليد والعادات التي ليس لها أي أساس صحيح يمكننا الاستناد عليه فى ضرورة هذه الأمور التقليدية الخالية من كل ثمرة وجدوي اللهم الا استنفاذ جزء كبير من المال في غير ما جدوي . سلسلة من الهدايا المتتالية ثم حفلات العرس التي ليست عليكم بخافية والتي لايخرج منها المرء الا خالي الوفاض أصفر اليدين ان لم يك محملا بأحمال الذم والقدح وأثقال الديون والهموم. كما هو الغالب حتى قال الشاعر

ثلاثة تشقى بها الدار العرس والمأتم والزار

فليس من العقل أن يزج المرء بنفسه في مخمصة نكراء لمجرد أمر تقليدى ثبت للعقل الصحيح والتجارب العديدة خلوه من أدنى الثمار أما ما كان من أمر الهدايا ووجوبها كما يدعون فسخافة لا يقبلها العقل اذ لو جمعت أثمان تلك الهدايا مبلغا واحدا لكفى أن يكون أساسا لثروة العائلة . وليقتصر على (الشبكة) أما إن صعب عليه أن يزور زوجه ولا يقدم لها شيئا فما أجمل الزهر من هدية وألطفه لو كانوا يعقلون . وما أحسن ان يقدم لها فى كل زيارة وردة جميلة أو زهرة بديعة . وكم يكون المنظر والمغزى جليلا . أما تلك الحفلات الضخمة التي يتسابقون اليها القوم زعما منهم أنها علامة السرور والفرح وآية التشهير فلعل ذلك الأمر كان حقيقة أصلها. ولكن انعكست الغاية فهم الآن لا ينشدون من وراء احتفالاتهم سوي الافتخار أمام القوم واظهار السعة والجاه العريض وقد قتلهم حب الظهور حتي ولجوا له باب الخراب (الدين) فأين السرور فيما يعملون وكأن المرء منهم اذاك قد وقف على سطح جارية بلجة تتقاذفها هوج الرياح! فمن ادارة الأعمال لاجابة الطالبات وتنفيذ الرغبات وملاحظة راحة المدعوين والمدعوات فالقوم فى طرب وهو له فى اضطراب بل وجميع افراد أسرته تراهم اذاك ذاهلين حتي ضربت بهم الامثال فى ضياع الرشد وغياب الحجا .ولو انه حفظ كل ماصرف ليكون

جزء من ثروة العائلة فأودعه مصرفا يعمل له لآتاه مبلغا جسيما يكون به السرور حقالأن السرور او الفرح ليس في كثرة الأنوار حتي تجعل الليل كنهارأوفي تزيين الشارع وفرش الأرض بالبسط ثم اجتماع آلاف الناس يأكلون ويطربون على حسابك لاصدقة أو احسانا ابتغاء البرلوجه الله حتي تثاب لهوتجزى بهانما ابتغاء الفرح اواين هو؟ لست اراه! أفي قرع الكاس بالكاس وتزاحم الناس وهذا أمر والعياذ بالله متوفر في جميع المواخير أم في سماع المغني وآلات الطرب وهو أمر ميسور في كل مرقص وملهى، اذاً لم تحصل باموالك الطائلة الهالكة أيها المسكين ماشق الحصول عليه وانك قد اشتريت باموال مالا يشتري بمال وطلبت بذلك ذم القادحين اذعرضت نفسك على مشرحة السنتهم التي تتلمس من الناس الهانات وجل من لا يسهو فلو انك طلبت السرور حقا لكان هو لقاءك بزوجك الجديدة وحليلتك الجميلة وقسميتك في الحياة . . الله . . . ما أحلا هذا اللقاء . . ! ولاول مرة انت وهي على انفراد تقسمان معا قسم المحبة والولاء وتتعاهدا على الاخلاص والوفاء جميل وجميل جدا ذلك علي ان لا ترعجك واياها جعجعة أو غوغاء وهل يتوفر ذلك الا ان كانت الحفلة عائلية قد قصرت على اسرتي العروسين ولا يخفي ما في ذلك من تبادل السرور القلبي الصحيح ثم عدم الاستهداف لحداد الألسن وشماتة الحاسدين وحفظ مبلغ جسيم لو خصص لتربية ما يرزقهما الله من أولاد لكان ذا ربح عظيم

ثم أن كثيرا من الشباب يأبي إلا أن يقيم لزوجه فى أول ساعة من حياتهما دليلا قاطعا علي نقص عقله وادراكه وسوء تصرفه وأخلاق ويمثل لها في ثوب سكير قد ضل الاثم(١) عقله وطمس الضلال حجاه! فما أشد تلك الغباوة وأمر هذه الحال ، اللهم ان هذه الساعة لهي فاتحة حياة جديدة لها في النفوس اثر خالد تتطلب بديهة حاضرة وخاطرا سريعا فيأبى هذا التعس المسكين الا أن يقضي على ما يملك من القوى المفكرة وما أقلها! قد يعتذرون على ذلك برهبة الساعة وجلالها وهذا أغرب اعتذار هو عذر اقبح من الذنب هل اذا أقدم الانسان على عمل رهيب عظيم يتخلي عن عقله ثم يغامر فيه ! لقد يقولون هؤلاء فى مابعد أن الارض فوق والسماء تحت فاللهم اهد القوم الظالمين

٣٠

الوسط

تخرج الفتاة من بيت أبيها الذي عاشت فيه ردحا مديدا بين أناس ألفت عشرتهم وودتهم، ولاشك أنها تقلبت فى أدوار عديدة ورأت من من أهلها ما رأت من حنان ومحبة واعزاز ثم هى الآن تؤم بيت رجل لم تعاشره كأهلها ولم تخالطه كأبويها ولكنها تضحى بذلك لكي تكمل نقصه وتتم تكوينه ولاشك أنها تتمني أن تترك الحسن الى أحسن لأن

---

(١) الاثم الخمر

كل فتاة تبغى أن يكون دارها خيرا من دار أبيها فيها كل ما اعتادت رؤيته ان لم يكن احسن فلا أقل أو أسوأ على ان يعوضها ذلك البعل بحنانه عن حنان أبويها الذى ابعدت عنه ويزيد حتي تشعر أنها أسعد حالا مما كانت فتكون عاملة على اسعاد وراحة من كان سبب سعادتها لهذا وجب علي الرجل قبل الاقدام علي الزواج ان يزن مقدرته ويتخير الوسط الذي يرجو أن يعيش فيه غير متكلف أو متعمل ويحسن به ان لا يبتعد باسرته الجديدة عن وسطه الذى نشأ هو فيه وعلى نمطه لأنه به أخبر وأعلم كما يجب عليه أن لا يتخير الا فتاة من نفس بيئته لأنها تكون أقرب الي الشعور بمشاعره وتقديرها عن علم وخبره! ومن الخطأ الفظيع التهاون في اختلاف الأوساط لأني أستطيع الجزم بأن الحياة المنزلية في وسط تباين حياة الوسط الذى فوقه والذي ادناه تمام المباينة نضرب لذلك مثلا لا يكاد يغيب عن انظارنا أني القينا الطرف ، ذلك مثل فلاح لم يكتب له شيء من العلم وان كان ذا حظ وافر من الارض والمال تأتى هذا فيتزوج فتاة نشأت فى بيت العلم والحضر لم تر الريف الا نادرا على سبيل الرياضة فهل تتصور ايها القاريء الكريم حياتهما . . . ! أنا لا استطيع أن اسميهما زوجين وليس بينهما من علاقات الزوجية الا أحطها ثم هي كثيرا ما تأباها عليه حتي تفر منه الى بيت أبيها فتقضي الشهور هناك كأنها ليست ذات

بعمل مع ملاحظة أنه لن يوافقها لا فى ذوقه أو حديثه أو الفاظه أو مداركه أو معارفه

لا يستطيع الحر صبراً على هذه الحياة ولكنه يصبر عليها ملبياً جميع ما ترجو حتي يخرب ويفني ماله أو يوشك على الفناء

ثم أن مثل هذه الحياة لا يمكن أن يوقن المرء فيها براحة البال على عرضه وشرفه . وخير للمرء أن يقترن بقرن له وند تسعده وتريحه اذا أحسن التصرف في تدبير أموره وسياستها بل إن المرأة التي دون الانسان لأقرب الى الصلاح ممن فوقه خصوصاً اذا شعرت بذلك . (وهذه المقارنة لا دخل للعلم فيها بل قاصرة على الأخلاق والعادات والحالة المنزلية)

— ٣١ —

دروس الزوج

لا يكاد يفتح المرء حياته المنزلية إلا بشهوته البهيمة التي يستغرق فيها كل قواه غير حاسب لمستقبل أيامه حساب . ولست أمنع المرء عن التمتع بما أراد علي أن يجعل جزءاً من وقته فى وضع أساس حياته الزوجية فان هذه الفتاة التي أصبحت بين يديه وتحت سلطانه لا تكاد تعلم عنه شيئاً

الا أنه رجل كأحد الرجال . وقد تستمر كذلك على جهل تام به مدة طويلة! وهذا نقص كبير. لأن الزوجة دون شك أقرب الناس اليه بل هي الجزء المتمم له فيجب أن تعلم به حق العلم من جميع الوجوه حتي يصير أمامها كاللوح المسطور . ومبادلة يدرسها تماما. ولا يخفى أن الفتاة قد سمعت كثيراً عن الازواج ولربما أيضاً أسديت اليها كثيرا من النصائح قبل زفافها وتكون هذه النصائح خطأ كما أنها قد تكون صوابا. ولكن المرأة تكون اذاك على حذر من أن تغلب للرجل فتعيش مدادهرها معه مهضومة الحق. فتميل الى اكتساب فوق ماترجو حتي تكون علي ثقة من راحتها فى المستقبل . وكثير من الرجال يطاوعون النساء في أوائل أيامهن ثم ينكسون وهذه ليست طريقة حكيمة . انما العاقل من يغتنم الفرص ليلقى على زوجه دروسا قيمة يشرح لها فيها أنه أقرب الناس اليها كما انها أقرب الناس اليه لانهما يؤلفان جسما واحدا يجب أن يتعاونا في جميع الحركات والسكنات ثم يوقفها علي حاله وما يؤمله وخطته في الحياة وما يميل اليه. ثم يبين لها مايراه ملائما لسير عائلتهما الجديدة ويبادلها الرأى فى طرق المحافظة على سعادة العائلة والسعى فى وضع أساس ثروة لها . ثم يجب أن يقسم بينها وبينه الاعمال العائلية على أن يحفظ لنفسه السيادة العليا المشتركة معها، ولا بأس أيضا من وضع نظام للحياة المنزلية يتضمن كل شيء حتي النزهة والرياضة وعليه أن يشعرها

بأن ماله مالها وليس هناك نفسان انماهما نفس واحدة في جسمين اثنين اختص كل منهما بعمل يجتمع عند الفائدة

مثل هذه الدروس القيمة فى الايام الاولى من أيام الزواج هى دون شك تجعلها علي تمام العلم بما جهلته من شؤون الحياة الزوجية ويجب أن يكون الرجل أول قائما بوفاء وأداء والمحافظة على عهدهما ووثيقتهما التي سطرت على صفحة الفؤاد بمداد الوداد وختمت بالثغور وسجلت بالضم وثيقة هى وثيقة السعادة الزوجية والراحة المنزلية

٣١

العناد

كررنا كثيرا ان المرأة تكون غالبا مرآة لأعمال زوجها وقد يضطر الرجل الى عمل لا يتفق مع مزاجها أو يلقى رضاها فتكظم غيظها، ومتي توالى منه هذا الامر وتكرر مالت الى الثأر لنفسها منه بعمل مالا يرضاه فان اراد حسابها انفجر مكظوم غيظها حتي قد يؤدي الامر الى سوء فهم يوصل الحال الى الشقاق ولو كان هذا الزوج حكيما لبادر اليها بالاعتذار وتطييب خاطرها عند أول اقدامه على هذه الأمر وقبل تكراره مبينا لها الدوافع اليه وما يرجوه من فائدة من وراء هذا العمل مثل أن يجلس الرجل الى

مكتبه كل يوم ساعة يتلو مالا يلذ لها ، هذا العمل يؤلمها كثيرا، لكنه لو اعتذر اليها قبل الاقدام عليه مبينا لها ما يعود عليه من نفع فلربما كانت تحثه فيما بعد علي مواصلة القراءة، ولمثل هذه الامور البسيطة جدا قد يبدر الشقاق بين الزوجين وينشأ العناد. ومثل هذا ايضا أن يصادف الرجل ما يؤلمه خارج داره فاذا بلغها صب جام غضبه وسخطه علي من فيها دون اثم جنوه او ذنب ارتكبوه أي ظلما وعدوانا فتتألم الزوج من ذلك الم البريء من العذاب الشديد حتي تتخيل أنه حاقد عليها حاطب لها يضمر خلاف ما يظهر في كشف الغضب عن خبء صدره ومكنون قلبه فتجنح الى مقابلته بالمثل ويتطاير اذاك شرر الشقاق العائلي مع ان واجب الرجل ان يكون حليما جدا مع المرأة حتي لو كانت هي المخطئة فليتئد ليري ان كانت في عملها عامدة او مضطرة لأن العاقل من لا يحكم على اعمال الانسان دون مراعاة ظروفه المحيطة به

ولا داعي للكبر على الحق فالحق أحق أن يتبع فان اخطأ احد الطرفين يجب أن يسرع بالاعتذار عما فرط عنه ليكون ذلك اسرع بازالة ما علق بالقلب قبل أن يتأصل فيه فيسوء الحال ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا

— ٣٢ —

اللذة اليتيمة

سل السكير عما يرجوه من الانم (١) ؟ والمقامر ماذا يبتغي من الميسر ؟ والفاسق ما الذي يتطلبه من الفحش ؟ بل سل كل مجرم مرتكب عن الغاية التي ينشدها والغرض الذي يسعى اليه بفعاله هذه التي كثيراً ما يعرف تمام المعرفة أنها لا تودى بصاحبها إلا إلى الهلكة والعذاب ! ، يجيبونك جميعاً أو ينطق لسان حالهم : اللذة . اللذة

مرحى مرحى ! أيتها اللذة ، آسرة رقاب الملوك . ومن عنت لسلطتها الجبابرة والأسود وارتجفت لصولتها العروش والبنود

مرحى أيتها اللذة . طلبك الناس طرا : تقيهم وشقيهم . زكيهم ودعيهم . قويهم وزريهم

مرحى أيتها اللذة . لا نهاية لك فتقصد ولا غاية وراءك تطلب

أنت أنت أيتها اللذة . التي سكنت كل فؤاد . وحكمت بكل واد . وأسغت كل زاد وحليت كل عماد وتلاد . فلك أنت جميع البلاد

---

(١) الانم : الخمر

أنت التي يرجوك كل الأفراد على تفرقهم . ويسعى اليك جميع العباد على تشعبهم

أنت التي يجدك الملوك في العزة والابهة . كما يحسك الصعلوك فى عيشته الضيقة

فيا أيتها اللذة . كم أنت كبيرة حقيرة . ورفيعة وضيعة

كم أنت صادقة كاذبة . واثقة خائبة

كم أنت شيطان الشر . وملاك الخير

كم أنت حليفة نصب العلم . وخثالة كأس السم

كم أنت تلف الرجال والمال . وتاج عز الأبطال

كم أنت رائد الكد والعمل . ومناخ التواكل والكسل

فسبحان الذي صيرك أملا لكل مخلوق وغاية لكل نفس دبت على هذه الأرض: فللعالم لذة علمه . وللجاهل خلو عقله ونفسه . وللعامل لذة عمله وشغله كما أن للكسول خموله وكسله . حتي أن المجرمين ليشعروا بلذة فى جرائمهم هى ولا شك دافعهم عليها ولولاها ما كان أغناهم عنها فلكل فرد لذة خاصة يحصلها بعمله الذي يعمله ولا يمكنه أن يقدر غيرها من اللذات. فهي في نظره وما دام لم يشعر بلذة غيرها أولم يجرب أخرى. اللذة اليتيمة . فهو منقاد لها ساع اليها بحكم الفطرة والغريزة . ولا يحوله

عنها الا دخول لذة أخري عليها تفضلها وتفوقها فتشغله بدلها .

وأصل اللذة حس نفسي قل أن يكون للعقل أدني دخل فيه فأغلب اللذات نفسية . والنفس أمارة بالسوء . وعزيز (١) أن يوجد من قد غلب عقله نفسه . ! وهذا هو الذي تكون لذته فيما يرشد اليه عقله وحواسه . الا أنها ككل الأمور النفسية تتخذ مجراها منذ الصغر على حسب المؤثرات والأحوال . ولا ريب فى أن ما يلذ للوسط الذي ينشأ فيه الطفل نشأته الأولى يلذ للطفل بحكم التقليد . كما أن مظاهر الفرح والاعجاب التي تبدو من والديه أو ذويه بعمل من الأعمال أو لشيء من الأشياء تترك في نفسه الصغيرة اذذاك أثراً هو الميل لتقليده ليحصل على لذة اعجاب والديه وأمثالهما . حتي أننا نسمع كثيراً من الصغار يتحدثون باعجاب عن أبطال القصص الخرافية والخيالية (كالشاطر محمد) و (الشاطر حسن) و (الشاطر على الدين وغيرهم) يودون لو يتشبهون بهم وهم فى سن لا يمكنهم من أن يسلطوا على القصة أشعة عقولهم انما هم دائماً يصغون ولكل ما يلقى عليهم يصدقون مؤمنين به واعين له . ! فليتق الله المربون والراوون والمؤلفون وليعلموا أن هذه القصص هي دون شك أهم دروس ومحاضرات يتلقاها الناشيء في أحضان الحنان الوالدي ومهد الرحمة الأبوية. فهى أثبت أثراً وأكبر فعلا

---

(١) عزيز : قليل أو نادر

بل إن شئت قلت أنها أساس الأمور النفسية وغيرها من حيث أنها تعطى حواس الناشيء التي تكون إذذاك فى بدء تفتحها صوراً بل تماثيلا وقواعد أساسية ومعلومات عامة عن هذا العالم . فكلما كان المربي حريصاً فى اختيار أو وضع هذه القصص استطاع بها أن يوجه غريزة اللذة عند الناشيء الى الخير والفضل وحب البطولة الأخلاقية والتفانى في الاعمال الانسانية وأن يحببه فى أبطال العالم وأدبائه وعلمائه حتي يشب مولعاً بهم مغرما بتاريخهم مقدراً لأعمالهم ولا شك أن من أحب إنساناً اتخذه مثلا أعلى واقتدى بأعماله واقتفي آثاره ، خصوصاً وأن طور الطفولة له دون ريب أكبر أثر فى نفس الانسان فى جميع أطوار حياته إلا إذا عاكسته طواريء ، فمن شب علي شيء شاب عليه ، فهل تظن السارق لم يتمتع بلذة فى السرقة (إن كان لها لذة) منذ الصغر بل كثيراً جداً ولم يردعه رادع ، وذلك أن كل طفل من نفسه سارق لأنه لا يعرف قانونا يمنعه عن أن يتناول مايريد ، فتراه لا يحجم عن أن يمد يده إلى كل مايبتغيه دون طلب أو سماح من أحد ، فان تركته حتي يكبر قليلا ليعقل الأمر والنهي ثم زجرته عن ذلك تحاين غفلتك لنوال مايريد . وهنا الشر المبين . والعلاج أن يبعد عن نظره كل شيء خصوصاً الأطعمة حتي يكبر ويفهم . أما ان فرطت فى الدور الأول وبلغت الدور الثاني فلا علاج الا القسوة المتناهية .

وما الغرض من الكلام فى هذا الموضوع الا بيان أن جميع اللذائذ خيرية

كانت أو شريرة فانها تتدرج مع الطفل منذ الصغر ، كما أن هناك لذات أخرى تميل بالمرء عن حاله الأولى الى حال ثانية ولكن ببطء وصعوبة إذا كانت اللذة الأولى متأصلة في النفس واللذة الثانية معتدلة التأثير ، وكلما قوى تأثيرها كانت أسرع فى استئصال الأولى ، فكم من لص غلب عليه الصلاح فبات تقياً أميناً ، وكم من جاحد كافر قد صار مؤمناً مستقيما أي أن النفس يمكن إرشادها وتحويلها من الفاسد الى الطيب ومن الطالح الى الصالح ومن القبيح الى الحسن سواء كان ذلك بصعوبة كبيرة أو قليلة على قدر استعداد النفس الذي يكون فيها منذ الصغر ومقدار تأصل حب تلك اللذة فيها ، ولهذا كان الوعظ والارشاد والامر والنهى أعمال في غاية الصعوبة لكنها تجدي وتفيد ، انما كان عجبي شديداً من أولئك القوم الذين زعموا أنهم يبحثون في الاخلاق . اذ ذهبوا إلى أن اللذة الغالبة طبعا لا يمكن تبديله مع أن التطبع في كثير من الأحيان يحل محل الطبع فيشغل مكانه . وكم من وحش ألف واستأنس حتي كأنه ولد هكذا أنيسا ! فكيف يصح زعيمهم أن اللذة لا يمكن تغيرها وقد بينا أن اللذة يكفيها أن يحل محلها لذة أخرى حتي تمحى وتبدل بغيرها . مثل ذلك ما يزعمونه في حق المرأة من ميلها الى اللذة الشهوية (١) كل الميل حتي

---

(١) نستعمل هنا كلمة الشهوة تنوبها للجماع وان كان هذا غير صحيح إلا أنا رأينا ذلك أخف على السماع ، لأن الشهوة هى كل ميل أو رغبة أو قابلية

قالوا أن المرأة ترى سعادتها وراحتها وغبطتها وكل سرورها فيها وقالوا أيضا أنها تهون عليها السعير لو وجدتها فيه ! ! !

والذي يستحوز على استغرابي أن هذا الرأى القائل قد لابس جل أفكارنا سواء في ذلك الجاهلين ومن وسموا بالمتعلمين والمتقدمين في السن والمتأخرين وأن نظرة واحدة الى هذا الرأي تدل بكل وضوح وجلاء على أن الذين قالوا به أخذوه من بعض مشاهداتهم لأنهم لا يقيمون على مزاعمهم من حجة إلا ضرب الأمثال بحوادث قضوا طول بحثهم في جمعها وصوغها . وانا لا نود الطعن في قصصهم ورواياتهم . لأنه حتي لو فرضنا صحة كل هذه الوقائع فانا لا نخرج إلا بنتيجة واحدة هي أن ربات تلك القصص بعض اللائي فسدت أخلاقهن فغلبت شهوتهن عقولهن وكن كما يصفون . وليس لنا أن نحمل الجنس كله وزر الخاطئات منه. ومع أن هذه الزمرة التي قلنا أنها قد استهوتها الشهوة يمكن ردها عنها لا من طريق الزجر والارشاد انما بالسعي في احلال لذة أخري تفوق تلك اللذة محلها . . . !

هنا سيقف كثير من الناس ذاهلون يعجبون من قولي هذا أم من أنفسهم هم يعجبون! سيقولون ولا شك أنهم قائلون وأي لذة تلك التي تفوق الشهوة ؟ وهذا السؤال الذي لابد أنهم سائلوه . هو مضحك مؤلم لي . : مضحك لأنهم كثيراً ما يتمتعون بلذات لا شك أنها تفضل

الشهوة حتي تلهيهم عنها لكنهم يعودون فيقولون أي لذة تلك التي تفوق الشهوة، ومؤلم لأنه دليل قاطع على تشبع أفكارهم وعقولهم ونفوسهم بالفكرة الشهوية !

ألم تجلس الى صديق لك تسامره وتبثه وبيثك آلام الحياة . وكم طالت تلك الجلسة وكيف أسرعت الساعات فى حركتها وهل سئمتها أم اضطررت الى قطعها بتأخر الوقت وان لم تشعر بذلك . هذا واقع لا مين فيه . فما الذي يربطك الى صديقك ويجمعك به وأي لذة تلك التي تشعر بها فى جلوسك وحديثك معه . وهل لا ترى أنك تضحي لذة الشهوة عن طيب خاطر لتتمتع بلذة مسامرة صديقك . انك تفعل ذلك دون شك. ثم كثيراً ما يكون اعتذارك الى زوجك لاهمالك حقاً من حقوقها أنك كنت مع بعض إخوانك أو أصدقائك فكفى بهذه دليلا . فلماذا لا تسعى أن تجعل بينك وبين شطر نفسك وروحك مثل ما بينك وبين صديقك ؛ فتكون بينكما مودة ورحمة وترفرف عليكما الصداقة والألفة . فترى زوجك أنها ملتصقة بك لا عن سبيل الشهوة بل عن كل خافقة بجنانها ونابضة ببدنها ما تشعر أنك الأنيس حين تفرد والغطاء حين تبرد والعلاج حين تمرض . وأنت السمير ولا سمير إلاك والنجي ولا نجى سواك . فأنت أمها وأبوها وأختها وأخوها . الحريص على راحتها الساعى لغبطتها . اذ ذاك ترى أنها تتمتع بحديثك الذي لا تمله

وسمرك الذي تجله وتشعر في ذلك بلذة تفوق دون شك لذة الشهوة وتصبح الشهوة عندها في المكان الثاني لا تطلبها للذتها بل لغايتها التي هي النسل والولد

— ٣٣ —

الخطبة

نود أن نجمع بهذه الكلمة شيئاً من أحسن أوصاف النساء ليقف عليه شبابنا كي لا يخدعهم تبرجهن الزائف وزينتهن البهرج وحليتهن المستعارة الكاذبة وليعلموا الحسن وكيف يكون والجمال وأين يوجد . فان كثيراً جداً من الشبان أصبحوا لجريهم وراء شهواتهم وفسقهم لا يميزون بين المليح والقبيح والحسن والذميم خصوصاً ومعرفة جمال النساء ليس بالأمر الهين الذي يدركه كل غر طائش لمجرد نظرة في طريق أو حملقة في سيارة أو محل عمومي أو نافذة

فعلى طالب الجمال الحق أن لا يجري وراء الشعراء فالشعراء لا يتبعهم إلا الغاوون . وماهم إلا قوم فنيون ذهبوا وراء الخيال إلى أبعد مداه كأن مبدأهم أبلغ القول أكذبه فانظر مثلا الى قول من قال : —

إنسية لو رأتها الشمس ماطلعت من بعد رؤيتها يوما على أحد

وقول غيره

لست أدري : قمر في كلة (١) ما أرى أو دمية في هيكل

وقول آخر

هزوا القدود وجردوا الأجفانا فاطلب لنفسك ان قدرت أمانا
وألق السلاح إذا انثنوا واذارنوا وكن الجبان وإن ملكت جنانا
واحذر ضراما بالعيون وسل به مثلي وجانب بالقدود طعانا
فلقد رأيت الأسد وهي كواسر تخشى بمعترك الهوى الغزلان
لا تعبثن بذابل وبباتر وخف المهفهف واحذر الوسنانا
وأنا الذي حضر الوقائع في الهوى وأقام في أسر الغرام زمانا
ولكم رأيت به الشدائد مرة ولكم رأيت به المنايا عيانا
وثبت بين معاطف ولواحظ في موقف يذر الشجاع جبانا
مستسلما للعشق لا مستصرخا حبرا ولا مستنجدا سلوانا
أرجو الشهادة إن قتلت به وما وليت فيه ولا ثنيت عنانا
يا ويح قلب ما خلا من شغله بصبابة ومحبة مذ كانا
لوفتشوا لما لقوا لسوي الهوى فيه ولا غير الغرام مكانا

كم ان هذا القول بليغا وكم سما خياله وعذب مقاله حتي لا شك أن

---

(١) ناموسية

يأخذ بمجامع القلوب طرا . وكم بينه وبين الحقائق من مراحل . فما فيه إلا فن جميل وذوق شاعر جليل من تلك الأذواق التي تفردت بها الشعراء فأبدعوا أيما أبداع حتي ملكو بها الأفئدة والأسماع، إلا أنه يكفينا أن أن نعرف أنهم ماوصفوا إلا خيالا وهل يغني الخيال طالب الحقيقة فتيلا؟ كلا ، ثم كلا سوف تعلمون علم اليقين . أن الجمال الحق هو جمال الروح وخفة الذات مع الكمال وعلو الاخلاق ثم أن زانه شيء من الحسن كان الجمال الرائع الذى يأخذ بالألباب ولقد الهاكم كثرة الحلى والزينة عن أن تقفوا على الحقيقة ، فاليكم ماقاله خالد بن صفوان لدلال !

« أخطب لى إمرأة بكراً أو ثيباً كبكر ، حصاناً (١) عند جارها »
« ماجنة عند زوجها ، قد أدبها الغني وذللها الفقر ، لا خدعة صغيرة »
« ولا عجوزاً كبيرة ، قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة ، لها عقل »
« وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر ، صلتة الجبين سهلة العرنين (٢) ، »
« سوداء المقلتين خدلجة الساقين لفاء الفخذين ، نبيلة المقعد كريمة المحتد ، »
« رخيمة المنطق لم يداخلها صلف (٣) ولم يشن وجهها كلف ، (٤) ، »
« ريحها أرج ووجهها بهج ، لينة الأطراف ثقيلة الأرداف ، لونها كالرق »

---

(١) حصانا : عفيفة
(٢) العرنين الأنف
(٣) صلف هو كراهه الزوج
(٤) كلف : حب أسمر ينتشر بالوجه

« وثديها كالحق ، أعلاها عسيب (١) وأسفلها كثيب (٢) ، لها »
« بطن مخطف وخصر مرهف (٣)، وجيد أتلع (٤) ولبب (٥) مشبع، »
« تثنى تثني الخيزران وتميل ميل السكران ، حسنة المآق فى حسن »
« البراق لا الطول أرزى بها ولا القصر عابها »

فهذه أوصاف كلها في حيز المعقول والمقبول يمكن الحصول عليها وجائز وجودها إلا أن الدلال أجابه اذذاك : استفتح أبواب الجنان فانك تراها . وذلك لأن اجتماع كل هذه الصفات في واحدة صعب جداً إن لم يكن مستحيلا غير أن ما لا يدرك كله لا يترك جله

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٦)

وقال عليه الصلاة والسلام : عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواهاً وأنقى أرحاماً وقال : إنما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن

واستشار رجل حكيما فقال : إنى أريد أن أضم إلى أهلا فأشر على قال الحكيم : افعل تحصن دينك ، وتصن مؤنتك ، وأياك والجمال

---

(١) عسيب أى كالنصف الأعلى من العسوب دقيق
(٢) كثيب كثير اللحم
(٣) مرهف رهيف أو نحيل
(٤) أتلع مرتفع أى طويل
(٥) أسفل الجيد وأعلا الصدر مكان العقد
(٦) هى المرأة الحسناء فى المنبت السوء

البارع . قال الرجل ولما نهيتني عن غاية ما يطلب الناس؟ أجاب الحكيم : لأنه ما فاق الجمال الا ولحقه قول الأفاكين أما سمعت قول الشاعر : —

ولن تصادف مرعى مونقا أبدا ... الا وجدت به آثار مأكول

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تزوجها سمراء (١) ذلفاء عيناء (٢) فان فركتها فعلى صداقها . هذا وقد تكلم كل الحكماء والأدباء فى هذا الموضوع فدعوا جميعا الى طلب جمال النفس والأخلاق فقط لأن النفس من دأبها ميالة الى حسن الوجوه حتي اصبحت النساء وقد عرفن فيناهذا الميل عارين عن كل الفضائل لاهم لهن الا أن يحسن في نظار الرجال فكأن الرجل هو الذي طلب أليهن ذلك والنساء متطرفات في كل شيء فعلي العاقل الرشيد أن يحذر كل متبرجة متجملة ، ذلك لأنها ما كانت فى حاجة إلي هذه الزينة الخارجية إلا وقد شعرت في نفسها نقصا تستره عنك بتبرجها وزينتها

فالنظار مثلا الى التي تكثر من التعطر فانها غالبا كريهة الرائحة فتتخذ من الروائح غشاء يخدعك فيها وتلك التي تصبغ وجهها بالدهانات والمساحيق لتستعيض بلونها عن لونها الشاحب من

---

(١) سمراء كلون الحنطة

(٢) عيناء واسعة العينين جميلتهما

الخلوروز (١) أوالأغبر من القذارة : وان التي تضع على لبنها عقدا ذهبيا كبيرا فلتستر وراءه هيكلا عظميا باليا أضناه فساد النظام المنزلى والارتباك الفكري، الي غير ذلك من كل حلية أو زينة ،فأنماهن أعرف بعيوبهن منا ويستطيع الدقيق أن يعرف تلك العيوب بتتبع مواضع الحلى والزينة فالأكثر تبرجا وتزينا أكثر دون شك عيوبا وأكثر رياءا

ومادمن يرين الحسن حسن الخرق والثياب فلا شك أنهن لا يطلبن من الرجال الا ذلك ومن طلبت الرجل لشكله ورواقه وحسنه وثيابه كان على الرجل المفكر ان يبتعد عنها قدر ما استطاع لأنها قبل أن تدوم علي وداد ما اكثر تقلب الأشكال

وأن هذا الرأى الذى دان به أغلب فتياتنا كان قضاء مبرما عليهن وعلى الفتيان أيضا لأن الرجل جبل أن يحافظ على اعجاب المرأة به وصارت المرأة لا تعجب الا بمنظره ولوساء مخبره . يدلك علي ذلك مسرح الشوارع والحوادث حتي أن احقر شاب لو ارتدى ثيابا لفاز باعجاب الكثيرات فكانت النتيجة المشؤمة التي أورثنا أياها هذا الرأى ان انكفأ شبابنا على المظاهر والمظاهر الخاوية فقط

---

(١) الخلورو : مرض يصيب الفتيات والاوانس منهن لكثرة التفكير فى الشهوة ويصحبه دائما صفرة الوجه وارتخاء الاجفان وفتور الاعصاب وله أسباب أخري لاموجب لذكرها

حتي لو أنك استطعت أن تتصفح قلوب أغلبنا وجدتها خلوا من كل علم أو فضل أو خير أو عمل صالح فان الشاب منهم قد اصبح يقضي ثلاثة أرباع وقته فى التزين والتجمل مثله كمثل الأنوانس في ذلك افعلي الفتاة العاقلة أن لا يخدعها بهرج الشباب ولتكن على يقين من أن الرجال بالأفكار والعقول لا بالثياب والاشكال فالذي يسمح لأن يقضي ساعتين أو ثلاثة في اتقان هندامه وثيابه لاشك انه لاقيمة للوقت فى نظره ومن كان لايعرف ان الوقت من ذهب وانه من عمره ويتهاون فيه كان متهاونا في عمره ومن تهاون فى عمره سهل عليه ان يتهاون في اعمار الناس فكيف براحتهم ، اذا تلك الذى يستهويها منظر الشبان دون ترو انما باعت نفسها رخيصة جدا لمن لايحرص عليها الأن من لايحرص علي نفسه لايستطيع أن يحرص علي غيره وان مجلد الحوادث ليثبت صحة ما ذهبنا اليه فان كل فتاة مالت الى من هو أقرب اليها مالبثت ان وجدت انها ذهبت ضحية الاغترار ، فهو أولا خلو من الفضائل عار عن كل علم وكمال ، وهو وأمثاله الذين جروا على الأمة وفتياتها الويلات

فعلى العاقلات الرشيدات ان يطلبن فى الرجال كمال العقل ورجاحة الفكر وثاقب الرأي أى يطلبن رجالا بمعني الرجولة الحقة . رجال أعمال لا رجال جمال اومال

فليس الجمال بأثواب تزيننا ان الجمال جمال العلم والادب

كما أني أنصح لهن ان لا يتخذن زينة الا الكحل والماء الصافي النقى الذي هو لا شك أكبر مجلب للجمال الرائع ، ولا يتخذن من الثياب الا أكملها وأبسطها. لأن هذه الأمور تكسبكن ميل الرجال وحب الأزواج لما تدل عليه من الحرص على الصحة والنضارة الطبيعية والمال ، وان حياة صحية منظمة لأفعل من مائة مسحوق ودهان فى حفظ الجمال والنضارة .

٣٤
الطلاق

لا يكاد ينفعل الرجل الا ويقسم بالطلاق ، ولا يعزز البائع قوله إلا بيمين الطلاق ، ولا يؤكد المرء حجته الا حلف الطلاق ! ! ! تمشدقت الألسن بهذا اليمين الرهيب لأوهي سبب أو بلا أدنى سبب . حتي كان في أدوار المزاح واللعب. ثم تلاعبت بنطقه الصبية في ألعابهم ولاكته ألسنتهم نقلا عن آبائهم وأهلهم ! أمر مؤلم لكنه واقع تحت حسنا حتي ليكاد يسمع في كل مكان . في دكان التاجر ومركبة الكهرباء والمحال العامة والطرقات

وتلك كلمة لا أكاد أسمعها حتي يقشعر مني البدن وترجف الأوصال ويتألم مني الوجدان . فهي كلمة — رهيبة ولفظة مخيفة يثير كل حرف من حروفها الي رعب جاثم وبلاء حائم .أولها طامة .وثانيها لعنة وثالثها اثم ورابعها قتل. أهوال مجتمعة ومصائب مؤتلفة أعيذك الله ونفسي شر ما جمعت . فأي لسان ذلك الذى يقذف بتلك الويلات في لفظة واحدة وأي نفس شريرة تلك التي تجرؤ أن تصب هذه الآلام على رأس أنسية لأمر بسيط أو لمجرد التحكم والرغبة

ان الطلاق وقد جاء به الشرع الحكيم ليبيح للزوجين الانفصال اذ وجدا في بقائها معا فساد الدنيا والدين ، وبعد أن يطرق البعل جميع الابواب الممكنة لاصلاح حالهما فان لم يجد فلا مناص من الطلاق مع أنه أبغض الحلال الى الله .

والطلاق باب شرعي دقيق حتي على المتفقهين وثقاة العلماء فكيف بالعامة الذين حرموا العلم قليله وكثيره وعلى الأخص العلم الديني مع هذا تري انهم يكثرون النطق بهذا اليمين الرهيب حتي في العابهم وهزلهم فهم في ذلك كاللاعب بالنار ماأصاب سوى لذع كفيه ، كذا المرددين ليمين الطلاق وأيمان المسلمين (وهم أغلبية فينا من جميع الطبقات والهيئات) لا يمكن أن يسلموا من الوقوع في محرم

فعلى كل من يرجو حياة طيبة طاهرة أن يمسك لسانه عن هذا اليمين الرهيب ويبتعد عنه ابتعاد الحذر اللبيب من الخطر المصيب، وليعلم أننا معشر الرجال ما استحللنا فروجهن إلا بكلمة الله وما حرمت علينا إلا بهذه الكلمة (الطلاق)، فصن لسانك عن كلمة الفراق ورمز الفصل ومقدمة البعاد الذي يعقبه غالبا ندم وأسف شديد

وأن الرجل لم تعط له هذه القوة دون المرأة إلا لفرض أنه أقدر من المرأة على مغالبة الأهواء وعدم الاسترسال مع الافكار المضطربة الوقتية فله الصبر وطول الأناة والحلم والمقدرة وسعة الحيلة، كل هذه القوي

يجب عليه أن يحاول بها كشف مساوىء الحياة الزوجية دون أن يلجأ الى الطلاق

* * *

أرى كثيرا من الناس يرددون هذا اليمين أمام زوجاتهم وما فيه من ثمرة إلا الوقوع في شرك الشيطان وإلهاب قلوبهن بالضغينة والحقد أذ يتصورن ترديد هذا اليمين دليلا على أن بعولتهن يمسكن تكلفا وليست لهن في قلوبهم أدنى علاقة أو ارتباط ، وحقا أن ترديد هذا اليمين لا يشير إلا إلى ذلك ، وقد أثبتت لهن الظروف هذا الزعم وباتت المرأة دائما في انتظار طلاقها ما دام بعلها حلافا ، ! وزوج هذا أمرها وهل يرجى منها إصلاحا وهى لا تكاد تطمئن أنها ستقضي ليلها بداره أم بدار أهلها ، اللهم أنا نطالب الطير أن يرمى الينا صيده ونحن نهيجه ونهشه

إن الطلاق أمر تفزع له المرأة كما تفزع له الملائكة ، غير أن المرأة إن باتت مهددة به في كل لحظة فلا بد أن تستعد له وتدخر بقدر ما في وسعها لما بعده ، ثم هي بعد ذلك تنافره وتناصبه العداء وتؤذيه ولا تبادله أحسانا أنما تقاسمه عذابا وآلاما وما ذلك إلا بعد أن أعلنها أنه لا يمسكها إلا رغم أنفه وأنه يهددها بطردها لأنه يمسك سيف علاقتها في حد لسانه ، وعلى نفسها جنت براقش .

«واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن»

«بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم»
«نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل»
«عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن»
«الله بكل شيء عليم ٢»

مجلس

في قصص المتزوجين وقصة الزواج

لما كانت حيازة الذكر للانثى أمراً وجد مفطوراً عليه الطبع ، إنساق الانسان فيه بضروب شتي على حسب رقيه وانحطاطه، فنري أن الرجل المتوحش قديما كان يقاتل غيره فى سبيل الحصول على زوجة شأنه فى ذلك شأن القردة وغيرها من الحيوانات التي تعيش مجتمعة كالفيلة أيضا ، وقد شوهدت هذه العادة معمولا بها فى قبائل الپوشيمان بامريكا الشمالية

والحياة الزوجية تختلف كل الاختلاف فى بلد عنها في أخرى وفي قبيلة عنها فى غيرها فعالم الزواج مملوء بالغرائب المضحكة فلقد كانت الفتيات تجتمع في مكان مظلم فيمسك كل فتي من ساقها اليه نصيبه ، أو تصبح المرأة زوجا للرجل إذا خطفها ، أو بمجرد أن تجلس الى جواره بجانب ناريو قدانها ، أو إذا قدمت له قليلا من التبغ ، أو إذا جلست معه فيما يشبه قصعة كبيرة إلى غير ذلك من الغرائب

ومما يحكي عن الحياة الزوجية في بعض قبائل أستراليا المنقرضة أن هناك الرجل يتزوج إلى خمسة زوجات فتجتمعن ويتضاربن بعصي غليظة حتي تدمى جراحهن وللفائزة منهن الحظوة عند زوجها

وقد تحدث كثير من السائحين وجوابي الآفاق بأن قبائل أواسط

أفريقيا لايشعرون بأى عاطفة نحو المرأة فهي والبقرة سيان، ترى الرجل يكثر من الزوجات ليشغلهن فى الأعمال الشاقة وغيرها ـ فان كثرة الشيء تحط ثمنه وقيمته كما أن ندورة الشيء ترفع ثمنه وتزيد فى قيمته

* * *

١ — كان لملك من الملوك فتاة تكره التزويج ، فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه ؟ قالت ! وما فيه من خير ؟ قلن : وهل لذة العيش إلا في التزويج ! قالت : فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتي أسمع .

فقالت إحداهن ! زوجى عونى في الشدائد ، وهو عائدي دون كل عائد إن غضبت عطف وإن مرضت لطف .

قالت : نعم الشيء هذا

قالت الأخرى : زوجي لما عناني كاف ، ولما أسقمني شاف ، عرقه المسك المداف ، وعناقه كالخلد لا يمل طول العهد

قالت : هذا خير منه

قالت الأخري : زوجى الشعار حين أبرد ، الأنيس حين أفرد فتزوجت فقلن لها . كيف رأيت ؟ قالت . أنعم نعيم وسرور لا يوصف ولذة ليس منها خلف .

* * *

٢ — كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعس ذات ليلة فسمع امرأة تقول : —

ألا طال هذا الليل وأزور جانبه وأرقني أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا رب غيره لزعزع من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يكفني واكرم زوجي أن تنال مراكبه

فلما أصبح سأل عنها قالوا فلانة بنت فلان زوجها غائب فذهب إلى ابنته حفصة وقال يا بنية أنت زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأوثق نساء العالمين في نفسي واني جئتك لأسألك عن مسألة من أمور المسلمين فلا تستحي مني وأصدقيني، كم تصبر المرأة عن زوجها قالت أربعة أشهر، قال وخمسة ؟ قالت وخمسة . قال وستة ؟ قالت إلا بمشقة . فأرسل إلى تلك المرأة القائلة امرأة لتكون معها ثقة . ثم كتب الي أمراء الجنود أن لا يغيبوا رجلا فوق أربعة أشهر .

* * *

٣ — حكي عن رجل من بني أسرائيل أنه حلف أن لا يتزوج حتي يستشير مائة رجل فسأل تسعة وتسعين ثم قال غدا أسأل أول من ألقاه حتي إذا أصبح لقي رجلا راكبا على قصبة من الحطب فاغتم أذ ظن أنه مجنون ، ولكنه سأله فقال له :

البكر لك والثيب عليك وذات الولد فلا تقربها . ثم قال : وما أنا

بأحمق أنما تحامقت لأسلم من شر الناس.

* * *

٤ — يحكي أن فتول بنت عبد كانت تحت رجل من قومها يدعي الأشق فطلقها غير أنها رغبت في أن يراجعها فأبي عليها حتي يئست، فخطبها رجل يقال له عامر بن بثوذب فتزوجها فلما بني بها، بدا للأشق مراجعتها فأرسل يستشيرها فى ذلك فقالت ! .

أتركتني حتي إذا ... علقت أبيض كالشطن

انشأت تطلب وصلنا ... فى الصيف ضيعة اللبن

فما كان من الأشق الا أن ذهب فجلس فى مكان قريب حيث يسمع كلامه عامر وانشأ يقول : —

لحا الله بنت العبد أن وصالها ... وصال ملول لا تدوم على بعل

تحدثني أن سوف تقتل عامرا ... لأن لم يكن في ماله عامر مثلى

فهيهات تزويج التي تقتل الفتي ... أذا ما أبت يوما وان كان من أجلي

فتقتلني يوما اذا هويت فتي ... سواى واني اليوم من وصلها بجلى

فوقع في قلب عامر ذلك القول وكان قد عرف عن حب فتول للاشق فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الاشق .

* * *

٥ — خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف زوج يقال

لها هند من أجمل نساء زمانها ، فلبث هناك سنين فاشتري جارية أسمها الجمانة ، وكان له فرس يسميه الورد ،

وقد وقعت الجارية منه موقعا حسناً فأنشأ يقول : ـ

ألا لاأبالى اليوم مافعلت هند ... إذا بقيت عندي الجمانة والورد

شديدمناطالقصريين إذاجرى ... وبيضاء مثل الرئم زينها العقد

فهذا لأيام الهياج وهذه ... لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فبلغ ذلك هند فكتبت إليه : ـ

ألا أقره مني السلام وقل له ... عنينا بفتيان غطارفة مرد

فهذا أمير المؤمنين أميرهم ... سبانا وأغنا كم أراذلة الجند

إذا شاء منهم ناشيء مد كفه ... إلى كبد ملساء أو كفل نهد

فما قرأ كتابها حتي استأذن فى العودة

* * *

٦ — تزوج إعرابي إمرأة عجوزاً ذات مال طمعاً في مالها ، فكان يصبر على بلائها لمالها ، إلا أنه قاسي الأمرين فملها وتركها فكتبت إليه تسترده كتابا رقيقاً ، ولكن كيف يستطيع الدخول الى جهنم وقد أفلت منها فأجاب كتابها بقوله

ليس بيني وبين قيس عتاب ... غير طعن الكلا وضرب الرقاب

* * *

٧ — تذاكر بعض الأعراب الأولاد والانتفاع بهم فقال أحدهم : زوجوني إمرأة أولدها ولداً ، أعلمه الفروسية حتى يجري الرهان ، والنزع عن القوس حتي يصيب الحدق ، ورواية الشعر حتي يفحم الفحول . فزوجوه امرأة فولدت له ابنة فقال فيها :

قد كنت أرجو أن تكون ذكرا فشقها الرحمن شقا منكرا
شقا أبى الله له أن يجبرا مثل الذي لأمها أو أكبرا

ثم حملت حملا آخر ، فدخل عليها وفيها المخاض ، وكانت تسمى ربابا فقال : —

أيا رباب طرقي بخير وطرقى بخصية وأ...
ولا ترينا طرف البطير

وولدت له أخري فهجر فراشها وكان يأوي بيت جار لهم فقالت زوجه فيه وكان يكنى أبا حمزة

مالأبي حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا وانما نأخذ ماأعطينا

فآلمه قوله وعرف خطأه فرجع اليها راض لحظه .

٨ — قال اعرابي في امرأة تزوجها وكان قد قدم فيها شابة طرية فدسوا اليه عجوزا

عجوزاً ترجوا أن تكون فتية وقد نحل الجنبان واحدودب الظهر
تدس الى العطار ميرة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر
تزوجتها قبل الهلال بليلة فكان محاقا كله ذلك الشهر
وما غرني إلا خضاب بكفها وكحل بعينها وأثوابها الصفر

وقال فيها

ولا تستطيع الكحل من ضيق عينها فان عالجته صار فوق المحاجر
رقي حاجبيها جزة لغرارة فان حلتا كانا ثلاث غرائر
وثديان أما واحد فهو مزود وآخر فيه قربة للمسافر

وفيها يقول

لها جسم برغوث وساقا بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها وتعبث في وجه الضجيع وتكلح
لها مضحك كالحش تحسب أنها اذا ضحكت في أوجه القوم تسلح
وتفتح، لا كانت فما لو رأيته توهمته بابا من النار يفتح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ فيها حين يمسي ويصبح

* * *

٩ — تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة، فكانت الجديدة تمر على باب القديمة فتقول

ومايستوى الرجلان رجل صحيحة ورجل رمي فيها الزمان فشلت

ثم مرت بعد أيام فقالت

ومايستوي الثوبان ثوب به البلي وثوب بأيدي البائعين جديد

فخرجت اليها الزوج القديمة وقالت

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلب إلا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

* * *

١٠ — تزوج أعرابي امرأة فآذته فافتدي منها بحمار وجبة وطلقها ! ثم قدم عليه ابن عم له من البادية فسأله عنها فقال : —

خطبت الى الشيطان للحين بنته فأدخلها من شقوتى في حباليا
فأفتدني منها حماري وجبتي جزا الله خيراً جبتى وحماريا

. . .

١١ — محمد بك موظف كبير ، أصله من الطبقة المتوسطة . أرتقى بفضل جده وذكائه ، خطب كريمة حسن باشا رجل من كبار الأغنياء فلم يضن عليه بعادته ، لما يعلمه فيه من الكفاية والجدارة ، فزفت إليه وهو يرجو حياة زوجية طيبة لما سمع عنها أنها متعلمة أرقى تعليم ، غير أنه لم يلبث أن شعر بوجود أختلاف بينه وبينها فى العادات والأخلاق ، وهي تجذبه اليها أى تطلب منه التطبع بعاداتها والرضاء بها ، دون أن تحاول هى الاقلاع عن شيء مما ألفته في دار أبيها ، وما ألفت إلا التدلل واللعب ، وهذان لا يصلحان طبعا لأدارة البيت .

فأجتهد وكان من الراشدين أن علمها أنها انتقلت من دار إلى أخرى

وتركت حياة لحياة ثانية وكادت تتأثر وإن كان بصعوبة، إلا أن امها - جزاها الله خيراً - نهتها عن النزول عن شيء من عادتها وأوحت إليها بالمغالاة في أحوالها أمور جعلت حياتها وزوجها حياة مشادة وقلق لا راحة فيها ألبتة، فما كان منه إلا أن لجأ إلى تلك الأم وكأنه لا يدري أنها علة شقائه. فشكا إليها! فكان كمن يستجير من الرمداء بالنار إذ أنها لم تعقل شيئاً مما قال: وجعلت تقول أن فتاتها تربت تربية عالية فهي لا تستطيع أن تعيش إلا حرة من كل قيد أو شرط وإلا فانها تمرض، ثم لجأ بعد ذلك الى أبيها ولم يمض إذ ذاك إلا شهر، فحاول الرجل نصحها وإيقافها على حقيقة حالها مع زوجها فحسنت حالها ثلاثة أيام ثم رجعت سيرتها الأولى فكلم أباها في ذلك، فأتاها ينصحها ويغلظ عليها القول ثانياً، وصار يتردد عليها ليراقبها، فتخيلت أنها مجبرة على أمر لا قبل لها معه وتألمت له وأمها حتى خرجت عن حدود اللياقة مع البعل المسكين الذي كان يرجو راحة فجاءه شقاء فلما وصل الحد إلى ذلك هددها بالفراق فارتاعت لهذه الفكرة إلا أن الأم كبرت عليها تلك الكلمة وظنت أنها إن طلبتها هي تعزعليه، فجاءت إلى محمد بك محتدة تطلب منه طلاق إبنتها، فقال (للهانم) إن كانت البنت توافق على ما تريد فلتصحبها إلى دار أبيها ثم تركهما وخرج لكي يتفقا على ما يصلح. وقد أثرت الأم على ابنتها حتى أخذتها معها وهنا علم أن لا مناص من التضحية الغالية في سبيل الراحة وطلقها، غير أنه لم يمض إلا ثلاثة أيام حتى أرسلت

إليه خطاب عتاب إذ بدا لها أنها تحبه ثم أشفعته بثان تشرح له كيف أثرت عليها أمها وتكشف له في الختام عن حبها له وتعلقها به ، ثم جاءه خطاب ثالث تطلب إليه أن يراجعها إذ أنها مشتملة منه على حمل ، فكان لهذا التسلسل في الخطاب مغذى أوجس منه خيفة فصمم على عدم مراجعتها فلما يئست منه ولهت به وجنت وهي الآن من سكان البيمارستان (والحكاية واقعة لم نغير فيها سوى الأسماء)

* * *

١٢ — يحكي أن رجلا ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو إليه عسر حاله حتى كان لا يملك مسكة ليلة ، فأمره عليه الصلاة والسلام أن يتزوج ، قال إني لا أملك قوت يومي يارسول الله : قال : تزوج. فتزوج الرجل وظلت الحال كما هي عليه فعاد إلى النبي يكرر شكواه فقال له عليه الصلاة والسلام : تزوج . قال الرجل : قد فعلت . قال عليه الصلاة والسلام : تزوج . فتزوج الرجل ثانية إلا أن الحالة بقيت كما هي فرجع إلى الرسول الكريم بنفس الشكوى فقال له عليه أفضل الصلاة والسلام ـ تزوج. قال الرجل : قد فعلت يارسول الله . فقال عليه السلام ثانية: تزوج. قال الرجل لقد فعلت ، فقال النبي لثالث مرة: تزوج. فذهب الرجل فتزوج الثالثة ، فما أصبحت تلك الثالثة بدار بعلها ورأت ماهي عليه من ضنك شديد حتى طلبت من أختيها التحايل للحصول على

شيء من الصوف ليغزلنه وقد حصلن على القليل منه فغزلنه وذهب الرجل به إلى السوق فباعه واشترى بثمنه صوفا لمن يغزله جميعاً وذهب فباعه واشترى بنصف ثمنه صوفا وبالنصف الثاني قوتاً وهكذا جعل يزداد مقدار الصوف شيئاً فشيئا حتي تيسرت له الحال وكان من الراضين

فتأملوا يا أولى الألباب

١٣ — احمد بك رجل هرم من كبار الاغنياء له من السن فوق الثمانين ، خطب حضرته كريمة أحد الناس التي لم تتخط السابعة عشر ربيعا فغر أباها الطمع والأنشمية ورضي أن يقبر فتاته فى أحضان ذلك العجوز الفاني ، وكم تمنت الفتاة وألحت فى الرجاء وأستعطفت قلوب ذويها أن لا يتم ذلك القران الصعب الاحتمال ، إلا أنهم كانوا يمنونها بالأماني العذبة من قرب وفاته وإرثها بعد ذلك ، وسواء رضيت أو لم ترض فقد سيقت أليه وحملت إلى قصره ـ والقبر أرحب لها منه ـ هو شبح الموت يدب نحوها ، وهيكل الفناء كامن في تجعدات وجهه العتيق فكانت روحها الفتية الزاهرة ترتجف فزعا لكل حركة من حركاته فتشعر ببرودة الموت وجفاف الحمام يسريان الى بدنها حينا بعد حين ، حال جعلتها دائمة الاطراق كثيرة الذهول . تتذعر عند أى حركة فجائية قربها ، حتي أذا كانت ذات يوم قد جلست على اطار (بلكون) الحديقة

إذ بزوجها يدب أليها على غرة منها ودون أن تشعر به فما كادت تحس به حتي ذعرت فسقطت في الحديقة تهوي

وجدت أسفل الشباك ميتة ولم يثبت أن السقطة هى سبب موتها.

ألا رحمة أيها الآباء رفقا بفتياتكم

* * *

١١٢ - زفت فتاة حضرية ألى عمدة ريفى ، فما كادت تستقر الفتاة (بدوار) بعلها حتي رأت أنها وحيدة وان أحيطت بنفر عديد، وليس هناك من أحد يشاركها أفكارها ويبادل آراءها .رأت أنها وحيدة وحولها العشرات من أهل بعلها والخدم والأتباع ، إلا أن النفس ميالة الى شريك يقاسمها خطراتها ولم يكن لزوجها أن يملأ ذلك الفراغ فمالت نفسها الى سبيل آخر من التسلية واللهو فغالت فى طلباتها ولم يعص لها زوجها طلبا لأنها عنده الكل فى الكل فقادته بذلك إلى الخراب ثم عادت الى بيت أبيها بولديها — وحاول الرجل ردها وأبت عليه ذلك لفقره. وأن كانت السبب . وهكذا بات وهى فى شقاء وشقاق

حد الزنا

في غابر الأزمان

كان حد الزانى عند بني أسرائيل القتل

وكذا كان في أوائل عهد الدولة الرومانية إلى مابعد قسطنطين حيث جعل حد الزانية الحبس سنين وإعدام الزاني

أما قدماء الانجليز فكانوا يعرون الزانية إلى وسطها ويطاف بها ثم تضرب حتي تموت ، أما الزاني فيعلق من أعضاء تناسله إلى عمود ويترك هكذا حتي يموت، أو يعطي مدية ، حتي إذا أراد تخفيف عذابه عالجه بالقطع

وكان بعض القدماء يحرقون الزانية ويشنقون الزاني

المبحث الرابع

في

الآداب العامة

الأدب

من الاسماء التي كثر تناولها في حالات عديدة الا أننا لن نعني بدرسه هنا الا من وجهة واحدة تلك وجهة التربية والتعليم والاخلاق وهو عبارة عن حالات وهيئات خاصة تلابس حركات وأفعال الانسان في جميع أعماله وأقواله ، لهذا كان من السهل الحكم على قيمة أدب الفرد لمجرد درس بعض حركاته وسكناته أو لسماع شيء من أقواله وكلماته حكما صحيحا ينطبق على العرف أو الحقيقة ، وهذا عمل يقوم به كل انسان تقريبا فلا يكاد يرى المرء عملا قد خالف المتبع ـ في نظره ـ أو فعلا قد نافي مصالح المجتمع ـ في ذوقه ـ حتى يندفع قائلا هذه ـ (قلة أدب) أو (قليل الادب) أو (لا أدب عنده) أو (قليل التربية . متربأش) فالادب اذاً مجامع كل حركات الانسان وأعماله الخارجية حتى يبدو على كل بادرة يأتيها أو كلمة تصدر عنه أو عبارة يتفوه بها .

وليس الادب من الغرائز النفسية ـ فطرية كانت أو غير فطرية ـ وان اتصل بها دائما ، بل هو اكتسابي انشائي محض ويمكن تكوينه وتصييره بالتربية والتعليم ، فيلتزمه الانسان متكلفا كعادة خارجية ليس لها أقل أثر فى النفس الداخلية ، ولقد عني المعلمون دهرا مديدا بالزام التلميذ نظما وتقاليد خاصة يجبرونه على اتباعها دون محاولة غرسها فى النفس فكان الطالب يأخذها متصنعا حيث تظل صبغة لأعماله الظاهرة مالم ينافيها طبعه وتفترق واياها خلقه ، انما العادة طبع ثان اذا وافقت من النفس مشربها أو كان بها استعداد لقبولها والا فهى عرضة للانهيار أمام أقل ثورة نفسية ، ولن يمكنها الحيلولة بين النفس وأميالها أو أغراضها ان خالفتها لأنها تربية شكلية تكاد تكون صناعية ليس لها أدنى أثر فى النفس الانسانية الداخلية حتى ان كثيرا مايكون المرء جم الادب سافل النفس منحط الاخلاق ! ـ ولا غرابة فى ذلك ـ فقد يكون الادب عبارة عن حركات اصطناعية وهيئات خارجية ليس لها أدنى ارتباط أو مساس بالعواطف والوجدانيات التي هي اهتزازات وانفعالات النفس الداخلية فكم من رجل تُرى لطيف العشرة غزير الرقة كثير الرحمة لين القول حلو الدعابة سمير الوحدة أنيس الغربة عذب الحديث على غاية من البشر والظرف ، لاتراه أو يراه غيرك حتى يعجب به كل الاعجاب ويصيح من أعماق نفسه : (مؤدبا) الا انا لا نلبث ان نعلم بالاختبار ان وراء هذا

للنظر البديع والمظهر الخلاب وخلف هذه الستار البراق قد كمنت نفس وحشية لا تطاق وليس بينها وبين الأدب الظاهر أقل انطباق

من ذلك علم المربون والمعلمون فساد طريقتهم الأولى ، ورأوا أن الأجدي لهم والأمثل هو الاعتناء بتنمية الغرائز الصالحة في النفس الداخلية وتقوية الخلق الطيب فيها ، وذلك لأن الأخلاق ليست اكتسابية محضة كالآداب إنما هي كالعقل والحس والذكاء غرائز تحتاج التنمية والاعتناء وهم لا يريدون من تنمية الأخلاق الحسنة بالنفس إلا إعداد أسس صالحة لآداب عالية إذ مما لا ريب فيه أن الأعمال والأقوال لو صدرت بوحي من أخلاق سامية كانت آدابا عالية طاهرة — والآداب العالية وإن كانت تصدر في الغالب عن أخلاق سامية فقد تأتي أحياناً تكلفا بحكم التربية والتعليم النقلي أو التقليد — إلا أن المتفرس الخبير يستطيع التفرقة بينهما وإن كان هذا من أصعب الأمور . وهذا عند ما تكون الآداب حسنة مرضية ، أما إذا كانت سيئة دنية فلا شك أنها لا تدل إلا على شيء واحد هو فساد التربية والأخلاق معاً ، لأن الأخلاق الطيبة لا تصدر عنها فعال سيئة لهذا لم يجد سيء الأدب زاجراً من علم أوناه من أخلاق ،

ولما كانت الآداب تلابس جميع الحركات الظاهرة للانسان فهي تصبغ جميع أعماله من أخذ وعطاء وبيع وشراء ومشي وجلوس وقيام

وذهاب ومجيء وكلام ، أما الأخلاق فهي صفات أو غرائز نفسية كامنة فيها ودوائر معنوية محيطة بها تتحرك النفس في حيزها وبين حدودها ، استطعنا أن نقول أن الآداب هي الحركات الظاهرة للأخلاق الكامنة فلما كانت الأخلاق سامية كانت الآداب عالية والعكس بالعكس ذلك بعد أن نضرب صفحا عن بعض من الآداب التقليدية التي تغرسها الشدة فتلازم أعمال الانسان دون دافع أخلاقي إلا أن هذه قصيرة العمر كما أسلفنا

وبما أن الآداب هي المظهر الحسي المشاهد للنفس الانسانية ـ فهي حركات الأخلاق والأخلاق ثياب النفس ـ كان بها الحكم غالباً على تلك النفس حتى قيل آداب المرء دليل عليه ، وتتجلى هذه الآداب في الحركات والكلمات أتم جلاء حتى كانت نظرة واحدة يتبع بها الانسان شخصاً يلم فيها ببعض حركاته وسكناته كافية لأن تمكنه من الوقوف على مقدار آدابه ومنزلة أخلاقه وكنه نفسه ولنضرب لذلك مثل رجل قد ركب السيارة الكهربائية وهو آنق حسن المندام فقفز إليها قفزاً ثم قعد على طرف المقعد الأيمن والمقعد عن يساره خالي ، فوضع ساقا على ساق وأسند ظهره الى مسند المقعد في كبر وخيلاء كل هذا ونفسه لفافة من التبغ مشتعلة ولم تمسسها يداه ، وهذا الوصف يمكن الالمام به في أقل من دقيقتين إلا أن فيه الكفاية من المعلومات عن هذا الانسان

وإليك بيانها وما تومي إليه

أولا — التأنق : التأنق فى الرجال مذهبهم يحط من قدرهم فهو دليل على فراغ النفس من جليل الاعمال ،وانحطاط الادراك حتي تشغله المظاهر والاشكال ، وعدم تقدير قيمة الوقت والميل الى التشبه بالنساء : والنفس الفارغة لاتكون لرجل عمل أو تفكير بل قل أن يصلح لعمل ما ، أما من يهرول وراء المظاهر ويقدس الهيئات والأشكال فغرير خب قصير البصر عديم الادراك لايدرك نجاحا ما في حياته ، ثم الذي لايدرك قيمة الوقت الغالية لأنها على أقل تقدير جزء من عمره والمضيع للوقت انما هو مستهينا بعمره ومن لا قيمة لحياته عنده لايعرف قيمة شيء ما ولا يكاد يحرص على شيء ، أما الذي يميل الي التشبه بالغوانى فمخلوق خانع النفس ذليل غير طموح هو دون تفكير لايكاد يعرف من نفسه ذاتها فرضي الخناعة بدل الشجاعة فمدد لمسالبه ولاحرج

ثانيا — إن وضع الركبة على الركبة عادة مرذولة يعملها كثيرون تواجها وتعاظما ولست أدري لتلك العادة السمجة من باعث سوى التقليد المتوارث حتي لايكاد يوجد من لايعملها ظانا في ذلك راحة لبدنه ولكنه واهم وفي ضلال كبير فلو كان كما يدعى هو ومن شابهه وعمل عمله هذا لكانت تلك الجلسة هي التي اختارها الانسان لنفسه من قديم إلا أن الله خلق البدن مستقيما يجرى فيه الدم بقدر ونظام معلوم وفى تثني الاعضاء

بدون نظام معاكسة لمجرى الدم حتي أن من يضع ركبة على أخري يري نفسه مضطرا بعد قليل لرفع السفلى وانزال العليا مرغما علي ذلك بألم يشعر به في مفاصله ولو أنه كشف عن ركبته حينذاك لرآها صفراء فاقعة كما أن هذه الحركة تدل على نزق وخفة سمحت لصاحبها أن يلوى أعضاءه بهذا الشكل الغريب المضحك حتي أن الرجل الثابت الرشيد يستنكف عملها لأنها تخالف أيضا الآداب فلا يمكنك أن تجلس بهذا الشكل مثلا أما رئيسك أو وليك وإن فعلت كنت في نظرهم قليل الأدب مع ملاحظة أن هذه الجلسة فى السيارة الكهربائية ستجعل السائقين كحاجز يعوق الصاعدين والنازلين

ثالثا — لأن يجلس المرء على طرف المقعد الأيمن مع خلوه عن يساره (مع العلم أن جهة اليمين هي المستعملة للصعود والهبوط) دليل على صغر العقل ، وقصر النظر ، والبعد كل البعد عن حسن التصرف ، والنظام فصغر العقل هو الذي حدي به الي العقود بهذا المكان إذ لا رغبة له منه إلا مراقبة الشارع والراكبات والنازلات وقصر نظره هو الذى حجب عنه أن جلوسه في مكانه هذا سيجعله عرضة للاصطدام بالارجل والأقدام ولا يخفى ما فى ذلك من مشقة يتقيها لو أحسن التصرف فجلس إلي الداخل فيستريح من دوس النعال على ركبتيه وتستريح الناس من التخطى فوقها فتنتظم بذلك حركة الركوب إذ يجعل الانسان دائما المقعد الخالى عن يمينه كى يسهل

على الراكب أو النازل الاسراع

رابعا — أما مظاهر الكبر والخيلاء فهي دون شك ستار كاذب اتخذها رياء ولم تكن من طبعه (وما أحقر و أحط المرائي) لأن العظيم لا يتكلف العظمة انما تدل هي (العظمة) على نفسها بنفسها

تلك هي أوصاف جمعناها من بعض حركاته مكتفين بها وإن قلت بالنسبة لكثير منها فيه ، إلا أن بها قد استطعنا ان نتوصل بسهولة الي وصف نفسه الداخلية تقريبا إذ اوحت الينا حركاته بآدابه وصورت لنا هذه أخلاقه التي أظهرت لنا نفسه سافرة النقاب ،فهذا المخلوق التعس مغرور يريد أن يغر الناس مخدوع ويخدع الناس جاهل يتعاظم على الناس فكم من أمر يعمله الانسان لغاية فيأتيه بنقيضها وكم من يحاول رفع نفسه فيحطها ويكشف سترها وتبدو لعين البصير واضحة حتي كأنه يقول في كل حركة يأتيها وكلمة يقولها هاؤم اقرأوا كتابي ،وهنا نأتي بمثل رجل آخر حسن الهندام بدون تأنق ثابت الحركات أتي السيارة الكهربائية فاذا بها مزدحمة نفحصها جيدا بنظره قبل أن يتقدم خطوة فأبصر مكانا يمكنه أن يجلس فيه فذهب اليه فاذا ركب وأرجل (البكوات) في السبيل فطلب اليهم بكل لين أن يسمحوا له بالمرور فتحرك أكتافهم دون أن تتحرك أقدامهم فيجتهد أن ينفذ من بين سيقانهم دون أن يرفع قدمه خشية منه أن يسبب لملابسهم إتساخا بنعل حذائه حتي أذا بلغ مقعده قعد دون أن يتيه أو يتعاظم وقد

أستعد لمناولة ملاحظ السيارة الأجرة فلا يكاد يراه حتي يقدمها له قبل أن يطلبها وهذا في جلسته معتدل لا يضع مرفقه أو ساعده في جنب جاره أو فوق رأسه وإذا فرض أنه مريض بالتبغ تراه يشعل لفافته دون حرج أو مرج ثم ينفث دخانه بعيداً جدا عن وجوه مجاورين وبطريقة لا يسمح له بالتجمع فوق رؤوسهم حفظا وحرصا ومراعاة لشعورهم. الاشك أن هذا الانسان كريم النفس سامى الاخلاق وها صفحته ناصعة وضيئة فبدرس طائفة من حركات الانسان يمكن الوقوف على منزلته الأدبية وروحه الاخلاقية التي هى رداء النفس المحكم وبهذا يعرف المربى الرشيد أميال وأخلاق وكنه نفسه من تحليل بعض حركاته وبذلك أيضا يشعر الاجتماعيون بتطور النفس الانسانية في حالات عديدة أو ميلها الي هذا التطور وهل سيكون سريعا أو بطيئا وهل الى الرقى والتقدم أو الدمور والتأخر حتي أن جمع الثورات التي حدثت في العالم كان قد سبق أن أنذر بها الاجتماعيون ونبأوا بحدوثها ،

فما على الانسان إن أراد أو رغب فى الوقوف على كنه فرد ما وماهية نفسه وأخلاقه ألا أن يتمعن حركاته التي يقوم بتمثيلها على المسرح العالم لأنها دون شك جزء من دوره الذى أخذ على نفسه تمثيله برواية الدهر العظمي

المسرح العام

انني أحد الذين يعجبون بالمسرح العام كل الاعجاب حتي أنني

أفضله دون شك على أرقى مسرح لا فى مصر فقط بل في نواحي العالم أجمع . ـ ولا تظنني خرجت عن الموضوع فما المسرح العام الا الشارع ، ومن فيه من سابلة فكلهم ممثلون ومشخصون يمثلون على مرآى كل من ألقى الطرف وهو شهيد ، وإنهم ليمثلون ويمثلون دائما وبلا انقطاع تمثيلا بالغاً حد الاتقان دون تكلف في ذلك وقد فهم كل فرد منهم دوره ووافق روحه فقام بأدائه خير قيام ، ثم ليس هناك ستار لترفع أو تنزل لأن (الدرام) العالمية لاختام لها إلا بختام عمار هذا الكون كما أن فصولها متواصلة تنتهي غالباً باختفاء أشباح الممثلون أنفسهم فمنذ بدىء فى تمثيلها والممثلون يتعاقبون ويتلاحقون الى حيث لا يرجعون إلا أن منهم من يبقى لدوره ذكر في النفوس وأثر فى مجرى حوادث الرواية ومنهم من يظهر ثم يختفي دون أن يحيا له ذكر أو يبقى له أثر كأن لم يكن!

على هذا المسرح العظيم يمكنك أن تشهد أبدع وأروع رواية قل هي أم جميع الروايات على الاطلاق ، وإن نظرة واحدة ترسلها الى جميع القصص والمقطوعات والروايات التمثيلية تدلك على أن جميعها تقتبس من حوادث رواية الدهر الكبرى ، وإن رجعنا أيضاً الى اسم ذلك الفن الذي يقوم به القائمون بدور الممثلين والروائيين والفنيين رأينا أنه يشعر بمحاولة التشبيه لشبيه سابق من حوادث مضت، لهذا أخذوا اسم التمثيل وهو لغة بمعنى ـ أتي له بمثل ـ لجميع التمثيل المسرحي ما هو إلا إعاده

وتكرار حادثة أو فصل من حوادث وفصول رواية الدهر الكبرى ليتعظ الخلف بعبر السلف وكل يوم عبرة لما بعده ولو شاء الانسان لاهتدى بأمسه الى يومه وبيومه الى غده وما يستطيع ذلك إلا من وعى للحوادث واحدة بواحدة بالتطلع الدائم الى ذلك المسرح الغريب، حيث يشاهد الغرائب والعجائب - مع ملاحظة أن ليس هناك تقاسيم فنية كالتي اصطلحنا عليها من هزلى وأدبي ومحزن وعادي وقصصي بل قد ترى جميع الانواع فى لحظة واحدة مجتمعة في حادث واحد أو شخص واحد وقد ترى البكاء دليل الفرح والضحك علامة الجزع المميت ، ثم ترى ما يضحك الثكلي وما يشيب الولدان متداخلين في فصل معاً وقد ترى الممثل يولى وجهه شمالا فيضحك وجنوباً فيبكي وهو ثابت مكانه يأخذ من الشرق ليدفع في الغرب . ثم هناك قوم قائمون بدور المشاهدين تراهم يبكون حين يجب الضحك ويضحكون حين يجب البكاء ويصفقون حين يجب السكون ويسكتون حين يحسن التصفيق فهم ينظرون وكأنهم لا ينظرون الغريب وليس أغرب من هذا يكون وهل بمثله كنتم تسمعون أو لا تحبون مشاهدة هذا المسرح العظيم وأنتم به واقفون ولا يكلفكم غشيانه إلا أن تنظرون حيثما كنتم فتشاهدون وتتمتعون وان كنتم لا تسمعون فان التمثيل صامت وان كان القوم لناطقين لأنه قل أن يعبروا بالقول عما يفعلون وإن نطقوا فبالألحان والاناشيد والاغاني والتراتيل.

الاغانى والالحان

إسمح لى هنا أن أستر عك دمعة انحدرت من عيني وغض الطرف عن تلك الآهة الطويلة التي حشرجت بصدرى فأن الأغاني هى دون ريب رجيع خطرات نفوس مردديها وصدي حركات عواطف منشديها وترجمان مشاعر قائليها وهى صفحات من أفئدة واضعيها وهى روح الرواية التى تغني فيها ، فالأغاني تدلك علي البلد وما يحويها وتحدثك عن العصور وما فيها : فلقد كان الطير أول صادح علي أفنان الحياة إذ غنتنا البلابل وغردت الشحاريروسجعت القمارى وسقسقت العصافير على نغمات خرير الماء وحفيف النسيم وتصفيق أوراق الزهر النضير . تلك ألحان الطبيعة فما أرقها وأبدعها . وكم صغى الانسان لها وهو إذذاك عارى البدن فقير فسعد وطرب وكان فى عيشه قرير . وكم أزكت بفؤاده من الحماس وأمدته بالعزيمة وشدة البأس لمجالدة حياته الخشنة . حتى إذا ازدحمت الناس وقلت الطيور وشعر الانسان بحاجته إلى التغني بذكر أبطاله السالفين ليحيي مجدهم الأثيل ويأخذ عنهم في أمره اليقين فجعل يقلد ما يسمعه ولكثرة التوارث انفصلت ألحان الانسان عن ألحان الطير إلا أن الغناء أستمر مبعث الحماس وموقد الغيرة ومزكي الشجاعة للدفاع عن الأعراض والأوطان . وما عصر العرب عنا ببعيد . حتى دخل الترف على الغناء

عندنا فأصبح الغناء للحنه الرقيق لا لمغزاه الدقيق. انقلبت الآية وانعكست الحكاية وأصبح الغناء عندنا أول داع إلى الفسق والفجور. وكأن الغني لا يجوز إلا بالهوى والهوان والعشق والهجران إلى غير ذلك من المفاسد القاضية على حميد الخصال. وما هي إلا نظرة تتصفح بها مجموعة الحاننا وأغانينا بل لاداعي للتصفح وما زال الأنسان يسمعها في كل مكان وعلى لسان كل إنسان. ولنأتي لك بطائفة مما يتردد على الألسن بكثرة وبشكل زائع الانتشار: —

أرخى الستات اللي فى رحنا أحسن جرانك تلحنا — (إحم)

ما اتخافشي علي أنا واحده سجوريا (طيب)

حود من هنا تعالى عندنا

يلا أنا وانت نحب بعضنا (هيص)

بعد العشا بعد العشا يحلى الهزار والفرفشا (شيء يفضح)

أمثلة فى هذا الكفاية وأظن في هذا ما يقنع السادة المثبين بأن هناك انحطاط في الموسيقة فنية — أستغفر الله عذرا ياسادتى لست أدري فى الفن شيئا لكني أريد غناء لذيذا وهو مع لذته يدعو الى الرشد. أريد الحانا تقضى على الروح الخبيثة فينا لا ترمي الى قلب أسافلنا أعالينا وهكذا يجب أن يكون.

والحمد لله أننا جميعا مغرمون بالغناء والترنم فالصبي فى مدرسته والبنت في

معهدها والعامل في عمله والسيدة في خدرها الجميع يميلون الى الترنم ولهم في ذلك ذوق رقيق، وان أغلب هذه (الادوار) السافلة ذات نغمة شجية فحبذا لو عني الملحنين ببعض أدوار قيمة ليخرجوها من بطون الكتب الى افواه الناس . ولقد رأينا أن اللغة مازالت في ديارها غريبة والقوم لايترنمون الا بما يفهمون (وللضرورة أحكام) ولايصادف من الناس إقبالا إلا ما سهل على كل انسان قوله دون تعرف مخارج الأصوات ومداخلها فيميل كل أمريء الى مالا يحوجه الى تكلف في يصعب على الكثيرين . واني أري أن النشودة واحدة صالحة خيرا من مائة الف كتاب ومحاضرة علمية لأن تأثيرها بالنفس شديد الأثر

فأناشد كل أب وأم ومربية أن لاتجعل ترنمها أمام أولادها الا بما تعثر عليه من الاغاني القيمة الادبية الحماسية الوطنية فاغاني الأم أفعل في نفس الطفل وأرسخ أثرا فينشأ معه معزاها منذ الصغر حتي يشب ويكبر وقد ثبت له منها غرائز قوية فان خيرا أفادت وان شرا أبادت . فانظروا الى أي سبيل بأولادكم تدفعون

أني كثيرا ماشاهدت صغاراً مازال بلسانهم لثغة الطفولة ينشدون بصوتهم الملائكي البريء صوتا من تلك الأصوات النجسة عن الوصل والهيام والهجر والغرام . جناية آبائهم والوسط عليهم اذ يشبون وهم إن كانوا لايعلمون لما يقول اليوم معني فسيكون له غدا أكبر معني تلك المعني الثابتة

في النفس ثبات ذكرى الطفولة وأثرها

النقاد

نقل طرفك أينما سرت والق بسمعك حيثما حللت . تري أن جميع الناس ممتعضون مما يشاهدون وينظرون. يتحسرون ويتألمون لما يسمعون ويبصرون وأنك لتري جباههم التي علتها آيات الأسف مسطرة بتجعدات السخط والحنق . كذا عيونهم التي تقدح شرر الغضب تكاد تميز من الغيظ كلما مر أمامهم مشهد لا يرضون عنه وتصفر جباههم وشفاههم التي تتلاصق من شدة الألم فيسمع لها أنين (مص الليمون) يشعر بالتوجع والحسرات. إلي أن يزداد مرجل غيظهم المكظوم فتضطرب منه حواسهم التي تتزلزل لها رؤوسهم فتهتز يمينا وشمالا حتي يكاد يخيل للرائي أن الرؤوس على زئبق قد ركبت ! فماذهي القوم. وماخطب الناس ؟ !

حدث كل فرد علي حدة عن مبعث ألمه وشكاته ومثار غيظه وامتعاضه تري ان الجميع قد أغضبهم من أنفسهم مايعملون ! فكل انسان يشتكى من الناس وهو منهم ويتذمر من أعمال مجتمع هو أحد أفراده ويتألف من أفكار هيئة هو واحد من أعضائها . كل امرىء ينتقد غيره وغيره له ناقد . وكل شخص يعيب عمل سواه وسواه يعيب عليه عمله . ثم أنه غير راض على أحد كما أنه غير مرضى عليه من أحد . فتري الناقد هنا قد

المستهدف لمر النقد هناك حيث تلبس بما ينهى عنه سواه . وهل أغرب من ان يحاول من لايستطيع وقاية نفسه وابعادها عما يراه منكرا صد غيره وإقالة سواه . ألا يكون الاجدر بهذا المسكين أن يشتغل بعيوب نفسه عن اقتفاء عيوب الناس ثم يأخذ على نفسه انقاصها شيئا فشيئا مزدجرا بقوله تعالى «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» ومتعظا بقول الشاعر الحكيم

يا أيها المعلم غيرك هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

لأن يشتغل المرء بعيوب نفسه خيرا له وأجدي اذ سرعان ماينقصها تدريجيا حتي يتخلى عنها كلها تقريبا ويكون يوما ما من الصالحين . وهنا يتمكن من القيام بالاصلاح الذي يرجوه ويتمناه من أقرب الطرق وأضمن السبل اذ النفوس الصالحة كمصابيح الهداية والعرفان يستهدى بها وبنورها القوم الضالين ويقتدون بها متمثلين بأعمالها الخالصة النقية

أما النقد الكلامى الحار فلا يكاد يفيد مالم يصدر محاطا بسياج من التحفظات التي تحفظ له جلاله وهيبته وكماله وروعته فتمده بقوة من التأثير الثابت فى النفس ويفيد بذلك الفائدة المرجوة

* * *

وليس النقد بالامر الهين الذي يستطيعه كل من تعرض له . انما

هو عمل جسيم يتطلب رجلا دربا مجربا صادق النظر حكيما . قد أقدم على عمله حبا في الاصلاح لاحسدا أو غيرة . ولا يرجو من وراء عمله الا اظهار الحقيقة ناصعة غير مشوبة أو ملوثة بأوهام المضللين وافتراءات الكاذبين رغبة صادقة فى الحقيقة لافخرا أو وسيلة لفخر . ومن أحب الحقيقة ورغب فيها اتبعها وكان لها حارسا أمينا .

فأول شروط (الناقد) ان لا يتصف بما يحط من قدره فتنقص قيمة أقواله ويحقر تأثير مقاله .

* * *

والنقد عبارة عن فحص يعقبه حكم أو درس دقيق يليه استخلاص فأول عمل يعمله الناقد هو ان يدرس الموضوع ويحلله جيدا بالنسبة لجميع احتمالاته وأوجهه درسا دقيقا دون أن يغفل ملاحظة ظروفه التي ولد فيها وأحاطت به . ثم ليضع نفسه موضع من يهم بنقده وينظر :

هل يرضي أن يوجه اليه مثل ذلك النقد وفي تلك الصيغة . وليقدر الناقد دائما بكل تريث وتدبير قوة المؤثرات الظاهرة والباطنة كما يكون نقده صحيحا سليما من الغلط . كما أن الواجب نقد الفعل نفسه دون نفس الشخص المنفذله كما يتعمد قدر المستطاع عن التحيز الشخصي أو التشبث دون دافع من نزق الحسد أو مهيج من حمق الغيرة . ذلك هو ما يجب أن يكون عليه النقد الصحيح المفيد

أما الآن فأصبح المرء يصوب سهام نقده المر باسلوب تهكمي مريع ويغلب أن يكون لا يعرف ماذا ينقد إنما هو ينتقد لأنه رأي أن فلانا عمل هذا العمل وهو يعتقد فى نفسه أنه خير من فلان هذا فينبرى ناقدا نعمله بطريقة تكشف للملأ جهله وحمقه. وكم ترى من أناس يسرعون إلى لوم الرجل — واللوم نوع من النقد — دون تمعن في الأمر أو روية فيه ليتعرفوا على أي وجه من وجوه الصواب قد أصدر عمله ولماذا أبرزه وأقدم عليه، وعندئذ يجوز لهم نقده إن لم يتبينوا أنه برىء، وسأسوق مثلا كنت له من الشاهدين يدل على روح النقد التي تثبت بجلاء قصر النظر والتسرع المشين ذلك مثل رجل حاول ركوب السيارة الكهربائية أبان سيرها فكاد أن يهوى تحت عجلاتها فيكون من الهالكين إلا أن الله لطف به فنجاه وكان من السالمين ولكن لا تسل عما صبه الناس على أم رأسه من سب ولوم وتقريع وقد أجمع الكل علي أنه في فعلته من الخاطئين ولم يبق بالسيارة فرد يدافع عن الرجل أو ينتحل له عذراً وهو فى نظرهم مذنب بل مجرم أثيم ولو أنه نجح ما شعر به أحد أو التفت اليه فرد من الراكبين ، فهل خطأه عندهم أنه هم بالفكرة أو أنه لم يكن لأول وهلة من الفائزين ، لقد كانت عباراتهم تنحصر في : أنه حاول ما لم يستطع عجلة منه وإسراعا فى عمل الدنيا فكان كمن يسعى الى حتفه بنفسه . و هذا خطأ منهم إذ من يدري

أنه ليس متدربا على مثل هـذا العمل وإنـما هى كبوة ، ثم من يدرى أنه مضطر للاسراع كما أنهم هم أنفسهم مضطرون ولكل امريء شأن يلهيه السعى فيه،وهل كان يرجو الزلل؟أوذلك رغم أنفه ولو كان ذاعضل متين ، إذاً علام كل هذا اللوم والنقد المر وأنتم لاتعلمون من أمره شيئا ، ولو أصبتم بمأصيب بهمارضيتم فى حقكم همساولا لوما

وثق أيها القارىء أن هـذه الحادثة مثلا لمـا يقع فى كل ساعة وبكل مكان ، فلو رأوا كارثة أو مصيبة حلت بقوم أبوا إلا أن ينالوهم فوق ماهم فيه بألسنتهم وسفسطتهم، ثم تجدان أشد الناقدين حدة هو من لم يعرف من الامر أولا ولا آخرا

فمن الغلط الفاضح التعرض لنقد من لم تعرف عنه شيئا أو تدرك من أمره خبرا لأن الحوادث والحركات وليدة ظروف وبيئات لو وضع فيها الناقد مابلغ في اصالة الرأي وإحكام العمل مبلغ من يشحذ في نقـده ألآن قريحته وهو خالص من المؤثرات التي قيدت صاحبه. ومثل ذلك ان يتعرض كثير من المؤرخين لنقـد الخطط الحربيـة التي نهجها بعض القواد السابقين ولو أن الحظ أتي هؤلاء لعدت تلك الخطط المنقودة من معجزات الافكار ، ولو أتيح للمؤرخ أولا أكبر قواد زمانه مثلا أن يكون في موقف ذلك الراحـل لربمـا كانوا أسرع فى الارتبـاك

والاضطراب ، اذاً لماذا ينقدونهم بأسلوب تهكمي مخجل لا يرضاه أقلهم على نفسه ولو سمعه صاحبه لقاصهم عليه قصاصا صارما ، ألا ان المرء منهم يكتب مايكتب وهو آمن في مكتبته منفرد بمحبرته وقرطاسه وقد يفزعه موهر أو طنين ذبابة ، وما كانت مهمة المؤرخ أن ينقد لنا الحوادث إنما يسردها علينا بأمانة وتحقيق فقط وللقاريء أن يستنبط لنفسه ماشاء كل على قدر ماتوحي اليه مواهبه وملكاته

وحبذا لو صرف المرء همه فى نقد نفسه وذاته بكل شجاعة ونزاهة بعزم أكيد يصلح مايراه من عيوبها ويقوم عوجها وينثى عن مواطن الزلل المشين، فيحذر أن يصيب الناس منه مالا يرضى أن يصيبه منهم فكلهم كمثله انسان ، ولا يكون كرجل جلس الى جانبي في سيارة كهربائية وغرز مرفقه في جنبي بشدة آلمتني كثيرا غير انني لم أطالبه بالاستقامة خشية أن يكون مضطرا لعمل ذلك كأن يكون ساعده مكسورا أو مجبورا أو ملتويا أو غير ذلك ، إلا أنني مالبثت أن سمعته يرجو جاره الثانى أن يقيه شر ماأصابني منه هو افالتفت اليه متعجبا وقلت له : اني أعجب كيف يتمسك الفرد بطلب حقوقه الشخصية ثم هو مع ذلك يستهين بحقوق الغير ، ألا يدرى أنه بهضم حقوق غيره يعمل على ضياع حقوق نفسه — ودقة بدقة — أم هل يظن أن له فوق مالغيره فهو

السيد والكل له خدم وأتباع ! أم ظن أن راحته فوق راحة الجميع يتمتع بها ولو قضي في ذلك على غيره بتاعب وآلام

والمضحك والضحك هنا منتهي دركات البكاء أن يتوسل الناقد بنقده إلى الحصول على ما ينقده من الناس كأن ينتقد الشاب زميلته لما كسبهم الفتيات في الطرقات وهو انما يلقي محاضرة نقده على أسماع آنسات وغانيات يرنو اليهم من طرف خفي رغبة في ما نهى عنه اخوانه وهذا كثير الحصول من أدبائنا وكتابنا الذين لا هم لهم الا قراءة المجلات وهي عندنا لا تحتاج إلى ثم تسويد الورقيات الاسبوعية التي يجب أن تحارب مثلها مثل السيئات والمخدرات المختلفة الفاتكة .

* * *

يتكلم أحدهم بلهجة شديدة وأسلوب حار والفاظ قوية حماسا منه للفضيلة المنبوذة وغيرة منه على الانسانية المكلومة ودفاعا عن الشرف المسلوب فيخيل اليك لساعته براءته من كل رجس أو دنس فتعتقد بعده عن كل منكر أو على الأقل سلامته مما يأخذه على غيره من الهفوات ويعده عليهم من الغلطات ويحصيه فيهم من السيئات التي يعطها بفلسفته مطا ليخلق منها خيانات وجنايات ومنكرات ويصب بناء عليها جام لعناته على رأس المجتمع فردا فردا كأنه بمعزل عن ذلك المجتمع وليس

له به أدنى مساس أو أوهى ارتباط . ثم ماهى الا أن يوليك ظهره حتى ترى أنه من أسفل الآثمين وأحط المذنبين وأخس المجرمين ! إذ لا يلبث أن ينسى ماقام بتمثيله من أدوار الوعظ والارشاد وينبرى فى ثوب الاجرام والفسوق ! وتري الواعظ مغرقا في حمأة مانهى عنه وحرمه من قبل على سواه حتي يستحق أن يعاب عليه ما كان يعيب به غيره ذلك الذى زعمه فى الناس نقصا ، واعجبوا كيف استباح لنفسه ماحرمه بلسانه على سواه! اللهم لاأغرب من قوم يرون هانات غيرهم وهم عن عيوبهم عمى لا يبصرون ، وأنه لا يعقل أن يجتمع ملاك الهدى وشيطان الضلال فى هيكل واحد ، فلا بد أن المرء منهم لا يملك من قوله سوي قوة النطق به فلا يكاد يشعر به إلا مخارج الالفاظ ، إذ سرعان مايبدو عجزه عن أن يزجر نفسه عما أراد أن ينهي عنه سواه ، فاذا عجز الانسان عن اقناع نفسه برأي يراه فأحري به أن لا يقنع سواه

الا أننا فتنا بحب النقد ! ولا ندري منه إلا سبب بعضنا بعضا والتهكم والاستهزاء من غيرنا وكم من وقت نضيعه في تجريح أقفية الناس ولومهم وما نحن أنفسنا إلا صور منهم نعمل مثل مايعملون ، فكيف نحاول أن نستر بأقوالنا عيوبنا وهى عندهم بينة كما أننا لعيوبهم مبصرون ، وكم نحاول نقد الناس ولومهم في مواقف لا نرضي لنا فيها منهم قولا ، وتلك أمور فاشية بيننا نكاد نحسبها لمساولن نحصيها عدا ، الا إن العاقل

من ألهته عيوبه وشغلته عن عيوب الناس فعاملهم بمثل مايودأن يعاملوه به فيمنحهم من حسن ظنه وثقته مايرجوه منهم لشخصه فان تبادل حسن الظن بين أفراد المجتمع أدعي الى تعاونه ورخائه وسؤدده ونمائه

الاأن هناك نوعامن النقد يعد من ضروريات تلك الحياة إذ هو أساس في التربية والتعليم فلايخفي علي أحدأن اكبر مهام المربي أو المعلم مثلا هي نقد أعمال تلميذه بعين بصيرته التي يجب أن لاتخطيء ثم ينقدها له نقدا صحيحا يجعله على بينة من ثمينها وغثها أو طيبها وخبيثها ، كما أن الوعظ والارشاد ماهما الا نوعين من النقد أيضا بل لايكاد يكون النقد الا وعظا أوارشادا، وكلاهماضرورى لحياة الجماعات التي لاتخلو من اختلاف الدرجات الفكرية والنفسية فيحسن بمن أراد نصح فرد ما وارشاده أن يتخير لذلك الظروف الملائمة برويته ونظره لأنى كثيرا ماشاهدت ناصحا لايجني من وراء نصحه الا الاهانة والاستهزاء ومرشدا لا يلقي سوا المخاصمة والازدراء فيلومون علي ذلك العامة وحقا أن يلوموا أنفسهم لأنه من العبث المحض والخطأ الفاحش أن يعترض المرء تيار الرذيلة المندفع فى أبان مجراه إذ مامثله فى ذلك الا كصخرة اعترضت السيل الجارف فجرفها تياره لأن نفس المرتكب المتلبس بالجريمة أبعد النفوس عن بشريتها وانسانيتها وهى أقرب دون شك الي نفوس الضواري والوحوش فلا تكاد تفرق بين غي أو هدى . وما أضل ذلك الواعظ الذى يقف

وسط الحان لينصح السكاري الذين أعماهم الشيطان فاضلهم قبل أن يحتسوا الاثم فيعمهون فهل مثل هؤلاء للنصح يعقلون انما هناك مجالس الوعظ يأتيها الانسان طاهر القلب حاضر الوجدان يتلقى النصح بجنان وايمان وحينئذ يثمر الوعظ ويستفيق الغفلان

المعاملات

مذ أقلع الانسان عن الحياة الفردية الى حياة الجماعات شعر بضرورة التقسيم العملي فاختص كل فريق بعمل من أعمال الحياة فوجدت حاجة ماسة لتبادل الاعمال حتي يقوم الفرد بعمل يؤده للافراد فى سبيل أن يتناول من كل منهم جزءاً من عمله ، وتلك هي سنة التعامل التي سادت أخيراً بين الناس فى أنحاء العالم ، وقد كانت دائرة المعاملة ضيقة النطاق لانحصارها في العشيرة أو القبيلة ثم أخذت تزداد وتفرج دائرتها كلما ازدادت الجماعات انساعاً وارتباطاً ثم بازدياد الحاجيات المعاشية وتفرقها ذلك الأمر الذي أدى إلى ازدياد أقسام الأعمال أي أصبح المرء مضطرا لمعاملة أفراد عديدين للحصول على مايحتاجه ، وكلما كثرت حاجات المرء اتسعت معاملته وكثر عملاؤه وعلى ذلك فالحضري يتعامل دون شك مع أفراد أكثر من القروي وذلك مشاهد وملموس

من هذا يتضح أن المعاملة واجب مشترك لفائدة متبادلة بين

المتعاملين أى ليس لأحدهم فضل على أخيه إنما كلهم يتعاونون على تنمية جماعاتهم كل على قدر نصيبه الذى اختص به وإن كانوا سواسي فى الحقوق والواجبات بغض الطرف عن المظاهر الشكلية والفوارق السطحية

ذلك شأن المعاملات وسر وجودها لهذا يجب أن تصبغها أرقي الآداب كيما تعين على أداء العمل بكل دقة وإمعان ولهذا سنتصفح بعضاً من معاملاتنا العامة لنعلم إلى أي دركة نحن هابطون ، وأما منا التاجر والصانع والزارع والموظف وغيرهم وكلهم عملاء نستطيع أن ندرس أحوالهم دون خشية ذلل أو غلط لأنهم تحت حسنا وبصرنا فى كل مكان وسنوجز القول عن كل جمعاً للفائدة : —

فالتاجر ويدخل فيه كل من باتك شيئاً ماسواء فى ذلك بائع الاقمشة والبقل حتي بائع التبغ أوالفجل : تراهم فيما بينهم متحاسدين متنابذين يود كل لكل الفشل والخراب حتي يسعى ويجد في ذلك، أما معاملتهم لعملائهم فهم غفل لايعرفون أن حسن المعاملة نصف رأس المال، وهم لايحافظون علي مصلحة عملائهم بل لا يقدرون لهم مصلحة ما . فلا يجلب أحدهم من البضائع إلا أخسها ثم يدسها عليهم باسم أحسنها غشا وخديعة ، وهو جشع فى الربح يود لو يمتص دماء الناس لو استطاع الى ذلك سبيلا ولا يرضي منهم ربحاً قليلا وإلا فهو ساخط عليهم إذا لم يفرغوا عليه جيوبهم ، لا يعرفون من التجارة إلا الاسم حتي كان الفرد منهم لعبة فى

يد السوق مثله فى ذلك مثل المشترى منه لا يدرى من أسرار التجارة شيئاً فان شاء السوق رفعه وإن شاء قلبه فكان من المفلسين وهم مع ذلك يتعاظمون ويتكبرون فيشيرون ولا يتكلمون كأنهم بكم لا ينطقون فاذا أقبل رجل تلقوه بغطرسة أو رخاء وإن امرأة ساقطة أشرق الوجه وسال لعاب الاسان هزلا وغزلا ومجان وعما قليل تنقلب الحانوت إلى حان أو مجمع نسوان وملتقى أخدان. هذا ما كان من أمر التاجر وآدابه فى المعاملة أما الطرف الثاني (أى عملائه) فيعتقدون أن التاجر قل أن يصدق. خرب الضمير. لا تحق له مقال. فمنعوه لذلك ثقتهم ومنحوها خطأ للاجنبي الذي يفوق المصرى بمراحل في هذا المجال وإنما قد سترها على البسطاء بكثرة الاقوال وتنميق الفعال.

***

أما الصانع ويدخل فيه كل من قام لك بعمل آلى أو يدوي فمن البناء والنجار الى الخياط والطباخ الى غير هؤلاء من كل هذه الطوائف والمهن. قوم يجهلون ان المحافظة على الميعاد هى أقوي مسهل للاعمال منجزلها، لذا قل ان تري صانعا يستطيع المحافظة على موعده ولعل السبب في ذلك يرجع الى عدم تفرغ العامل الى صنعته بهمة ونشاط كمسخر لايجزي على مايعمل! وذلك لأن الصانع المصري على وجه عام موبوء بحب المكيفات التي تتلف عقله وبدنه وماله، ثم هم يميلون الى الغش والتهاون فالأول للطمع والثاني للكسل والحقيقة انه يخسر بغشه أكثر

مما يكسب فان العمل على وجهه الصحيح أخف وأسهل من الغش الذي يحتاج ستارا ظاهرا قد يأخذ من الوقت أكثر مما يتطلب اتقانه ، أما الكسل المؤدى الي التهاون فيسبب عيوبا لا يرضاها العامل فى صنعته فالعامل النزيه هو من يؤدي للصنعة حقها. وا كبر نقصهم الخمول والاستكانة وعدم الاعتماد على قواهم الفكرية لتحسين صناعتهم مع أن ذلك الأمر قد أدي بالغير الى الاختراع والابتكار . وقد ينمي ذلك لجهل هذه الطبقة مع انها أهم طبقات الامة. والى رقيها في الامم يرجع رقى هاتيك الامم وهم لا يلقون من الناس إلا كل احتقار حتي يطمع كثيرون في استباحة حقوقهم وهضم أجورهم ثم هم مع ذلك ما زالوا مفكرين لم يحاولوا رفع منزلتهم لأنهم فى فسوقهم غارقون

* * *

أما الموظفون وفيهم عمال السكة الحديد و(التلغراف والتلفونات) والبريد و(الترام) ورجال الادارة من المدير الى الخفير وغيرهم . فقوم زعموا لانفسهم الحق في السيطرة على رقاب العباد فكل الناس لهم خدم وعبيد وهم أسياد البلاد لهم وحدهم خلقت ولهم وحدهم التمتع بما فيها من الخيرات . فللموظف مهما كان صغيرا ان يستهين بجميع الناس ويحتقر كل الناس ويشمخ بانفه على الناس ، للموظف مهما كان حقيرا أن يزعم نفسه أرقى الناس بل من طبقة فوق الناس فهو سيدا فى الناس ، للموظف

دونك ان لم تكن موظفا ان يتعاظم ويتجبر ويتعالى ويتكبر فالتاجر عنده رجل حقير والصانع مخلوق فقير ، الموظف هو خادم الحكومة سيدة البلد فهو بالنيابة عنها إله الارض أو عمدة الخط (تلك آراء الموظف) فهو أدرى بما لا تعلمون وأعلم بما لا تعرفون ولو كان أحمق من مأفون وأرعن أو مجنون فهو الشريف أيها البسطاء فحق عليكم ان تدركوا مرمى اشارته أو مغزي عبارته وان كانت كهذة ذنب البعير أو رمرمة الخنزير وعليكم أن تقنعوا منه باليسير وتقفوا أمامه بكل تجلة وتوقير . فان قال أمنوا وان أشار انصرفوا وإلا فهو لن يعبأ بكم إذ واجبكم أن تعرفوا ما يعرف وإلا لماذا تقفوا امامه وأنتم تجهلون ، هل تودون أن تتعبوا (سيادته) ليفهمكم ماذا تعملون ! حقا أنكم جهلتم قدر الموظف وكنتم له مجحفون . أما أن كنت سيدة فستزول حالا عبوسته وتستقيم إذ ذاك قامته وتشرق حينذاك أسرته ثم يدل عليها بجاهه وعظمته وأمره الواسع العريض . هل فهمتم من هو الموظف ! أنه ولا شك الشحاذ التركي الذي يقول : حسنة لسيدك محمد اغا !!! خادم ويدعي السيادة . فقير ويدعي الامارة . مأجور يتعاظم على رب نعمته ثم هو في عمله كسول خامل متهاون متواكل مرتشي متخاذل . مصلحته في مرتبه أدى عملا أم لم يؤد ـ وذاك هو الغالب ـ يدعي خدمة الحكومة وهو عليها عالة يتخيل أنه مظلوم دائما وهو بهذه الفكرة لنفسه ظالم . فرجال القانون أول متهجم عليه وحماة الامن أول مستهين به

وحفظة الأموال أول سرقة منها وعمال النظام أول مخل له ثم هم بعد ذلك يتيهون على الامة والحكومة !!؟

ولعل الموظفين هم الطبقة الوحيدة التي وإن أساءت الى البلد في عملها الرسمي وعملها الفردي الشخصي لا تجزى بمثل ما تعمل وذلك لجهل العامة حقوقهم مع رهبتهم من الحكومة لا رهبة احترام وتقديس انما خشية رعب غير مختلطة بشيء من التبجيل لهذا لا يكاد يأنس الفرد منهم غفلة الحكومة حتي يخرج بتاتا عن نواميسها الوضعية. ولكم سمعت أفرادا من العامة يفخرون بأعمالهم العدائية للنظام والحكومة - مع ملاحظة أن عامة بلادنا هي الغالبية الساحقة - وذلك لأن الموظف الذي اسلفنا وصفه لا يمكنه أن يحوز رضى الناس بمزاعمه الشيطانية بل أن حاله هذه تنفر منه المتعلمين وتجعلهم عليه حربا وبذلك لا يجد الموظف مناصرة أدبية لاداء وظيفته . وهذا ما أدي الى ضياع كثير من وقت الموظفين فيما لا يمكن تحقيقه الا بمساعدة الاهالى الادبية وهذا ما لا يمكن للموظف المصرى الحصول عليه الآن

وهو مرموق بعين الطمع إذ يعد من الموسرين دائما فالعامل والتاجر يحسدانه على راحته وماله والله يعلم أنه أتعس من الجميع حظا ولكنه مظهر كذاب ورواء خلاب يخفي وراءه شقاء وعذابا لا يدركه إلا من به قلب سليم

أما الزارع أو الفلاح فحالته لاتخفي على انسان وما أظنها فى حاجة الى تبيان فالجهل والفقر فيه فاشيان فهو أشقي الكل يعامل معاملة الحيوان وكفي مايروى عنه من النوادر والفكاهات ليظهر لناقيمة الفلاح فى نظرنا فتعيره بجهله وتجازيه عليه بشرنا ولو أننا عرفنا الواجب علينا بصفتنا أعضاء جماعة عضوية واحدة هو أيضا عضو عامل بها لقمناله بما ينفعه ويرضيه وفي هذا نفعنا لأنه العنصر الفعال النشيط فينا... فهذه لمحات قصيرة عن روح التعامل بين الطبقات وبعضها فهي وان اختلفت إلا أنها ترجع الى أساس واحد هو جهل الشخص التام بمركزه من هيئته ومركز هيئته منه إذ لو عرف ذلك لرأى الواجب المحتوم وشعر أيضا بأفضال جماعته عليه حين يشعر أن الجماعة جسم عضوى كجسم الحيوان المركب من عظام عديدة وشرايين كثيرة ودم ولحم وجلد وغير ذلك من قلب وامعاء وكبد. أما الجماعة فتتألف من أعضاء بعدد أفرادها الذين ينقسمون من وجهة العمل كما ينقسم العمل بين الدم والعظم رغم أنها متعاونة . كذا الافراد جميعا متعاونون متكاتفون فى سبيل تنمية الجماعة متضامنون على العمل لمصلحة جماعتهم وحياتها وسعادتها التي تنحصر فيها وتبني عليها سعادتهم

زعم البعض ان المصلحة الفردية تفضل مصلحة الجماعة وذلك

يرون الحصول عليها ولو أضر ذلك بالمصلحة العامة إلا أن العقل السليم يخالف ذلك ، فاذا فرضنا مثلا جسما حيوانيا قد خرج أحد أعضائه على اجماعها طلبا للذته الفردية ولنفرض أنه المعدة. وطلبت المعدة لذتها الفردية بكثرة الطعام والافراط به ألا نري أن جميع أعضاء الجسم على الاطلاق تتأثر بذلك وتكون المعدة أيضا أول معذب بجريمتها . كذا الحكم على الافراد فى الجماعات فما خرج فرد علي الجماعة طلبا لمصلحته التي تضر بالجماعة ولا تتفق مع نواميسها حتي يلقى جزاء عمله قبل الجميع وانما الذي يجعل الفرد منهم لا يكاد يشعر بضرر عمله سريعا هو سعة الجماعة وتوزيع الألم على جميع افرادها فكيف يرضي الانسان بعد ان يعلم أنه مدين لجميع أفراد جماعته بكل شيء يتمتع به يجازيهم علي ذلك بعمل مايؤذيهم ويؤلمهم ! ألا يكون فى ذلك شاهد على انه عديم الشعور بأحد كفور وفى الحيوان ماهو أوفى منه شكور . فالكلب لايضيع عنده عملا مبرورا فاتق الله أيها الانسان ولا تكن بنعمة قومك كفورا

* * *

قال الله تعالى «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»

«واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين»

«ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم»

قال عليه الصلاة والسلام : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) (عامل الناس بمثل ماتحب ان يعاملوك به) (الجاهل يظلم من خالطه ويعتدي على من هو دونه ويتطاول على من هو فوقه ويتكلم بغير تميز وان رأي كريمة أعرض عنها وان عرضت فتنة أزدته وتهور فيها)

وقال الامام على كرم الله وجهه : من لانت كلمته وجبت محبته

الحرية الشخصية

وهل هي حرية مطلقة؟

(أنا حر).(أناحرة). (الدنيا حرية) . عبارات تتردد فى مواقف كثيرة وظروف عديدة فلا يسمع المحدث بعدها الا الصمت والصمت أولى من حديث رقيع (١) تخيل أنك أبصرت شابا يضايق فتاة فى الطريق على جاري عادة الشبان (المودة) وكانت هذه الفتاة من (النادر الحشمة) فأردت نصحه ليقيها شره فلا يجيبك الا بقوله (أنا حر وانت . . .) تخيل أن شابا ركب السيارة الكهربائية ووضع رجله علي المقعد الذي أمامه فحاول أحد الناس رده عن هذا العمل المخالف للآداب فلا يجيبه الا بقوله (وانت مالك ،أنا حر).تخيل أنك أبصرت فتي صغيرا يبتدىء في عادة التدخين وأردت نصحه في ذلك فخوفته بمقام أبيه . فلا يكاد يجيبك الا بقوله (وحيعمل ايه . أنا حر). ثم تصور أنك فى معرض النصح والارشاد لفتاة تقول لها : كيف تخرجى في هذا الزي المعيب ألا تخافى أباك ؟فلا تجيبك إلا بقولها(الدنياحرية علي كيفي) جميل ! ثم ان الامثلة لا يمكن حصرها وكلها تفيد أن الحرية التي فهمها القوم ماهى الا الخروج عن كل نظام وتقليد فهى متابعة الهوى ومسايرة الاميال دون مراعاة حد أو قانون ،وما تلك الا الهمجية الأولى وقد عاش الانسان حينا

---

(١) الرقيع هو الاحمق الجاهل

من الدهر راتعا في جو من الهمجية حرا من كل واجب خالصا من أقل قيد أو شرط تحركه أغراضه وغايته دون أن يراعى في نوالها حقوق غيره أو واجبات سواه مثله في ذلك مثل الحيوان الشارد أو الطير الطليق فليس له ناه من سنن أو زاجر من أدب أو رادع من قانون ، حاكمه لذته وهواه وغايته الحصول على غرضه ومناه. فكان الانسان حينذاك يتمتع ولاشك فأوفر قسط من الحرية الشخصية التي رأى بعد ذلك ان ينزل طائعا مختارا عن جزء منها لتأليف الجماعات

والجماعة وان انقصت من حرية أفرادها الشخصية إلا أنها عوضتهم بما يحفظ لهم نفس حقوقهم التي كانوا يتمتعون بها ولكنما تحت أسماء أخر يكون مجموعها نظم الجماعة التي تعاهد جميع أفرادها بالمحافظة عليها وحمايتها بوثيقة المنافع العامة والمصلحة المشتركة. فاذا لم يراع فرد تلك النظم كان خارجا عليها ولاشك أن خروج الافراد عن نظام الجماعة هدم لها وعود الى الهمجية الاولى

فحياة الجماعة إذاً في نظاماتها التي تتفرع الى فروع عديدة منها القوانين المختلفة ثم الحقوق والواجبات الأدبية والاجتماعية والعادات والسنن العرفية ثم الشرائع الدينية ، كل هذه عبارة عن دوائر وضعت أساسا وسياجا للجماعة ودرعا لوقايتها وباعثا على نموها ورخائها

من ذلك يتعين أن للفرد أن يتمتع بحريته في داخل تلك الدوائر التي

وضعت حدا لسريان الاهواء والاغراض فلا يتمكن الفرد من هضم حقوق غيره وأصبحت الناس سواسي فى الحقوق والواجبات أمام القانون فالفرد الآن لاينزل عن ذلك الجزء من حريته بناء عن هوى غيره أو استبداد سواه لكنه نزل عنه راضيا خضوعا للقانون الذي يحفظه كما يحفظ سواه ،فليجعل المرء نفسه مثلا مما يريد ان تكون عليه جماعته وليعلم أنه مطالب بكل مايطالب به أي فرد فيها على السواء وأن مايبيحه لنفسه يصح أن يباح للناس ، فما أسوأ العاقبة إن أتبع في ذلك غيه ولوي عن رشده وحجاه فالعجب العجب من اولئك النفر الذين يرجون دوس كل قيد فى سبيل حريتهم الفردية أو في سبيل أغراضهم الذاتية. فليتقوا الله وليعلموا أن الحرية المطلقة لم توجد على هذه الارض ، بل كان الانسان يتقلب فى أدوار من الحرية تختلف فى السعة والضيق لمقتضي الحال : ففى عصر الهمجية كما أسلفنا كان فى أوسع دائرة للحرية ثم تحول الي دائرة أضيق ولكنها أضمن للرفاهية والرخاء ثم مالبث أن أنقلب الى أضيق دائرة عرفها الانسان ذلك حين أستبدت القوية المركزية للجماعة وغلبتها على أمرها حرية فردية لشخص واحد توسع فى حريته حتي هضم حقوق جميع الناس ، ذلك عصر الاستبداد الذى نالت فيه الجماعات تحت تصرف أفراد نالوا وحدهم على حساب غيرهم أوسع وأكبر دائرة من الحرية . ولما كان ذلك مخالف لغرض الجماعات التي ألفت لمصلحة الجميع لا لمصلحة

أفراد ، طوحت بهؤلاء المستبدين في عصر انبلج فيه العلم فهدي الناس الى سبيل حقوقهم فاستردوه ومنذ ذلك الحين علم ان الحرية دائما مقيدة

ولم تلك الحرية مقيدة فى عصر دون عصر وفي شيء دون شيء بل الحقيقة ان الحرية مقيدة في جميع مظاهرها وحركاتها وهيئاتها حتي في أبسط الامور التي قد تظهر للانسان أنها تحت تصرفه الخاص والخاص جدا مثل ذلك ان يتصور الفرد أنه يملك تمام الحرية في كثير من أموره الخاصة كالأكل والشرب واللباس والنوم والمشي والقيام والقعود وأشباهها وقبل أن نبين قيود الحرية حتي فى هذه الامور نقول ان الحرية هى . حال يكون الانسان فيها قادرا علي فعل شيء أو تركه بحسب اختياره وارادته فهى الخلوص من الموانع القهرية التي تحول بين الانسان وما يريده . فهل اذا طبقنا هذا الوصف أوالتعريف (الدقيق على ماأظن) يمكنا ان نرى الانسان متمتعا بكامل حريته في أمر من تلك الامور المتقدمة ؟ ان نظرة واحدة الى حاجة الفرد ـ وليأخذ كل قارئ ذاته مثلا ـ هلا يدرى أنه كثيرا مايطلب الاكل ولا يستطيعه سواء لعدم قابلية مع الجوع أولمرض أو لعدم ملاءمة الاكل له فهذا يدل بجلاء أن الانسان مقيد فى طعامه بمعدته وصحته وجو بلده وقابليته ثم لنوع الطعام أما الثياب فمقيد بالاجواء والعادة والزى المألوف الملائم وإنى اعرف كثيرا ممن يرتاحون فى الجلباب أكثر من الملابس الافرنجية لكنهم مضطرون للبسها قهرا خضوعا للمألوف

اما فى الحركات والسكنات فهناك القوة البدنية اقوى مسيطر على هـذه الأمور . من كل ماتقدم يتضح بجلاء أن الحرية في جميع مظاهرها مقيدة بقيود تكاد تكون اضطرارية غالبا فالذى يرى بعد ذلك أنه حر يصح أن يتوسع في حريته حتي يتعدى دوائرها أحرى به أن ينزح عن تلك الجماعـة الانسانية إذهى لاتلائمه ولاتوافق نواميسها فوضته الهمجية وتهوره الوحشى

* * *

فالانسان حر ما دام لا يتدعى دوائر جماعاته ونواميسها وضعية كانت أو نقلية ، فان أقل انحراف عن تلك الحدود والسنن لاترضاه الهيئة الاجتماعية التي رأت أن الخروج عن تقاليدها امتهانا لـكرامتها فنصبت نفسها حارسا على نظمها . ولما كان من المحال على الهيئة الاجتماعيـة أن تصدر حكمها بكامل هيئتها فى جميع الأمور كان من الضرورى أن ينوب بذلك فئة من أعضائها الراشدين الذين يعرفون بمحافظتهم على حدود الجماعة والحرص مع الغيرة عليها ، ولما كان من المفروض أن جميع أفراد الجماعة الراقية متصفون بذلك الوصف كان كل منهم رقيبا على نفسه أولا ثم من حوله . فللفرد ان يعترض غيره إذا رأي خروجه عن حدود الأدب والقانون ولا يعد أنه معترض أو متعد على حرية ذلك الانسان ، فالذى يتصور أن الناصح له متعد على حريته ، متهوس في حكمه لايعرف مايجب

عليه وله ، وكم أتمني ذلك اليوم الذي أري فيه بني قومى خاصة وجميع الناس عامة يمتون الى بعضهم بعضا بشعور أخوي متبادل يحرص كل منهم على مصالح غيره كما يحرص علي مصالح نفسه ويراعي حقوق الناس كما يجب ان تراعي حقوقه . وتصبح حدود النظم والقوانين مقدسة لها منزلتها العالية السامية فى نفسه وتأثيرها الطاهر الحق بفؤاده ومشاعره ذلك مادعي اليه الاسلام وحضت عليه جميع الاديان السماوية وهو خلاصة ماهتدى اليه عقل الانسان الخالص . فى ذلك راحة الانسان وسعادته اذ مادام يجد الانسان زاجرا من نفسه يحفظه عن التعدى على حقوق الانسان كان الناس منه في امن ودعة وهو كذلك منهم في دعة وسلام

* * *

أما العامل والمرؤوس أو الخادم فقد يظهر لهم في بعض الاحوال انهم منقوصى الحرية مهضومى الحقوق لتخيلهم تلاشى حريتهم امام امرة رؤسائهم وهذا خطأ مبين لأن الخادم لايخضع لسيده أو رئيسه ولا يتنازل عن حريته له الا في دائرة عمله التي لاتنقص من حريته الا بقدر مايستفيده من خضوعه لذلك السيد ، فان خضوع الفرد لرئيسه تنازلا من الاول للثاني عن قدر معلوم ومحدود من الحرية فيكلف الرئيس بما يعوض عليه مانقص له ذلك اذا كان الرئيس أو السيد ممن يحرصون على الواجبات والحقوق ويقدر ماللغير (عادل) . أما الخضوع للحكومة فهو

خضوع للقانون التي سنتـه الجماعة لنفسها ونصبت تلك الهيئـة المسماة بالحـكومة لمراقبة تنفيذها وحمايتها وتنفيذ بعضها . ثم نصبت بعد ذلك الهيئات النيابية لمراقبة الحـكومة ودرس تلك النظم والقوانين وجعلها دائما موافقة للجماعة فى تطورها الدائم الاطـراد وفوق الهيئات النيابية قد وقف الرأى العام ذا الصوت الأعلي والقوة العليا والذى لو نظرنا وجدناه هو رأي الافراد والجماعـة مجتمع فنعـلم من ذلك أن الفرد وإن انقص حريتـه راضيا فقـد وقف يرقب التصرف بحقـه هذا لمصلحته ومنفعته وجماعته

متاعب الحياة

لا تكاد تظفر فى هذه الحياة وذلك العالم بمن رضي بحاله وقنع بماله فالانسان دائم الشكوي والتذمر دائب على التأفف والتحسر سواء فى ذلك الغني والمعدم والقوى والضيف حتي كأن هذا العالم الرائع والسر الغامض الجامع لا يروق فى عيني انسان !! نشكوا من زمن نحن فيه ، ونتألم من دهر نحن مصورُه ، ونعيب عصرا نحن ممثلوه ، ونحقر من عالم نحن ساكنوه فحققنا قول من قال

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

فعجب لك أيها الانسان . تري النار المحرقة يتوهج جمرها ويتلظى لهيبها فتدس فيها يدك مغترا بلونها الارجوانى ووجهها الذهبي عما فى أحشائها من أوار وسعير ثم تأتينا صاخبا صارخا مرغيا مزبدا تصب جام لعناتك وسوط شتائمك على النار !!! وما جنت عليك بل جنايتك علي نفسك ؟ . فما أغرب هذا التصرف الضال أيها الانسان وما أسوأه. به تحصل لك المتاعب والآلام . فاذا رأيت شقيا مسكينا أو مجرما سجينا أو تعسا مهينا أو حائرا ظعينا واذا رأيت ثم رأيت بؤسا مقيما وبلاء احميما وعذابا أليما وخطبا جسيما واستقصيت برويه وتؤدة عن علته الأولى

وبذرة وجوده رأيت أنها لا تكاد ترجع إلا إلى ارتباك فكري واضطراب عقلي كان منه مايسمى (سوء تصرف) أو (اختلال الادارة) أو (تدبير فاسد) أمور اختلفت في اللفظ واتحدت في المعني والمرمى، وهذه هي أصل كل شقاء وبلاء في هذا العالم . فالسارق الذى زج في أعماق السجون يقاسي آلام الحبس لم يحسن التصرف بمواهبه وأخطأ استعمالها فجاب لنفسه الضيق والعذاب . والقاتل الذى يصلي سعير العذاب جزاء فعلته المنكرة التي أوقعه فيها عقل مضطرب وتفكير سيء . بالمثل تري كل من به هم أو كمد انما جر عليه مافيه أو أوقعه الى ماهو فيه سوء تصرف ونقص من التفكير سبب له غلطة واحدة كانت بذرة الشقاء المقيم ـ فمثل الانسان في هذه الحياة كمثل لاعب الشطرنج قد تكون غلطة واحدة سببا فى ضياع الدور ـ فالفقير المعدم الذى يتجرع مرارة الاملاق والعوز انما سعى الي فقره أو طول امده بسوء تصرفه وخلل نظامه قديما أو أخيرا فما خلق الفقير فقيرا ولا الغني غنيا انما الناس سواسيا فرقتهم الجهود والاعمال والتدابير والافعال فاغتني هذا فبحسن تدبيره واصاب هذا العوز لفساد تفكيره . وكم معدم فقير لا يملك شرو نقير قد غدا بحسن تصرفه ودقة نظامه من اصحاب الاموال والقناطير . وكم من غني عظيم تعدأمواله بآلاف الآلاف تدهور بسوء تصرفه وبات لا يملك النقير ولا القمطير وفي ذلك مالا يدع عند المفكر من شك فى ان رفاهية المرء وسعادته

ترجع دائما الى حسن تصرفه ودقة تفكيره وبعد نظره ورويته

أن لكل انسان ثروة خاصة به من المواهب التي وزعتها العناية والحقوق والواجبات التي ترعاها سنن الجماعات إلا أن الكثيرين منا يفوتهم استغلال هذه الثروة العظيمة الريع وما الذين أثروا وارتقوا إلا من الذين كانوا بمواهبهم يعملون ولحقوقهم راعون ولواجبتهم حافظون أولئك الذين حصروا ثروتهم الشخصية (الغير مادية) وصمموا على استغلالها صغيرها قبل كبيرها فالوقت الذى هو أكبر رأس مال للانسان ، نظموه وقسموه وحاسبوا أنفسهم عليه حسابا عسيرا ، فقسموه بكل دقة بين العقل والروح والعواطف والنفس وكان لهم من أنفسهم علي أنفسهم رقيبا عتيبا يطالبهم بما جنوه وحصلوه فى يومهم من الثمار والجدوي ومنهم الذين علموا أن المرء في حياته كالسابح على الماء إما أن يكدفيسبح أو يسكت فيهوي ويكون من المغرقين وما كل من خاض الماء سباح فهل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون ،

واليك صورتين لرجلين علي قيد الحياة تراهما صديقين حميمين أبتلي أحدهما بسوء التصرف وفساد التدبير فتراه دائما فى الشقاء النكير وأنعم على ثاني بحسن التصرف وقد كان دون صاحبه فساواه وسبقه وعلاه أما الاول فموظف لتسع سنين تراه دائم الشكوى والأنين مثقل بالهم والديون لم؟ لأنه لم يحسن التصرف ماكاد أن يصبح موظفا حتي خال أن الموظفين وحدهم هم الهيئة الاجتماعية أى

أن الهيئة الاجتماعية هم الموظفون فقط فلا يصح أن يكون العامل أو الفلاح أو الطالب من الهيئة الاجتماعية ثم تصور لسوء تصرفه طبعاً أموراً عدها من لوازم أعضاء الهيئة الاجتماعية كشرب التبغ والكحوليات ثم الجلوس بالمحال العامة وعمل كل مايعمله الناس. استمر في ذلك وتقدم فأصبح يدخن في الشهر بنصف مرتبه ويصرف النصف الثاني في باقي المظاهر (الاجتماعية) في رأيه ومن هنا ولج باب الدين ولسوء تصرفه ظن في نفسه التفوق فأراد أن يقامر ليستعيض بالربح ما يهلك في مصروفاته الباهظة فأصابته خسائر الميسر رغم ارتباك ماليته فزادت الطينة بلة تلك حاله التي كانت تحرمه النوم والراحة فكان يلجأ لسوء تصرفه الى المغيبات لعلها تذهب بحجاه فلا يتألم فتورط فيها بافراط حتي كادت تقضي عليه. ولما لم يكن له مورد غير وظيفته لجأ الى النصب يستعمل فيه مظهره الذي ألفه ولسوء تصرفه كان نصبه في أمور طفيفة إلا أنها تكشف عن نفسه ستارها وتجعله في خشية يترقب ومع كل تلك المتاعب والآلام تراه لسوء تصرفه يدعي أنه من أرقى البشر نفسية وأطهرهم طينة وأعلاهم عقلية

أما الثاني فما كاد يتوظف ويمر عليه عامان حتي وضع أول أساس في حياة الرجولة تتزوج وكان رب بيت ثم وضع لنفسه أملا يرجو تحقيقه فرسم لذلك السبيل وشمر له عن ساعد الجد وسواء بلغ ما أراد أو لم يبلغه

تراه عاملا له مجدا في طلبه (حقق الله أمله) وهو أن كان فى تعب لعمله الذي يعمله الا أن هذا التعب لا يعد شيئا بجوار ليلة واحدة يقضيها الاول علي فراشه الشوكي يتقلب على قتاد الهموم ،

وهكذا تري دائما أن سوء التصرف هو أصلا علة كل تعب وشقاء فى هذه الدنيا وينشأ عن جهل وقصر نظر وعدم رؤية الاشياء على حقيقتها الذي يرجع الي غرور وانخداع أصله عيوب نفسية فى كنه الشخص وذاته لم تزلها التربية أو ينفعها التعليم ، إلا أن المرء مهما بلغ من درجات الكمال في التربية والتعليم وسمو الاخلاق لا يسلم فى هفوة ولو في بعض صغائر الامور قد تؤثر فى حياته وتظل ردحا ما سببا لآلامه ومتاعبه الا أنها لابد أن تزول ، ثم أننا لو تصفحنا مجلدات الدهر وجدنا جميع كوارثه ترجع دائما الي سوء تصرف الانسان فالحرب، التي هي أكبر ويلات العالم دون شك لا يزكى أوارها إلا سوء تصرف الملوك أو رؤساء الحكومات غالبا وأما منا التاريخ الذى يحدثنا عن الحروب التي ابادت آلاف الآلاف من بني قومنا لاشارة ملك أو رغبة وزير

أما لو ان من الانسان رويته ونظره فى كل امر من الامور يستقرىء عواقبه قبل أن يقدم عليه دون تهاون في شيء من الامور التي قد تبدو صغيرة ولربما كانت جسيمة العاقبة توقع فاعله في ثالثة

الاثافى(١) والعاقل من لازم التفكير قبل العمل وعمل بروية وتؤدة فان من تأني نال مأتمني . ولنا من الماضي ذكرة ومن الحاضر عبرة والتدبير هو صلاح المعيشة ومنار الحياة به يسعد المرء أو يشقى .

---

(١) تقول العرب : أوقعه في ثالثة الأثافى أي في مصيبة لاقبل له بها، والاثافي الثلاثة هى الاحجار الثلاثة المكونة لموقد العرب أما ثالثة الاثافي المقصودة التى تكون فى صدر الموقد وذلك لانها مجمع نيران الموقد

أيام وليالى

(الحظ) (١)

أذكر انه فى مدة تلمذتي كانت تقوم المدرسة برياضة عامة لمن يشترك فيها وكنا نسميها رحلات أو سياحات وكانت تعد بمعرفة المدرسين أو إدارة المدرسة فى أيام العطلة العامة التي تتخلل المدة الدراسية من أعياد وذكريات وغيرها ، فمنها مايكون الي الاهرام أوصقارة أوالقناطر الخيرية أو جبل المقطم أو غيرها، والحقيقة ان هذه الرحلات كانت تترك فى نفس التلميذ أثرا شجيا حتي أني أشعر بغبطة وسرور لمجرد ذكرى هذه الرحلات وماحظيت به أثناءها من فرح ومرح وسرور وهناء

وكنت ألاحظ أثناء هذه الرحلات نزول المعلمين والنظار عن جميع حقوقهم حتي ينسوا أشخاصهم ويساووا أنفسهم بتلاميذهم مساواة الزمالة والاخوة وترفع كل الاعتبارات وتترك كل التقاليد ظهريا فيمزحون ويلعبون ويجرون ويتسابقون مع أولادهم وأبنائهم جنبا لجنب، وكم

---

(١) نستعمل لفظة الحظ هنا كما تستعملها العامة بمعني الطرب وذلك استعمال لا يمكني اليوم التكهن بنشأته أما الحظ فى اللغة فمعناه هو الطالع أو الجد أو (القدر والنصيب)

رأيت معلما يتصاغر لأبنائه وتلاميذه فيكون هو مضحكهم وسميرهم ولربما كان بالمدرسة من أشد المعلمين هيبة وسرعان ما يبذل شدته اذذاك لينا ويبيح لأولاده كل حرية ولو أدي تمتعهم بها إلي اهانته أو دوس كرامته (مثل أن يحملوه فيضعوه في صندوق أو تابوت وهم يتضاحكون عليه أو يتخاطفون طعامه وبطعامهم عليه يضنون ، أو يعفرون طعامه بالرمل والتراب ! وغير ذلك !) أمور كانت تقطع على سروري ومرحي إذ كان يعز على التفريط في واجبات معلمي وكم حاولت لذلك رد إخواني عن مسايرت أهوائهم إلا أن عملي هذا كان لا يروق في عين أساتذتي ولا يرضيهم فيفسدون على جهادي بما كستهم للطلبة وتحريضهم على التمتع بجميع صنوف الهزل والمزاح وهنا كنت أقف حائرا لا أدري أمخطيء أنا أم أساتذتي أم لهم من وراء عملهم هذا غرضا يرمون اليه لم أدركه بعد ، لأني كطالب أحترم معلمي ومنزلته عندي فوق كل اعتبار لا يمكن أن تستباح فكيف أرضي لاخواني ذلك ، حار فكري وتبلبل خاطري من هذه الجهة كثيرا ثم لجأت أخيرا إلي معلم كنت أجله ويحبني ، عقب احدي هذه الرحلات وشكوت له ما أجد من فساد الالعاب وأختلال الآداب التي تهون على الطالب أن يدوس مقام معلمه وواجبات أساتذته ثم استقبحت ذلك المزاح واللعب الذي يبيح للصغير التهاون في منزلة معلمه الكبير وكنت أحدثه بصوت قد خالجه شيء من التأثر والانفعال وهو مصغ لي بكل انتباه وعلى وجهه بسمة لم أفقه لها حينها معني وما هي الا بسمة معلم لتلميذه. ثم

قال بعد أن وضع يده على كتفي : أنك تشكر يايوسف (١) لغيرتك على منزلة معلميك الا أن هناك سراً لا تعرفه هو الذى حمل الاساتذة على التهاون الذي تقول عنه . لاننا معشر المعلمين نتوصل بهذا المزاح الى معرفة أمور قد خفت علينا في نفوس أبنائنا وسترتها عنا نظم المدرسة وتقاليدها الادارية . فالطالب داخل المدرسة كالصندوق المغلق لا يمكن لمعلمه أن يري مافيه خصوصا وليس له من الوقت الكافي لشرح الدرس ودرس نفوس تلاميذه مع أن هذا أكبر واجبات المعلم . ومادام المعلم بعيدا عن معرفة نفوس تلاميذه كان بعيدا أيضا عن افهامهم وعقولهم . أما ما يحصل عليه المعلم من المعلومات عن نفسية تلاميذه وأخلاقهم بين جدران الفصل فتافهة قد لا تتعدى غالبا مقدار ذكائهم وبلادتهم ودقتهم أو اهمالهم وغير ذلك من الامور العملية التي قد تصدر عن خوف أو رهبة مع أن المعلم أحوج الى معرفة خلق تلميذه ودرس مشاعره النفسية ولا يتوصل الي ذلك الا باللعب والمزاح معا جنبا الى جنب فالمزاح يهتك ستر كل رياء ويظهر النفس فى ثوبها الحقيقي . أما المعلم . الذى ما نزل حلبة اللعب الا طلبا لهذه الحقيقة وان أوهمه أن غايته الطرب والمزاح

فيسرع بتصويرها عن قرب . ويقف بذلك على حقيقة نفوس أبنائه وأخلاقهم تماما بعد أن تلاشت التمويهات الظاهرية بسكرة المزاح والهزال

---

(١) يوسف هو الاسم الذي اشتهرت به في المدرسة بين أخواني ومعلمي وأن كان لقبي فقط أما اسمي فهو في مدة المدرسة محمد يوسف وأضيف أخيرا (المدرك)

فتلك هى غايه المعلم يايوسف ولا خشية على مقامه فى نفوس أبنائه من مزاحه اذ لو كان الواحد منهم كريم النفس زاده مزاح معلمه اجلالا له وان كان سافلا عرفه استاذه وسلك معه السبيل القويم . آه

تلك هى خلاصة ماأذكر من كلام استاذى الجليل وقد اثبتت لي المشاهدات والحوادث صحة رأيه وحقيقة ماذهب اليه فانى لم أر حالة تبدو النفس فيها كما فطرت إلا حالة الهزال والمزاح فينزل الانسان طوعا عن ثباته ورزانته ويؤثر عليها الرعونة والخفة ويسوق الاقوال بدون تدقيق حتى تري أن الانسان فى مزاحه وهزله قد يرد دالفاظا كان يستنكرها في جده . فالانسان فى مزاحه لوح مسطور بما فيه . من هذا نعلم أن مزاح المرء أصدق محدث عنه لهذا سأسوق لقراء كتابي في هذا البحث وصفا اجمالي لبعض أيام وليالي طرب اخواننا الشبان واخواتنا الفتيات كذا الرجال والنساء لتتجلى لنا الآداب العامة بأوضح مظاهرها واني اشهد الله اني لن اذكر الا حقا

الصبية والاولاد — ان أكبر (حظ) أو طرب الصبي ينحصر في الالعاب ومنها كرة القدم ثم التفرج على الخيالة (السما) وقراءة الروايات ويتولد له من كثره مايقرأ ويشاهد من الروايات الغرامية ميلا وتتيما لايكاد يبلغ فتوته حتي ينقلب الى شعور شهواني شرير وينقسم هذا الشعور الفاسد الى نوعين فمنهم من يطربه معا كسة الفتيات وتأثرهن

ومخالطتهن وصحبتهن ارضاء لشهوته ومنهم من انحرف الي المردو صحبتهم مادام له من وسطه خير مرعى

وقد انتشر الأمر الثاني بشكل مريع في جميع المدارس تقريبا ولم يخفف وطأته هذه الايام فى المدارس الابتدائية فقط الا قانون تحديد السن . الا انني أري ان ادارة المدرسة هي دون ريب المقصرة كل التقصير فى درىء هذا البلاء المعيب الذى تنشأ بذرته دائما بين جدرانها

اما الذين انكفئوا فى الامر الاول وانغمسوا فيه اتباعا لشهواتهم كالبهائم لا يرقبون حقاأو يعرفون واجبا ، وقد تفننوا فى المنكر وابتدعوا فى الموبقات الا انهم اسموه (حظا) أي طربا ؟ واليك شيئا مما يعملون

١ ـ ما كدت الج باب المدرسة صباح يوم من أيام الربيع وبيدي وردة حمراء حتي تلقانى زميل من زملائى بهذه العبارة وهو يصفق بيديه (أيوه ياسى يوسف . ماانت هايص ولا حدش داري) فاجبت مندهشا (ليه . على أيه) . وعلى ذلك اشتبكنا فى جدل محوره انه يتهمني بانني آخذ كل صباح وردة من عشيقة لى ومع ذلك اكتم عنه هذا السر وهو لا يكاد يخفي عني امرا وقد خرجنا من الجدل وانا ولا ادري ان كان قد اقتنع بقولى او لم يقتنع اذ بما آثر أن يحدثني بما عنده فقد القى الى أنه سيقابل الليلة صاحبة له عقب الخروج من المدرسة ليتريضا معا وهو يطلب الى أن اصحبه ويتعهد لى ويقسم

بأنها ستكون ليلة (حظ) طرب عديمة المثال وخصوصا وقد وصله امس فقط من البلد زوجين من الحمام المحمر ستكون عشاءنا بعد العود من (القسحة). حاولت التخلص فاكثر من الالحاح والرجاء حتي أدعي أن صاحبته (متفلسفة جدا) لذلك هو يتمسك بضرورة وجودي معه وأخيرا وافقت وخرجنا سويا فقادني حتي كنا علي مقربة من مدرسة بنات وبعد قليل خرج زمرة من الفتيات المتحجبات السافرات هن دون ريب المعلمات فاشار لى علي واحدة بينهن هى صاحبته ورأيت أن لا بأس بجمالها إلا أن هناك بين زميلاتها من تفوقها جمالا. سرنا وسرنا في أثرهن حتي اذا وقفن علي مفترق الطرق. ليتفرقن مررنا بقربهن فرأيت أن أميرة (١) صاحبى تتفرسني بتمعن زائد كانها ودت أن تعرف أنى سمج هذا الذى جاء يعكر عليها صفوها مع حبيبها (والله يعلم أنى مظلوم) وبعد قليل من السير قلت لصاحبي ألا ننتظر حتي لا تضلنا. قال بل هي ستلحق بنا بعد قليل لأنها عارفة وجهتنا وحقا أنها بعد برهة كانت على أعقابنا! ولكن ... لم تكن هى وحدها بل معها رفيقة لها. فقلت لصاحبي باسما لقد فسد موعدكما اليوم لوجودي فانها لما رأتني معك لم تتخلص من أخواتها للقائك، وقال وقد داخله الشك على ما أظن، ما أظن ذلك. الا أنها ما كادت تحاذينا حتي التفتت الى صاحبى وقالت

---

(١) أميرة صاحبي بمعني آسرة صاحبي ما لكة قلبه وهواه ولا أدرى أن كان هذا قد استعمل من قبل أم لا

(سعيده يا على بك) ثم مدت يدها فصافحته ثم ثنت بى وحيتني وصافحتني وكذا فعلت زميلتها .!!!

وهنا هيا بنا أيها القاريء الكريم نستمطر العبرات على ماوصلت اليه أخلاقنا من الانحطاط ، إذ لم يكف تلك التعسة الساقطة أن تهاونت فى نفسها وتنازلت عن شرفها وصاحبت شابا صحبة فساد لا رفقة وفاء وأبت عليها سفاهتها الا أن تجر معها أختا لها وزميلة معها الى ذلك الحضيض الذى هويت فيه ...!

دارت الانفعالات بنفسي الثائرة ولم أشعر إلا وصاحبي يدفعني الي عربة ركوب ، وهنا رأيت الفتاتين وقد استوتا علي مقعد العربة شاخصتين فى فأسرعت بالصعود حيث قعدت جوارهما وجلس (على) امامنا.

درجت بنا العربة وأنا تائه في آلامى النفسية لم أع مما تبادلوه من القول شيئا حتي شعرت أن طربوشي قد رفع عن رأسى ووجدته بين يدي (زكية) أميرة صاحبى ، فابتسمت لها ومددت يدي لآخذه منها فسألتني عما يشغل فكرى عن حديثهم ، فاعتذرت عما فرط مني ، وعدت الي حالتي الهادئة ففهمت أن (زكيه) ماصحبت (عطيه) الا ليتم التعارف بيني وبين الاخيرة ويظهر أن (عطيه) لم تر بأسا من أن تتخذني صاحبا ولو في هذا اليوم فالحمد لله . ما كاد الليل يرخي ستائره حتي عدنا تدرج بنا العربة الي منزل (على) الذى هو مسكن خاص به يعيش فيه ضمن عمارة كبيرة وفى الطريق استوقف (على) العربة واشترى زجاجة من الخمر ولوازمه

واستأنفنا السير فبلغنا المنزل حوالى الثامنة مساء ودخلناه خلسة كاللصوص نحذر عين الرقيب . وكان (علي) يعيش بدون مساعدة خادم أو تابع فباشر اعداد الطعام بنفسه وقامت (زكيه) لتعاونه وانفردت بصاحبتي الجديدة ... وهنا هاجت بنفسي العوامل المختلفة : هل أحدثها وأسامرها لتحلو لها الجلسة أم أنبو عنها بجانبي فترميني بالجمود والجفوة فلا تطمع في النأي بعدها ونخشى أن يكون غيري مثلي . وقد قطعت على تفكيري ببعض أسئلة عني وعن صاحبي أعقبها أسئلة مني عن صاحبتها خاصة فاعطتني معلومات قيمة عنها وعن نفسها . وقد شعرت أن هناك من يتجسس علينا وعلمت لبعض القرائن أنها (زكية).

وبعد قليل كنا جميعا حول المائدة نأكل بشهية لما كان بي بل بنا جميعا من الجوع . وقد حاول صاحبي أن يقدم لي شيئا من الخمر مستعملا في ذلك كل ما استطاع من قوة حتى وصفني بالتأخر لعدم شرب الراح إلا أنني آثرت التأخر عن السكر ولذا امتنعت (عليه) أيضا عن تناول شيئا منه رغم ما لحظته من ميلها لذلك أولا ولم أرض أن أقدم لها شيئا من الطعام بيدى سوى اللحم وغيره من المأكولات أما (علي وزكية) فقد شربا الزجاجة حتى الحثالة وحدهما فثملا وكاد أن يصدر منهما فعال تنم عنا فينفضح أمرنا للناس أجمعين . اذ كنا ولا شك نسترق الحركات ونهمس الكلمات خشية راصد غير أمين .

بلغت الساعة العاشرة وكأننا فى بيوتنا آمنين فأحببت أن أحرك فيهم مراعاة الوقت لعل هناك فيهم مأخوذ فنبهته، فأخرجت ساعتي ونظرت فيها باستغراب فسألتني (عطيه) عن الوقت قلت لها ما كنت أظن أن الوقت يجري هكذا سريعا فانا الآن في ساعة متأخرة من الليل جدا هي العاشرة ودقائق فوقفت تهم بالخروج فسألتها (زكيه) الى أين ياعطيه ، أجابت الى البيت إن شاء الله ، وهنا وقفت أنا أيضا لئلا تحرجها بى ، فالتفتت الي وقالت أراك وقفت هل تنوي الخروج ؟ قلت ذلك ما أبغى فقد أزف الوقت والساعة فوق العاشرة . فقال (على) محتدا (ياسلام يا ي يوسف احنا كل يوم في حظ زي ده ياالخى دي ساعة الحظ ما تتعوضش أيه لما تقعد لاتناشر . ولا أيه ياست زكيه . حتي لما نبات هنا .

عطية : يادهوتي ما بآش اللانبات ، كده كده ياست زكية . لكن الحق على اللى طاوعتك — ثم التفتت إلى — أنا ما أقدرش أبات بره أبداً ياسي يوسف ، ياسلام)

فقلت لها أنا مثلك لاأستطيع أن أبيت إلا فى منزلى والذى وسأخرج حالا ، بل سنخرج جميعاً فهيا إلبسي ، فقالت زكية لعطية بلين (هو أحنا كل يوم بنتأخر بره ، يعني إيه يوم ونقول كنا في فرح وخلينا بس للساعة أتناشر ، واللا اكمنك قاعده ساكتة ماتضحكى حد حايشك) وكلمتين تهريظ وتمليح فى صفة إغراء لعطية وإحراج لها طبعاً ، فقلت : إسمحى

لى ياذكية هانم أن أعتذر لك فأنا لا أستطيع البقاء فوق ذلك لأن لى أب يحاسبني على وقتي ... وقد طال بينا الجدل عشرين دقيقة تماماأنتهي بأن قطعت عليها (الحظ) فتألم علي (وزكية)، وقدخرجنامنلصصين كمادخلناأه. وهذه الليلة تكاد تكون أقرب مثل يصور لنا (حظ) الطالب وطربه مع ملاحظة أني لم أتوسع أو أصرح بشيء خشية أن يستفيد الفاسقون أكثر مما نريد للمتعظين والراشدين وإلا لذكرنا من الحوادث ما يذوب لها قلب الغيور ويفتت من هولها الفؤاد حسرة وأسفاً ، إنما نذكر ماتذكر ليتنبهأولياء الامور والآباء والأمهات إلى حركات أولادهم والبنات

٢ — ثم النسيم ، غداً عطلة ثم النسيم وستعطل المدرسة فأجتمع: على ، وفهمى،وشكرى وحمدى يتشاورون في الاتفاق علي رياضة معاً باكر وقد رأوا قبل كل شيء دعوتى للاشتراك معهم فجلسنا بعد الغذاء نتدبر الأمو فعرض (علي) أن نذهب إلى عزبة أبيه فنركب خيلا ونصيد حماما وغير ذلك فلم يوافقه أحد . ثم عرض شكري أن نقضي يومناذاك في (ذهبيتهم) فقالوا جميعاً لا بأس من ذلك وحبذا لو أسعدتنا الصدف ببعض (الغزالات) ليكون يوم (حظ) وطرب لامثيل له ، وبعدأن فكروا قليلا رأوا أن نبدأ يومنا من الليلة أي أننا نخرج اليوم فنتقابل (بملابس السهرة) ونذهب إلى ملهي من الملاهى حيث نصيب صيد من أردنا

من الغزلان ولما تمت الخطة ، كان على صاحب (الذهبية) أن يعدها ولكى يكون له متسعاً من الوقت ذهب إلى الناظر يشكو له مغصاً أصابه فأذن له بالانصراف فذهب لاعداد الذهبية ولوازم (الحظ) والطرب المقصود

ونقتصر من هذه الحكاية على الخطة والبرنامج الذى قد أعد (لحظهم) وطربهم لنعرف روح الحظ وما يقصدونه منه ، وقد تمت غالباً كما أرادوا.

* * *

الشبان ورجال الأعمال والمراكز : عدت إلى القاهرة مدة قليلة فأحببت لقاء اخوان كان بيني وبينهم مراسلة وكتابات وقد أخبرني أحدهم أنهم يجتمعون كل ليلة بناد كبير في شارع عظيم لا أحب أن أذكره بالاسم، أتيت المحل فاذا هو محل واسع الارجاء مزدحم بالوجهاء وعلية القوم،درت أفتش على اخوانى طويلا وكثيراً ما لقيني النذل (١) فلم أسأله ، وهناك أيضاً جميلات يقمن بهذه العملية وقد رأتني إحداهن أفتش باهتمام فجاءتني بأدبهن المعهود ورقتهن المعروفة وعلى وجهها بسمة رقيقة أظنها كانت السبب فى إزدحام المحل وسألتني بلسانها الاعجمى عمن أبحث ؟ قلت وهل تعرفى كل زوار المحل ؟ قالت أغلبهم خصوصاً اذا كان من الزوار دائما ، قلت لعلهم من هؤلاء أنى

(١) النذل (الجرسون) أوخادم القهوة

أبحث عن فلان وفلان وفلان فجمعت تصفهم لي واحدا فواحدا وأنا أؤمن على ما تقول فابتسمت وقالت هم من أكرم عملائي ثم سارت وقد أومأت الى أن أتبعها حتي فتحت لى باباً جميلا وأشارت الى الداخل ولما رأت تباطيء نادت : محمود بك هنا سيد يسأل عنكم وحينئذ وقفت بالباب فأبصرتهم وما كادوا يروني حتي صاحوا جميعا . ألوا يوسف بك وبعد أن تصافحنا وهززنا الايدي جيداً واتخذت مقعداً بينهم وقد توقفوا عن اللعب قليلا ، الا أني لم أوافقهم أن يكون حضوري منغصاً عليهم فيجب أن يواصلوا لعبهم وعلى كل حال عادوا جميعاً إلا واحداً آثر أن يجيني بالنيابة عن اخوانه فجعل يسألني عن حالي وحال البلاد التي أعيش فيها ومقدار المدة التي سأقضيها بينهم . . . وهنا حضرت أمامي هذه الحسناء تردد لي أسماء المشروبات الروحية واحداً واحداً ثم اثنين اثنين وسكتت فالتفت الى صاحبي مازحاً : ألا يوجد هنا ما يؤكل ؟ فأجاب : الأزة هنا من أرق ما يكون فابتسمت وقلت له بصوت منخفض : اسمح لى أن أعتذر فاني لا أشرب خمراً قط ، فأجاب ضاحكا مقهقها بإسلام يا يوسف أنت لسه فقى وأخيرا طلبت (شايا) وبعد ساعة انقض على تلك الغرفة جيش من الجميلات الاجنبيات وبدأت بيننا وبينهن المناورات حتي كان بين بعضهن وبين زملائي بعض مسارة ، وهنا قال لى محمود بك (أظنك تزوجت يا محمد بك زي احمد) فأجبته بالسلب فقال :

(عمات طيب) قلت له ولكني أتمني أن أتمكن من الزواج اليوم قبل الغد وإني ساع لذلك . فقال : (إوع) وعلى ذلك دخلنا في جدل شعرت أثناءه أني أجادل من لا يعقل فترحمت فى نفسي على أشخاصهم الميتة وهم أحياء الابدان ، وأخيراً جعلوا يتهامسون قليلا ثم قال لى أحدهم : أظن لا مانع يمنع محمد بك أن يكون معنا الليلة ليتم لنا وله الحظ والسرور أجبت وغاية ما أرجو الوقوف على ما يفعلون . بل فى ذلك منتهى سروري وعلى ذلك خرجنا من النادي الى سيارة أقلتنا الى منزل نحم ظننت أولا أنه منزل أحدهم ، إلا أني كنت مخطئا لأنه احدي مقابر العفة ، وبينما نحن نقصد إحدى الغرف كنت أفحص بنظري المكان فلمحت (نفرا) (١) من حملة (الشريط الاحمر) على سوقهم وقد تعمدت أن يترك باب غرفتنا مفتوحا لأتمكن من رؤيته جيداً ، واذا به بعد قليل منصرف وقد عرفت أنه مأمور القسم ، وعلى كل حال فقد قضينا ليلتنا غارقين فيما يسمونه (حظا) وأسميه فسقاً وكلما طال بي الوقت وأردت الانصراف قالوا (ساعة الحظ ماتتعوضش)

* * *

٤ — حدثني أحد اخواني بحادثة حدثت له وبعض اخوانه أسوقها هنا عبرة وذكرة قال : خرجت مع ثلاثة من إخواني وما كدنا نصل

(١) نفر فى الاصطلاح العسكري هو الفرد

ميدان ال . . . . (ولا داعى لذكر الاسم) حتي وقعت معنا فتاة جميلة وأخذناها معنا الى منزل أحدنا ، ولا أدرى ما الذي غر هذه التعسة فينا نحن الاربع ! مسكينة هذه الفتاة لا أكاد أذكرها إلا بدموع الرحمة والرثاء ، أنا لا أدرى أيا طالع نحس ذلك الذى رمى بهذه البلهاء فى حبالة أربع ذئاب ضواري وأى ثمة تلك التي وضعت على بصيرتها حين تبعتنا راضية بتضحية نفسها دون انتظار أي ربح من وراء ذلك ، لعمري أني سأعيش ذاكراً لتلك الضحية التي قضت على مائدة الشهوة البهيمية دون رحيم أو شفيق بها ، ان ذكراها المؤلمة تهيج بنفسى شجون الاسي وهموم الآلام خصوصا كلما بحثت عن علة انسياقها أمام أغراضنا الدنيئة وانصياعها لمآربنا الفاسدة الشريرة دون أن أعرف أنها حصلت أو كانت تطمع فى شيء اذ ما كدنا نصل البيت بل المذبح مذبح العفاف ومجزرة الاعراض لأن صاحبنا انما اعتده ليكون بؤرة خاصة بنا . دخلنا نحن الخمسة نحن وهى . والحق انها ما كادت تقتحم الباب حتي بانت عليها امارات الخوف والرعب وأصدقك الحديث ان قد اثلجت يدها ، ولكن لم تطلب الخروج وأظن حتي لو طلبته ماكانت لتحصل عليه ونحن أربعة شباب وهي واحدة ضعيفة وبعد قليل من المزاح السافل خرج صاحب البيت وتبعه ثانى فقال لى الثالث هيا نرى مايفعلان خرجنا نحن الاربع مخلفيها وحدها ، وانا لا أشك أنها فكرت وفكرت طويلا فى برهة انفرادها

أما نحن الاربع فكنا نتفق بل نتآمر على من يكون أول فاسق بها ثم من الثاني والثالث والرابع فكان الاول صاحب البيت والاخير أنا وعلي ذلك عاد اليها صاحب البيت ودخلنا نحن الثلاثة فى غرفة ثانية ولبثنا نتذاكر وما نتذاكر اذذاك الا الفسوق حتي عاد الينا وراح الثاني والثالث وجاء دوري وقد كانت الفتاة الجميلة والشيطان لعب بي ردحا طويلا فكنت لاشك فاعل ما فعلوا الا ان . . ى . ما . كد . ت . . أ . . و . . صد . . علينا . ال . . با . . ب . . و . . اق . . تر . . ب . . من . . تل . . ك ال . . فر . . يسة . . حتي . . رأي . . ت . . ويا . . لهول . . ما . . رأيت نعم . . قد رأيت . . قد رأيت . . وبعيني رأسي . . بقعا . . حمراء . . حمراء أي نعم . . هي . . هي . . بقع . . الدم . . الدم . . نعم . . الدم . . دم العفاف أيها الشبان نعم . . هو دم ذلك العرض المنتهك ايها الرجال . . مسكينه تلك التعسة ! نظرت لها واجما فقالت لى : مالك ماذا جري ؟! قلت وقد غصصت بريقى . لاشيء فأنى اشعر كأن حربة قد مرقت بفؤادى وضعت يد على قلبي فهمت أن تعانقني فلما قامت عن الفراش بدا الدم اكثر مما كان فلما رأتني أحملق باهتا نظرت مكان ما أنظر فما كادت تري الدم . . . . حتي صرخت وكادت تهوي وتفضحنا بصرختها . أسرع الى لخوانى الثلاث وفتحت لهم الباب فوجدوني بثيابي وهى بين يدي مغمى عليها أرادوا منى بيانا وكأن بأعينهم عمى فهم لا يبصرون . فأشرت بيدى

الى الدم وقلت بغضب أخرجني عن صوابي أنظروا ما اقترفتم أيها الكلاب فوجموا لمنظر الدم قليلا.. ثم وسوس لهم الشيطان فردهم الى حجاهم الخبيث ومكرهم السيء فعالجوها حتي أفاقت ثم عالجوها ببرج القول وفاسد الاماني وأوصوها بالوصايا التي قضت على شرفها نهائيا وكانت من الساقطات.

٥ — في الصعيد : كان يوم عطلة وكان يوم رياضة عندما جاء أحمد افندي يطلب إلى الاشتراك معهم فى اقامة حفلة سمر بأن أدفع مبلغا صغيرا لم أر بأسا من دفعه وبعد قليل أطلعت على عدد المشتركين فاذا هم حوالى العشرين فيهم الضابط الكبير والمعلم والمهندس والعين والموظف طبعا أما البرنامج فهو أعداد مركب شراعية كبيرة ننزل بها ومعنا (قدرا من الحشيش وشيئا من الخمور وآلات الطرب وراقصة) قد تم الاتفاق على اختيارها من العازفين ثم اذا جن الليل ووجدنا أن الجو قد تغير ولا يحسن بنا المكث فوق سطح الماء قصدنا منزل (فلانة) كبيرة موسمات البلدة للعشاء وقد أعدت لنا مائدة عليها من أصناف الطعام ما لذ وطاب خصوصا (الديك الرومى) الذى أهداه لنا حضرة العين الوجيه فلان بك (وأعجبوا معي أضاقت بنا بيوت البلد بما فيها من فنادق فخمة لا بأس باتساعها! إنما غرض الفسوق حبب الينا ذلك) وقد أعدت لنا حضرتها من بناتها ما تستهوى به الطائش

* * *

٦ — لي قريب عامل يحترمني جداً ويحبني لأنه يعتقد أني متعلم ولهذا الاعتقاد الذي ملأ مخه عني كان يميل إلى استشارتي في جميع أحواله الخاصة حتى أخبرني مرة أنه عشق مومسا فنهيته عن ذلك قدر ما وسعه جهدي إلا أنه طلب إلى أن لا أحكم عليها بدون أن أرى وعلى ذلك اتفقت معه على رؤيتها على شرط أن لا يشعرها بالغرض وعلى ذلك قابلته في إحدى القهوات ومعه بعض من إخوانه وقدمني لهم باسم الاسطى محمد وبعد أن برحنا القهوة شعرت حقا أن هناك فرقا كبيرا في العقول بين الطبقات المختلفة ولقد سايرتهم على قدر أميالهم ولو نافى ذلك أميالي أو آلمني فدخلوا حان مزدحمة رخيصة لا يأوي اليه الا فقراء العمال والحوذية وغيرهم ممن شابههم وقد رأيت من التقاليد والآداب ما أشعرني أني غريب بينهم ، إلا أني سايرتهم ثم برحنا الحان الى (البوظة) وهناك ازدحام فوق العادة وهناك جلست قرب رجل قد أشعل ناراً يشوي عليها لحما ويعطيه لآكليه نصف ناضج وقد سمعت أقوالا كثيرة لم أفقه لها مرمى سوى أن القوم كانوا يضحكون وكنت أسايرهم بشدة. خرجنا بعد ذلك فسألني صاحبي عن مقدار سروري فبالغت له الوصف إلا أنه أومأ إلى أنه ينوي الفرار من اخوانه . فلما بلغنا محال الدعارة طلب من اخوانه انتظارنا نصف ساعة وبعد أخذ ورد قبلوا فذهبنا الى بيت في طريق وعر وطرق الباب فسئل عن اسمه فلما قال اسمه حتى فتح

له. دخلت فاذا بيت أعد لجميع المنكرات والموبقات وهناك لم تسلم إحدي المومسات بأني صانع كما ادعيت وادعى رفيقى وقد رأيت من حركات البيت أنه بيت (حظ) كبير وطرب دائم وكان صاحبى قد طلب مشروبات وطلب أن تسقينا واحدة لكي يتم بذلك (الحظ) وكم كانت دهشتها لما علمت أني لم أشرب خمراً حتي سألتني فوراً عن سبب زيارتى لتلك النواحى مادمت لا أشرب الخمر أو الحشيش. ثم خرجنا فقابلنا الاخوان فجلسنا جميعا في قهوة فيها طبل وبدأ الرقص، رقص اخواني جميعا فرداً فردا وصاحوا وهللوا وتبادلوا مع المومسات المزاح المنحط بأسفل منطق ولفظ ولما عدنا وكنا متأخرين جداً لم نفترق إلا وقد شجر عراك عنيف بين الاخوان وراحوا وبعضهم يتوعد بعضا وهكذا كان ختام حظهم الذى يطلبون . اه

* * *

كنا نود أن نعدد للقراء عدة حوادث من هذا القبيل وهى طبعا لا تدخل تحت حصر وفى كل يوم آلاف الآلاف من هذه الحوادث تصدر تحت ستار (الحظ) فيقدم عليها المرء وقد اعماه (الحظ) فيجني على الانسانية والآداب ويخرق كل حد أو قانون إبتغاء اللذة والحظ، إلا أننا نرى أن تلك الحوادث التي ذكرنا منها ما تقدم ما هى إلا مثلا صادقا عن كل ما يحصل وصورة مما يقع في كل مكان ومن كل شاب

تقريبا ومنها نتبين أنهم قد ساء فهمهم للطرب والسرور كما ضلوا فهم غيره من الامور الحيوية الكثيرة التي أسلفنا عنها بيانا فهم يكادون لا يشعرون بالطرب إلا فى أمرين منكرين السكر والفسوق أو الجنون والبهيمة وإن الرجل الذي يحاول الاعتذار عن الاقدام على هذه الموبقات لا أرضي منك الاصغاء اليه أو محاولة إقناعه فهو ممتنع من قبلك بفساد ما يعمل إنما وهن عزيمته وضعف إرادته يدفعه أمامه صاغرا فلا يستطيع أن يثبت على مقاومة نفسه وهواه ولا تجد أن هاتين النقيصتين قد تسيطرتا إلا على من صغرت نفسه وفسدت تربيته وأعماه الجهل عن أن يدرك الامور على حقائقها وعواقبها

مسكين ذلك الجاهل المنغمس في حمأة الرزائل والفسوق ، تراه بعد ذلك يحاول أن يعيب المرأة وما جني عليها سواه ، فاته ذلك الأحمق أن الجنسين (١) دائما يتباريان ليحصل كل جنس على منزلة اعجاب واستحسان الثاني ، فالمرأة فطرت على ان تجعل نفسها دائما موضع اعجاب الرجل ومحل استحسانه وهي تواصل الجهاد لنوال مركز الاستحسان من نفسه ومشاعره ، فمن المؤكد اقلاعها عن كل مالا يصادف من الرجل استحسانا أو تشجيعا بل . أكاد أجزم بأن كل ماتقوم المرأة به من الاعمال التي لاترضي انماهن عليها دائبات لما وجدنه من تشجيع

(١) الجنسين هما الرجل والمرأة

بعضنا أصحاب الاهواء والاغراض . أما لو أعرضنا بكامل هيئتنا عن نقائصهن ولم نحبذ لهن فعالهن لانلبث ان نحصل عليهن طاهرات من أدران تلك العيوب التي بح صوتنا في استنكارها عبثا

اللهم ان المرأة عندما يطلب الرجل وكما يريد، فان أرادها كاملة بصدق وعزيمة وجدها كما أراد لأنها بحكم طبيعتها ميالة لارضائه ولو لتحظي بنظرة الرضا .

أما الرجل فميال بطبعه لأن يقع من المرأة موقعا حسنا فلا تقتحمه أو تزدريه وما أصعب على نفسه من نقد امرأة له وسرعان ماينفذ مشيئة المرأة ويتخلى عما لاترضاه ولو كانت التقوى والصلاة بل ماسقط شبانا ذلك السقوط الأدنى الا لأنهم تخيلوا رضاء الأوانس به واعجابهن بما يعملون ، ألا تراه وقد انغمس في أحط الموبقات دون مراعاة لفضيلة أو قانون مجرد ان بعض الساقطات قد أعجبن بذلك الفعل الدنيء وهاهي الازياء (المودة) التي يتحمل الرجل منها مر الآلام البدنية في سبيل ان أعجبت به المرأة ولو وهو في الطريق عابر .

أما وقد بات الرجل لايسره أو يطربه أو (يحظه) سوا الفسق والخمور وهو لايطلب (الحظ) والطرب الا في الفواحش من الاثم والكبائر من الذنوب الاجتماعية والنقائص الادبية فهل بعد ذلك يريد من المرأة أن تلبث بعيدة عن ميدان الفجور وقد أصبح قباة وكعبة أنظاره

ولمن تبقى هى فى خدر العفاف وقد طلبها الرجل فى بؤر الفسوق، وها أنك أيها الرجل تقيم الدليل على أنك سبب كل ما أصاب المرأة ويصيبها في فى جميع حركاتك وسكناتك فانت في كل مجمع وطريق وشارع تطلب بالفعل المرأة الساقطة (وان كنت في بعض الاحوال تتحدث عن العفة باللفظ لاغير) ولعملك هذا نتيجة طبعية هي لاشك نزول المرأة على مشيئتك والرضوخ لغايتك والانصاع لما تريد منها من فسق تستره دائما بكلمة (الحظ) (المدنية) أو (الحب)، وستري المرأة دائما عندما تريد منها عملك فالمرأة كما وصفتها السيدة نبويه موسي :

انما المرأة مرآة بها كل ما تنظره منك ولك

المبحث السادس

فى

التربية

التربية الحيوانية ومنشأها وغايتها

التربية هى عبارة عن مجموع الوسائل المؤدية لحفظ الجنس ونموه وارتقائه سواء فى ذلك حيوان أو نبات فالتربية الحيوانية ومنها الرعى هى عبارة عن أصلح الطرق التي اتبعت لصيانة الحيوانات من الفناء بعد ان هال الانسان انقراض كثير من أنواعها فعمل على حفظها ونموها كيما تقوم بسد حاجته في صور كانت لحوم الحيوانات والطير والاسماك هي قوام حياته ، وكلما كانت الطرق والوسائل أقرب الى طبيعة الحيوان كانت دون ريب أكبر معوان على سرعة نموه وارتقائه ، ولو أننا راقبنا أنواع الحيوان المتغايرة التي تعيش بأصقاع شتي وأرجاء مختلفة كالتي تضرب فى الفيافى والقفار والتي ترعى الاودية والسهول وتلك التي تأوي الى الجبال والمغاور أو تلك التي تجوب الغابات والاحراش ، رأينا : أولا . أنها تختلف فى عاداتها وطباعها وطرق حياتها وربما كانت نوعا واحدا .

من ذلك نعلم أن للصقع أو للبيئة تأثيرا كبيرا في تكوين وتكييف طبائع الحيوان حتي أن حيوانات جبال الالب لاتشابه حيوانات أصقاع القرغيز كما ان تلك لاتشابه حيوانات الاراضي القطبية أو التندورة ولاحيوانات الارجاء الاستوائية في شيء . ثانيا . ان لحيوانات كل صقع طريقة خاصة يتبعها في حياته تلجئه اليها طبيعة أرضه وبلاده ومن هنا كان منشأ تفاوته في النمو والارتقاء وكلما قربنا من الاقطار الحارة ازدادت الحيوانات نموا وانتشارا وارتقاء حتي نصل المنطقة الاستوائية حيث نرى الانواع العديدة من الحيوانات الضخمة الهائلة وغيرها من الحيوانات المعمرة كثيرة النسل وذلك واضح جلي تحدثنا به المشاهدة . لهذا لما اضطر الانسان للاعتناء بتربية الحيوانات بحاجته الماسة للمحافظة عليها والسعي في نموها وحمايتها من عاديات الفناء وقد فزع عند مارأي الاضمحلال يدب في قطعانها عقب اندفاعه في صيدها واهلاكها وقد غرته بوفرتها وتزاحمها الأول وهلة وكأنه ما كان يدري أن تلك الكثرة وليدة أحقاب مديدة وأجيال عديدة فلما أكثر من صيدها والفتك بها دب النقص والاضمحلال في جماعاتها ولم تقو سليقتها الحيوانية وطباعها البهيمية على تعويض الهالك أولا بأول زد على ان الانسان قد نافر كثيرا من القطعان عن مراعيها واستوطن هو فيها ونفرت تلك القطعان طبعا الى ارجاء نفاير التي كانت فيها ولو قليلا فكان هذا مما أدي أيضا الى اضمحلال تلك الانواع ان لم يكن الى افنائها .

كل هذه الظروف مجتمعة حضت الانسان علي أن يفكر في وسيلة تحفظ عليه ثروته الحيوانية التي عليها غذاءه وقوته وذلك بعد ان أنذرته المجاعة بفناء وانقراض أنواع شتي من الحيوان (وترى ذلك واضحا في كتابنا حياة الانسان القطري)

فكر الانسان لاول مرة في حماية الحيوانات فعمل على جمعها سليمة صحيحة ليرعاها ويعتني بها فوجد أنه مضطرا لدرس أحوالها جيدا ليتعرف أساليب حياتها ونمط معيشتها وان كان قد ألم بشيء من ذلك عند محاولة صيدها الا أنها كانت معلومات خارجية لاتمكنه من ان يقدم لها معاونة فعالة تساعدها علي النمو والارتقاء، فدرس واجتهد وبذل قصارى جهده ليمهد لها حياة تتمتع فيها بكل أغراضها الحيوانية كفطرها الاولي . فكان كلما بالغ في الاعتناء بقطعانه ازدادت نموا ورقيا وانتشارا . وعلى هذا نعلم أن التربية الحيوانية والرعى بدءا منذ تلك الاجيال السحيقة وقد كانت هي ثانى فنون عنى بدرسه الانسان بعد الصيد وأساليبه المختلفة

كان الانسان في هذه الاجيال منتشرا في بقاع شتى من الارض فمنه من جاور البحار ومنه من هبط الاودية وشطوط الانهار ومنه من اعتصم بالصخور وتحصن بالكهوف ومن عاش خلال الغابات والاحراش ثم من ضرب في أحزان الارض وبلقعها . فأخذ كل انسان يصيد ماجاوره وأحاط به من أنواع الحيوان ثم أخذ يربيها ويعتنى بها ويرعاها فاختلفت

سبل الصيد وطرائق القنص لاختلاف طبائع الحيوان وتعددت طرق الرعى ووسائل التربية لتباين غرائزها إذ مما لاشك فيه أن صيد السمك والحيتان يختلف في طرقه ووسائله عن صيد الخراف والغزلان أو البقر والثيران كما يختلف ذلك عن صيد الطير من بط أو سمان . كما أن تربية الاغنام غير رعى الانعام أو مراقبة السوام وقد تبع اختلاف هذه الطرق والوسائل اختلاف الافكار أو طرق التفكير وأدي ذلك الى اختلاف عادات الانسان وطباعه حتى ان احساساته قد تأثرت بتأثيرات كانت ذات أثر بليغ وصدى قوي فى عقليته وعلى ذلك كان لكل صقع أو بيئة سكان متأثرين به مطبوعين بطابعه الخاص حتى جاز لنا القول بان للوسط قوة صوغ ساكنيه طبقا لحاجات المعيشة فيه وها نحن نري الفوارق الواضحة بين كل جهتين مختلفتين ولو من وجهة واحدة حتى انا نرى سكان سويسرا يختلفون عن سكان بلجيكا كما ان سكان الاخيرة يختلفون عن جيرانهم الهولنديين وإن تمعنا في هاته الاقوام يجعلنا نؤمن بقوة البيئة وسلطانها عن نفوس من فيها ، ولو حاولنا معرفة قوة تأثير الوسط على من يحل فيه ما كان لدينا الا ان نرجع بنظرنا الي عهد القبائل الرحل ولا أقصد بالقبائل الرحل قوافل الاعراب أو البدو . انما تلك القبائل الانسانية التى كانت تنزح عن أوطانها الدافع ما الى مواطن غيرها حتى اذا اجبرت على فراقها رحلت عنها الى غيرها . وتلك القبائل كانت غالبا فى مبدأ حياة الانسان فكانت

القبيلة تتخذموطنها بواد من الاودية أو سهل من السهول فتقوم بأعمال توافق موطنها هذا وتتخذ لها عادات وطبا ئاتاسبه حتى اذا مارحلت عن تلك الارض لسبب ما ونزلت بأرض أخرى نري أنها سرعان ماتبدل عاداتها عادات اخري وحياتها حياة ثانية (وتري ذلك واضحا في كتابنا حياة الانسان الفطرى) كما حصل لقبائل التتار والتيتون والغالبين

* * *

وقد عاش الانسان حينا من الدهر عيشة حيوانية بحتة يأكل ويشرب على السليقة الحيوانية بل ويأتي كثيرا من الاعمال الحيوانية أيضا من ذلك أخذ الذين يسمونه بالحيوان الناطق الا أنهم لم ينصفوا الانسان بهذا الاسم اذ لم تكن ميزة النطق هي التى فرقته عن باقي الحيوانات بل ان في هذه التسمية نكرانا لأكبر ميزة سودت النوع الانساني وجعلته المسيطر على جميع المخلوقات الا هي ميزة التفكير بل ملكة العقل الانسانى التى تمتاز بها النفس الانسانيـة أصـل الحياة فيـه اذ من المعلوم أن الموجودات العالمية تنقسم الى قسمين حية وهى النباتات والحيوانات والانسان . وغير حية وهى كالاجسام المعدنية والاحجار ، فالاولي تنمو وتتغذي ولها مبدأ حياة ومنتهى عكس الثانية التي تجردت من كل هذه الخواص المختلفة وماجعل الاولى تتغير طبقا لنوعها غير النفس الكامنة فيها وما جعل الثانية تلزم السكون فى حالها الاولى مالم يغيرها عارض أجنبى سوى خلوها من

النفس . ومن ذلك يمكن تعريف النفس على الاطلاق بأنها اصل كل حركات الموجودات الحية فهى اذا أصل الحياة

والحياة هى خاصة تحرك الموجود بنفسه أي أن الحياة في الحركة ولا يجوز الخلط بين الحركة الطبعية والحركة الآلية (كالآلات البخارية) انما المقصود منها هى الاولى ويوجد لها ثلاثة أنواع : ا . الحياة النباتيه. ب . الحياة الحيوانيه . ح . الحياة الحرة العاقلة وهى للانسان .

فالاولى غذاء ونمو ، والثانية حس طبعى وحركة إنقيادية عمياء ، والثالثة حس بتفكير وارادة . ولكن جميع هذه الحركات نفسية بحتة لان الحياة بأنواعها ثلاثة تستمد من النفس وحدها . الا أننا لو القينا نظرة واحدة على الحركات التي تبدر من الانسان لرأينا أنه يتغذي وينمو كالنبات ويحس ويتحرك كالحيوان زد على أنه يعمل بتمييز وحرية أو بتفكير وارادة فهو اذا يجمع أنواع الحياة الثلاثة ولكن ليس له الا نفس واحدة تلك هى النفس الانسانية وبما أننا سنتكلم عن شيء في التربية يحسن أن نشير ها أيضا الى وجود حياة رابعة اختص بها الموجود العاقل أو الانسان وهى الحياة الروحية والتي تمتاز بالعاطفة والعقيدة

ومن ذلك يتأيد أن لحركات الانسان تأثيرا على نفسه وأنها (أي الحركات) دليلا على تلك النفس أيضا. وكان من اختلاف الاوساط اختلاف النفوس في حركاتها كلها وظهر الانسان بذلك أمما وشعوبا

متفرقة متباينة فى كثير من الطباع والاخلاق والعادات وأساليب الحياة التي يتبعها بلا ريب أساليب التفكير . وكان دائم التفكير لتحسين حياته وتلك فيه غريزة نباتية لامهرب منها قوّاها الحس الحيوانى وساعدها العقل البشري وبذلك الشعور (الانانية) كان هو وأسرته رجلا واحدا في الصيد أولا ثم الرعى ثم القتال وعلى ذلك قويت فيه العصبية وحب بني أسرته وعشيرته مع عدائه الاصفر لباقى جنسه الانساني وكانت الاسرة أو العشيرة منفصلة تمام الانفصال عن غيرها ولها من التقاليد والعادات ما ليس لغيرها ولما تعددت الفنون من صيد وحرب وتربيـة ورعي غير الاعمال الفردية، اضطرت الآباء لتلقين وتدريب الابناء ومن ذلك الحين نشأ أمر التربيـة الانسانية وبات الانسان مشغول الفكر بخطر الحرب وبلاء القحط وعلي ذلك بات دائم التفكير فى الوصول الى قوته وطعامه بوفرة وسهولة وتعـدد المجهودات وكثرت النتائج فلزم حفظهـا لمواصلة العمل على أثرها من ذلك نشأ الدرس والتعليم، إلا أن أمر الدفاع عن العشيرة كان دون شك أشرف عمل يقوم به الفرد فكان يفخر بأسرته ويذكر أبطالها وعظمائها الذين وضعوا فى مصاف الآلهة حتي يكون حب الاسرة أكبر دافع للرجل على الحرص والغيرة عليها فيجود بروحه في الذود عنها ومن ذلك كله نشأ مايسمى بالقومية والتربية القومية . فلما أن استقرت الاقوام وبادت عادة الرحيل وأصبح كل قوم يقيم بوطن من المـواطن

سميت القومية وطنية أو أهلية .

فالتربية القومية أو الاهلية أو الوطنية هى عبارة عن مجموعة الطرق والوسائل التي انساق الانسان الى اتباعها بطبيعة الارض وجوها وخيراتها وليس هناك نزاع في أن مايصلح لوطن لايصلح بتاتا لوطن آخر ولهذا يعد من الجنون والجنون المحض نزوع قوم لتقليد عادات قوم آخر لايتفق مع بيئتهم ووسطهم ومن هذا العمل الجنوني يكون تدهور بعض الجماعات لما يسبب ذلك من الخلل في حياة ونظام المقلدين . لأن فى تكلفهم ماليس من دأبهم أو محاولة اتخاذه لهم عادة مع مخالفة دواعيه ضررا واضحا ويكفي دليلا على خطأهم أن ننظر الى من ينزحون من بلادهم الى بلاد ثانية فنرى أنهم غالبا يضطرون لترك عادات قومهم وتقاليدهم ظهريا واتباع عادات الوطن الجديد وتقاليده لما فى ذلك من الراحة والهناء . واذا نزلت بقرية فاعبد ربها أو دارهم مادمت فى دارهم . اذاً علام هذا التقليد الاعمى . وأغرب من ذلك أنه ترى قوما يدعون لهم قومية هبوا ليزودوا عنها وهم لم يعرفوا قوميتهم فاصبحوا هم والمغيرون صنوان أي باتوا وقد اتخذوا لانفسهم عادات وتقاليد حاكمهم وغاصبهم فأعرض المرء عن قوميته الاولى واتخذ قومية غالبه على أمره ثم بعد ذلك يظن له قومية يبغى الدفاع عنها وقد ضيعها بنفسه . ألا رحمكم الله أين كانت عقولكم يوم أن نقضتم بناء قوميتكم وصرح وطنيتكم بأيديكم لا بأيدى

غيركم أين كنتم عافاكم الله يوم نبذتم وطنيتكم وعاداتكم متبعين في ذلك طيش الشباب ورعونة الجهل فاسدلتم بذلك حجابا اسودا كثيفا على تالد قوميتكم وعفت آثارها بعد أن نبذتموها . ولا حصن للامة خير من قوميتها فتفتشوا ياقوم على قوميتكم أين دفنتموها فانشروها واتبعوها ولا أولادكم لقنوها .

التربية النفسية

رأي الانسان أن خير طريقة يتبعها لاصلاح حياته هي أن يعد أعماله في دائرة من الحدود والواجبات الكمالية وطلب ذلك عن سبيل التربية. إلا أن حصر الاعمال الانسانية في حيز من الواجبات والممنوعات صعب غير يسير فعملوا على تثقيف الفكر بالعلوم ظنا منهم فى أن العلم وحده يسدد الاعمال والحركات إلى أحسن وأقوم سبيل إلا أن الفكر مهما كان فهو متأثر بالحس النفساني وغيره من الغرائز النفسية ولهذا كثيرا ما نرى الافكار منقادة لغيرها من الغرائز النفسية وخصوصاً اذا كانت تلك العلوم من العلوم العملية التي لا دخل للنفس فيها هذا على عكس الاعمال الصادرة عن النفس مباشرة فانها غالباً لا تلقي من الفكر إلا معاونة وتشجيعاً فالفكر فى نفسه لا يمكنه أن يكون وحده دافعاً للخير أو الشر ، وقد يستطيع الفكر أن يكشف حقيقة الأمر ان كان خيرا

أوشراً ولكنه لا يستطيع تنفيذه إلا بالمساعدات النفسية الأخرى

أما العلوم النفسية كعلم الاخلاق وعلم النفس والدين فكلها أبحاث وتجارب نفسية تعد النفس لقبول أصلح الاعمال الحقة وبما أن النفس هي سبب الحركات الانسانية فلاشك أنها ان صلحت صلحت جميع حركاتها فكانت أعمالها جميعها خيرية وعلى هذا يكون اصلاح النفس هو أساس كل جمال لهذا المخلوق الانساني به يحصل كل كمال وسعادة إذ يجد المرء من نفسه مراقبا شديد البطش صعب المراس لا يعصي له أمرا يمنعه عما يراه شرا ويحضه على ما يراه خيراً

ولبيان قوة النفس وسلطتها في أفعال الانسان نقول أن الانسان انما يستعمل حواسه مواصلا للمشاهدات الخارجية إلى غرائزه النفسية فتتأثر الاحساسات النفسية بنوع من الاحساس فاما ميلا أو نفوراً وعلى ذلك يبدأ الفكر بفحصها حتي إذا قر قراره أخيراً رفعه إلى الارادة لتقوم بتنفيذه وتتولى هذه اصدار الأمر الى العضلات البدنية لتقوم بتنفيذه وتلك هى الحركات النفسية التي تصحب كل عمل من أعمال الانسان ، وهناك قد جلس الوجدان الحاكم الأعلى للقوى النفسية فلا يكاد ينفذ قرار واحد من قرارات الفكر إلا إذا وافق عليه الوجدان صاحب السلطة العليا والذي يمكن القول بأنه هو القابض على زمام جميع القوى النفسية فلا شك أنه أقوى وأرقى القوى النفسية حتي أن كثيراً من

الافكار التي تكون منطبقة على العقل والنطق الصحيح ولكن لا يستطيع الانسان أن يسلم بها أو يقدم عليها لأن الوجدان لم يرض بها ورفض اقرارها .

والوجدان هو ككل غريزة نفسية يعتريه القوة والضعف فاذا كان قويا في إنسان رأيت أنه دائما بعيداً عن كل الصغائر والنقائص والرزائل محبا للفضائل والمحامد لأن الوجدان الحى مع البصيرة يدفع صاحبه دائما إلى قويم الاعمال ويبعده عن مراطن الزلل والمخاوف أما اذا خمل الوجدان وضعف ترى أنه بات أقرب الى الحيوانات العجم لا يفرق بين خير وشر حتي يكون دائم الخضوع لأغراضه الحيوانية ، فيتبع ضعف الوجدان ضعف السجايا الحميدة فينا وتقوي الشهوات الحيوانية اذا لا نجد رادعا أو زاجراً يوقفها عند حد محدود بل قد يطرأ على الغرائز النفسية من جراء ذلك فتور شديد أو انقلاب يصور لها المحمود مذموماً والمذموم ممدوحاً حتي ترى الفضائل رزائل والنقائص محامد

وأن رياضة النفس وتربيتها لمن أصعب الامور تحتاج عناية دقيقة وتتطلب بصيرة يقظة ومرب حكيم يدرك نتائج الاعمال كل على حدة وتأثيرها بالنفس فيوجه الاعمال والحركات في الناشيء الى الوجهة النفسية القويمة فيقوي الغرائز الصالحة التي تساعد الانسان فى حياته فيتعهد الوجدان ويزكيه والاحساس فينقيه والتفكير فيرقيه والارادة

فيقويها أما تزكية الوجدان فتكون بتوسيع دائرة الفضائل واحاطته بها وأما تنقية الاحساس فبابعاده قدر المستطاع عما يثير فيه الشهوات الفاسدة حتي تقوى بنفسه الغبطة والراحة للفضائل والخيرات وأن يستفزه دائما الي عملها من طرف خفي بأن يوقظ فيه الرحمة والشفقة والحنان أما الفكر فيقويه ويرقيه بالمعلومات المحسوسة والادراكات المادية والأدبية ويمرنه دائما على العمل بثبات وتؤدة وراء الحقائق الثابتة واللب والجوهر

الارادة

الارادة هي القوة النفسية التي تمكن الانسان من عمل أو إبراز ما يفكر فيه فهى عبارة عن حلقة اتصال بين العالم النفساني الداخلي وعالم المحسوسات الخارجية التي هي مظهر الحياة فلولاها لبقيت الأعمال والحركات النفسية مضمرة فيها لا تستطيع ظهوراً ، إلا أن الله قد قيض لنا الارادة لتبرز لنا جميع الاعمال النفسية في حركات جسمية ظاهرة نعلم منها وجود النفس والحياة ، ولا يخفى بعد ذلك أن الارادة هى القوة التنفيذية فى الانسان يتبع ضعفها عجز الانسان عن إتيان مايريده ويهم به وإن الذين نراهم فصفهم بالكسالى وننعتهم بالعاجزين ما هم إلا الذين وهنت إرادتهم عن تنفيذ ما يريدون ويبتغون وضعفت هممهم عن ادراك

ما يطلبون أولئك الذين فترت عزائمهم فقعدت بهم نفوسهم وكانوا من الخاملين . أما أولوا العزم وقوة الارادة فهم الذين لا تمنعهم الصعاب أو تقعدهم الموانع عن السعي والمثابرة بهمة لا تمل وعزم لا يفل في سبيل الحصول على أمنيتهم ونوال بغيتهم وما الحياة الا جهاد وجلاد فأين يكون ضعيف الارادة الا خامل الذكر واهي القدر قليل المكاسب حقير الآمال والمطامع ، لا يستطيع أداء عمل ما حتى تراه آلة في يد غيره يعمل بحركة آلية (حيوانية) ما يوحى اليه من غيره دون أدنى مقاومة أو مراجعة ولو أضر ذلك بشخصه وذلته ، كما تراه لا يستطيع دفع الأذى عن نفسه والخلاص منه عجزاً وقصوراً وضعفاً فلا يستطيع تدبيراً ، وأما الذين استهواهم الشيطان فأضلهم وأوقعهم في شراكه فباتوا من الآثمين والمرتبكين وهم يشعرون ، يرجون الخلاص مما هم فيه فلا تنصرهم إرادتهم الخائرة أو تعينهم عزيمتهم الواهية فيقعد ملوماً محسوراً ، وكم من سكير يقتنع بضرر الخمر ويتمني عدم احتسائها أو مدخن يألم من التبغ يرتجي الامتناع عنه أو أو الى غير ذلك ، ولكن أين الارادة التي تعينهم على ما يتمنون ولو كان لهم مثقال ذرة منها لنجوا بأنفسهم مما هم فيه غارقون

أما معالجة الارادة وتقويتها فمن أوجب واجبات المربي لأنها تعين الرجل على الحياة وتمده من لدنها بسلطان على جميع الاعمال وتجعله قادراً على دخول مجال الحياة من جميع أبوابها مادام يريد أن يحيا أما الذين تراهم

يعتمدون في حياتهم على غيرهم أولا يستطيعون دخول ميدان الحياة الا من باب واحد فقوم عاجزوا الارادة وهذا من الامراض النفسية فينا بشكل واضح ويرجع ذلك الى تربيتنا الاتكالية التي تميت فينا الاستقلال وتضعف منا الارادة وفي ذلك قضاء على مستقبل الشاب ومستقبل بلاده. وماذا يجدي قومه رجل لا ارادة له لا يعرف سوي أن يكون عالة على غيره فعلي المربي الرشيد أن يجعل من أول مايغرسه فى نفس الناشيء الاحساس الشريف والارادة القوية وتقوى الارادة في الطفل بطرق عديدة قد لا ينفع ذكرها اذا لم يكن المربي من نفسه يقفا فطنا لحركات الطفل وتأثيرها في نفسه، وله مع مراقبته الشديدة أن يترك للطفل الحرية التامة فى العابه لا يقيده بأفكاره وآرائه اذ شتان بين هذا وذاك فلا يسر الطفل مايسر الكبير ! وفى الغالب سيسيء الطفل استعمال هذه الحرية فيجب ان تجعله يتحمل وحده نتيجة عمله وأرجو أن لا تذهب مع العامة الذين يقولون بأن الطفل لا يميز بين الخير والشر بل يجب أن تفرض قدرته على ذلك لأن ذلك سيولد فيه نفس الادراك والتفرض لذلك مثل طفل أعطيته لعبة يلعب بها فكسرها، فلا تصلحها له بل دعها بين يديه مكسورة فانك ترى على وجهه آثار رغبته فى ارجاعها حالتها الاولي فلو انك خضعت للحنان وأصلحتها له ترى أنه يسرع فى كسرها ثانيا ويأتيك بها لتصلحها وهكذا تتكرر هذه العملية التي تولد في نفسه الاعتماد على غيره

(وهو انت) وعدم الحرص على مافى يده ، وتسخيرك لأغراضه الشريرة لان كسر الشيء (اللعب) نوع من الفساد أو الشر ، أما لو تركته يحاول اصلاحها بيده حتي يعجز عن ذلك فسيتركها وهو نادم علي مافعل وقل ان يقدم على كسر غيرها بعد ويجب أن لاتحذره أنت من ذلك ، ثم افرض ثانيا أن طفلك يجري أمامك فأسرع فى جريه حتي وقع فتهب جاريا نحوه بفزع وخوف يرعب الطفل حتي يزداد بكاء وأنينا ولو أنك تجالدت قليلا وظللت حيثما كنت ترقبه ربما لا يبكى ويقوم ضاحكا وكثيرا مارأيت أمهات فزعن لسقطة أولادهن سقطة بسيطة وقامت الأولاد ضاحكة لاعبة تود استئناف جريها الا ان الام تعترض تلك الارادة لتظهر بعض الحنان عليه ، أما ان كانت السقطة شديدة فيجب علي الام أو المربي الثبات ايضا والاستكانة فى مكانه أو لا بأس من الاقتراب منه حتي اذا رفع وجهه يجب أن يرى وجها باسما ضاحكا يزيل بمنظره أغلب الألم إن لم يكن كله وينقلب استهلال البكاء ضحكا ويجب أن يترك ليقوم بنفسه أو يؤمر بذلك في صيغة غير مباشرة ثم يلفت نظره الى ماآلت اليه حال ملابسه . وهكذا ، وغير ذلك يجب ان يشوق الى امر هو نتيجة حسنة لعمل من الاعمال أو يعرض له جائزة اذا حصل على أمر من الامور أو عمل شيء ويترك دون ان تقدم له مساعدات أو معاونات أو غير ذلك من الاعمال والافكار ، وخير الامور لتربية الارادة دفن

اليأس فلا تظهر للطفل وجه الأسف ولا تشعره بوجوده أبدا. ولا يأس ولا عجز ولا معاونة من الغير. بذا تتمكن من انشاء رجل قوى الارادة لا تقعد همته عن نوال ما يريد.

يذهب بعض المتهوسين الى أن التشبث وصلابة الرأي من قوة الارادة. والحقيقة غير ذلك فانما هي من الرذائل الممقوتة وهما لا يغلبان الا في شخص وهن الارادة لا يستطيع اخضاع نفسه للحق ومن عجزت ارادته عن رد فكره الى حظيرة الحق كانت ارادة أوهى من أن تنال فوزا ما على متاعب الحياة أو ادراك النجاح وغالبا ينشأ التشبث فى نفس الطفل اذا شعر أن نداءه سريع الاجابة وطلبه لا راد له وحاجته في أى وقت مقضية مهما كانت ولو تخطت المعقول خصوصا اذا شعر الطفل بان له من القوة ما يرغمك على تلبية طلبه. كأن طلب طفل من أمه ما رفضته فذهب يبكى بأجهر صوته ويصرخ ويلطم وربما القى نفسه أرضا وأخذ يضرب بيديه ورجليه ورأسه، كل هذه الامور تحصل من الطفل ليرغم امه أو أباه على أن يعطيه ما يريد وفى هذا الخطأ الفظيع إذالواجب أن يكون عمله هذا داعيا للرفض ألبات أي اذا كان الرفض الاول لأجل ما يكون بعد هذه المناورة أبعد أجلا حتي لا يسلم اليه به وهو فى هيجان غضبه كما انه لا يصح ضرب الطفل في هذه الحال وكفاه ما يشعر به من الالم النفسانى من مصادرة اهوائه. ويجب أن يشعر الطفل

بأن هنالك أشياء تصادر أمياله وشعوره ويجب التسليم بها كي يشب ومن السهل على نفسه الرضوخ لقيود الاجتماع والقانون

التربية المنزلية

التربية المنزلية عندي هي أهم أركان تربية المرء فهي التي كيفت غرائزه، وأنبتت رؤوس أوراقها بين ذرات ثرى الحياة ومما يؤسف له جد الاسف. ويذهب ببياض العين حرقة ان التربية المنزلية لدينا من أحط ما يكون. وفي أسفل الدركات لا يتولاها إلا الخدم والاتباع وهم أنفسهم احوج الى التربية من الطفل الصغير فيشب ذلك التعس ملوثا بما نقله عن خدمه وما جنوه عن اخلاقه مباشرة او بواسطة النقل والتقليد وامه وأبوه لكل أمريء منهم شأن يغنيه أما الخادمة فتذهب بسيدها كل يوم للحديقة ترجو لقاء فاسد يداعبها ومجرم يمازحها فلا تلبث أن تبرح الحديقة الى بيت عفن الرائحة قد تسبب للطفل التعس أمراضا أما إذا بقيت بالحديقة تركته مع رصيفة لها وخلت بجليسها يناجيها وتناجيه ثم اذا انتقل من رعاية الخادمة الى الخادم كان امر من الاولى أولا: لأن الولد قد غدا أحفظ لما يقع تحت حسه. ثانيا: لأن الخادم أقل حشمة واستتارا من الخادمة فيكون فيه الطور الثاني من الفساد وعند ما يأتي الدور المدرسي، يحضر له المعلم

المنزلي ليحضر له الدروس أولا بأول فيشب المسكين رغم سفالة أخلاقه لا يستطيع عمل شيء بنفسه ولا يعتمد على نفسه في أمر ما وهذا ما يخفف من شره قليلا خصوصا اذا صادف صلاح الوسط المحيط به أما اذا ساء وهو الغالب كان عبارة عن آلة يحركونه لمطامعهم ويسخرونه لأهوائهم وها هي الحوادث الجمة ما زالت تتناقلها الألسن. وعلى يد مثل هؤلاء الابناء يكون هدم بيوت الأسر وفناء ثروة الآباء

أما أبناء الطبقة المتوسطة فلا يكاد يبكي الرضيع حتى يلهم الثدي فيأخذه ظانا منه أن هذا يزيل ما به من ألم وقد يكون ألمه من كثرة الرضاع ولا تمنعه أمه حتى يرجع اللبن من فيه وترى ان الرضيع خصيم النظافة والماء لآراء سخيفة وأفكار عتيقة ، كما ان الام تكثر من حمله بين يديها حتى كأنه قد ربط فيها وتترك عمل البيت على كاهل الخادمة. أما كثرة حمل الطفل بين الذراعين وكثرة الرضاع فأمران يقضيان بالمرض وحينئذ تلجأ الامة للاستشارات الاهلية القاضية على الصحة الجيدة السليمة واكثر من ذلك أن يوكل حمل الطفل الى خادمة صغيرة قد لا تحسن هي اختراق الشوارع والطرقات ثم لا تحمله وحده بل تحمله في فراش وثياب تبلغ الطن وزنا فعلام كل هذا هل ستنسفه الرياح أم سيأكله النسيم ولم هذا الفراش ، هل تعجز الخادمة عن حمله وحده بانتباه وتحمله ووزنه

مثلين! أن هذا غريب! دعونا من كل هذا ولنفرض أنه قارب الفطام وأصبح يدهده ويتمتم تري أمه تحاول تلقينه كلمات محرفة قد لا يدرك الكبير مرماها زد على ما يفرط منها في مراقبته من اتباع التقاليد العتيقة. ولا يبدأ القول إلا بـ : مـمـه ، تس ، أبس ، أمبـوه! فاذا درج بعـد ذلك قليلا جعلـه حجة لنوال ماتريد من زوجها فتعلم الولد دون ان تشعر اراقة ماء وجهه من كثرة السؤال بما توحى هي اليه به (بابه موزبابه قشطه) وغير ذلك حتي اذا لعب قيدته بفكرها فى الهابه ومنعته عما يريد وعاونته فى كل مايعجز عنه رائدها حنانها لاتعرف ما هى التربية يسرها أن يأكل أكثر مما تأكل ولا تعلم أنها تقتله بذلك ثم تقوم عنه بكل عمل من ضروري جدا وغيره حتي تري انه يعجز عن لبس جلبابه وحده وقد بلغ العشرة أعوام وهكذا يخرج الطفل من بين يدها وهو لا كما ولدته نقيا بل قويت فى نفسه الاميال الفاسدة الشريرة حتي تري أنه والحمد لله خلو من أي سجية ولا يكاد يملك محمدة واحدة أو غريزة طيبة فتعلمـه الكذب والرياء والانكار والشراهة وربما تعلمه بسوء تصرفها نوع من السرقة وتضرب عنها صفحا ثم تستر عن أبيه مساوىء أعماله فيزداد لها أتباعا وتزداد لها كتمانا حتي تقوي نفسه الشريرة ولا تجد من مراقبة والديه زاجرا وقد زالت من نفسه هيبة أمه وسترت هذه عيوبه عن أبيه. ثم يذهب الى المدرسة وهو مستعد لكل نقيصة عصي القبول للفضائل الحقة ، ولو أننا

تركنا أعمال الوالدين لتربية ولدهما ظهريا ، نرى أنهما لا يراعيان له كرامة ما حتي قد يغفلان أمر وجوده اعتمادا علي صغره وعدم إدراكه وقد فاتهم أن الطفل عبارة عن صورة مصغرة لأعمال والديه فتراه يقلد جميع حركاتهما في ألعابه حتي أني كثيرا ما أقف على داخلية الأم وحركاتها وأميالها لمجرد مراقبة بنتها الصغيرة وهي تلعب ، فانظر اليها تراها تقوم بجميع حركات أمها تقريبا وتقلدها في صوتها ومشيها وانفعالها وغير ذلك وقد صادف أن رأيت طفلة تلعب عرفت منها كل صفات وأعمال أمها فلما تحدثت بذلك ظن السامعون العارفون لها اني خالطت تلك السيدة طويلا ويعلم الله خلافه ، أما ذهبوا إليه إنما قد أبصرت صورتها مصورة في حركات بنتها وكذا الأولاد بأعمال آبائهم لأن كل جنس يميل الى التشبه بجنسه ، فالرجل العاقل والمرأة الرشيد هما اللذان لا يظهران امام عين طفلهما الا في أكمل صورة واسمى حلة من الاخلاق الطيبة كيما تكون له مثلا عاليا وقدوة صالحة تثبت بنفسه حميد الخلال بتوالي التكرار ، وهذا مما لا شك فيه خير درس يتلقاه الولد عن والديه من غير أن يكلفاه في ذلك اجهادا يسيرا إذ الطفل دائما يتطلع الى من هو اكبر منه سنا بنظر الآمل الى معاقد أمله ، فالكبير عبارة عن مثل لما سيؤول اليه شخصه في المستقبل ولذلك يقلد ما يراه من أعمالهم سريعا معدا نفسه للمستقبل ، وكم من ولد بات وهو لا يستطيع مهما أوتي من العلم في حياته الخلاص مما مني به في نفسه من جراء أغلاط

والديه وجهلهم خصوصا وأن للخرافة البالية اكبر أثر فى حياتنا العائلية حتي أن كثيرا من الأعمال المنزلية تسير طبقا للنواميس الخرافية بكل دقة فتزرع بنفس الطفل من الاوهام مايفت فى عزيمته ويشب متأثرا بالخرافة خاضعا لسلطانها ، لها على نفسه صولة ونفوذ ، والرجل العاقل يتقي فكر ولده من الاوهام والضلالات لايكون هو أول محدثه بها كما سمعت والد ينصح إبنه فيقول وقد فرغا من الطعام ؟ يقال ياولدي أن النبي صلي الله عليه وسلم قال — إن من اكل فتات طعامه وبقاياه عوفى من جميع الامراض وتحصن من الجزام وجزاه الله بكل فتاة حسنة — والله يعلم أن نبينا أرفع من أن يقول ماليس في الدين من شيء وهو أحكم آل الارض طرا . وسمعت أبا يحدث بنيه عن كنوز الأرض وهواتف الرزق وخاتم سليمان وغير ذلك من أمور تشغل الفكر وتفسده . وشر ما رزئنا به من الخرافة الحمقاء الجري وراء المنجمين ومدعي الولاية ثم الزار وهذه الامور يطول عنها الحديث أما المنجمين فلاأدري ماالذي أسكت القوة الحاكمة عن تطهير البلاد منهم وهم يستعملون سلطانهم على البسطاء لارتكاب أفظع الآثام وليس بعد قول النبي في حقهم : كذب المنجمون ولو صدقوا . منزعا لدخول أقل ذرة من الثقة بهم في قلب العاقل زد على أنهم في الحقيقة عبارة مراكز للفسق وبيوتهم بيوت للخنا والفجور وكل منجم قواد فاسد ، أما مدعى الولاية فليسوا بأقل من المنجمين خطرا فعملهم نصب واحتيال يغنالون الناس بتلك الطريقة الفارهة

لتأثيرها على عقول البسطاء فيتوصل أحدهم الى أغراضه الدنيئة دون خشية رقيب أو عتيب ولقد سمعت من الحوادث أن عبيطا كان يأوي بيت أحد الوجهاء وكان له ثلاثة بنات فاكان من العبيط إلى أن يسطو على عرض أجملهن وهي نائمة فافترعها وخشية العار شربت السم فماتت مأسوفا على شبابها وجمالها وطرد الولى فآوى منزلا آخر ويقال أن هذه الجريمة ليست الوحيدة منه وأمثاله ، فهؤلاء المدعين إذا رأيتهم لاتلقاهم إلا بضرب النعال فوق رؤوسهم وأفواههم أما الزار فسواء كان زورا أم حقا إلا أنني أراه اليوم علة الخراب وطريق المفاسد والفجور ولو أن هناك متسعا لاتينا بحوادث لاتدخل تحت حصر تثبت مساوىء الزار إلا أن قصاري القول فيه أن المرأة تتخذ الزار فى كثير من الاحايين وثيقا لها من غضب زوجها وسبيلا لتنفيذ ما آربها سواء كانت طيبة أو خبيثة ووسط الزار قد غدا وسطا موبوء بجراثيم الفسوق والضلال . والمرأة قوية الارادة محال أن تصاب بمرض الزار وفي الاستطاعة أماتة فكرة الزار من نسائنا بعدم موافقتنا عليها والأمر له عندى بحث طويل ، فمن طهر بيته وحصن أولاده من هذه الامور الثلاثة نفعهم خير نفع يحفظونه له فى قلوبهم مادامو ا بنعمة الحياة متمتعين

الشدة والتراخي

التراخي والشدة كلاهما مضر مفسد لايصلحان بتاتا للتربية الحسنة إذ التراخي مع الطفل الغر قاض بزوال هيبة الاب من نفس الولد وقد ينقلب ذلك الى تهاون بكرامته فيشب الطفل لايحترم أباه أو يأبه له وبذا لايري له زاجرا يرده الى حظيرة الرشد ويتبع هواه ويكون في أمره فرطا ، أما الشدة فتنفر الولد من أبيه وتنمو النفرة مع الايام حتي تستحيل يوما بغضاء ومقتا وعندها تتجسم أمام عيني الطفل هانات أبيه وعين السخط تبدي المساويا ولاشك أن الولد أقدر الناس معرفة بأسرار الرجل وأقرب اليه من حبل الوريد فهو عشيره وجليسه وما اكثر أغلاط المرء إذ فتحت العيون لرؤيتها دون الحسنات وسرعان مايبدو له احتقاره ويكون به من المستهزئين وتلك شر نتيجة تنبتها القسوة. من ذلك نرى أن كليهما قاض على الاخلاق الطيبة مفسد للطباع القويمة وقد لايدعو الى الأول سوى فرط محبة الابن وإعزاره إلا أنه مثل هذه المحبة تكون محبة وقتية عمياء لأن الاب المحب لبنيه هو من تطلع لهم برويته ونظره الذي ثقلته التجارب الي مستقبل يرضاه لهم فعمل معهم ومهد لهم الوصول اليه بكل حيلة وأسلوب . ويجب على الأب أن يحيط ولده بكل ما يعاونه على بلوغ ما يريد فيسعى لراحته

لا يضحيها فى سبيل راحته الشخصية وسلطة الأبوة لأن النفس لا ترضي أن تغصب ولكنها تمنح عن طيب خاطر فالعاقل من أجبر ولده على احترامه من جهة قلبه وحبه لا من سبيل فزعه ورعبه ، أما الذين يظلمون بلعبون بأطفالهم صغاراً وكأنهم سيظلون هكذا صغاراً فاذا شبوا أعرضوا عنهم لتأديبهم على ما يزعمون فهؤلاء قوم لا شك أنهم مخطئون فهل يظنون أن قد نسى الطفل هزلهم معه أم هناك سجف تسدل على عقول الاطفال فتنسيهم ما كانوا به يلعبون. والتراخي ثم الشدة كالبرودة ثم الحرارة أمور لو تعاقبت على الصخر لتفتت إنما خير الأمور الوسط لأنا كثيراً ما رأينا أن التراخى قد غدا إباحة لا يجني من ورائها إلا شراً وما كل فساد الأخلاق والجرائم والآفات إلا من ولائد التهاون والشدة وعدم تدقيق الآباء النظر فى صغائر الامور التي لا تعقب إلا جسيمها وإني محدثك بما يثبت لك سوء نتيجة التهاون والشدة : — كان للسيد محمد بنت وكان لجاره ولد وكلاهما صغير يلعبان سوياً وبمرور الزمن كبرا معا وذهبت الفتاة الى المدرسة وكذا الولد وكان ذكياً فكانت البنت تذاكر مع رفيقها وهل تصلح البنت أن تكون للولد فى درسه نجيا تألم الجار فمنع ولده عن لقائها وكان أمراً مقضيا وجعل الفتي يذاكر خارجا ولا يأتي داره الا بغسق من الليل فيحا فخررت اليه تعتب

عليه عتبا أخوياً ولم يك قلبه لنداها صفيا فخرجت ذات خميس إلى مدرسته ولم تعد الا عشيا فلما لم تجد زاجراً تابعت هواها جهلا وغيا وفهمت أم الفتي الامر جليا فأوحت به لأهلها عسي ان تمنع عن الخروج يوميا فاتخذت لها بفناء الدار مكتبا أرضيا تقضى به ليلها منفردة لا جليسا ولا وليا الا صاحبها الذى غدا فاسقا شقيا جني على كثير غيرها وهو للشيطان نجيا حتي اذا خطبت وكان خطيبها رجلا غنيا أبت الزواج رغبة فى العلم والأدب ظاهريا فكتبت وحررت فما كانت تجيد إلا كتابا غراميا وعرفت الكتاب والادباء وبات لأسمها بالصحف مكانا عليا الا أن مكانها من الشرف كان ممحيا فانتحر أبوها غرقا فراراً من العار وما أتي به إلا تهاونه وتراخيه ، أما الولد وقد سمح له أبوه أن يذاكر خارج البيت فاشتغل عن الدرس وكان خبيثاً وكان عتياً فلما آنس أبوه منه إهمال درسه رغب في تدارك الأمر بمنعه من المذاكرة خارج الدار فأبى إلا المذاكرة مع زميل ليكونا سويا فطاوعه أبوه وأحضر له سميراً ونجيا وحاول الوالد أن يشتد على ولده ويغلظ له القول ليجد . فكان بعنفه يمنعه عن متابعة دروسه ليفكر في وسيلة تخلصه من ربقة الذل والعبودية افتعاون مع زميله على خطة أضاعت كرامة الأب من عين أولاده جميعا وغدا في أسرته محتقرا زريا وكان كلما اشتد قوله كثر خروج

الولد عن حدود الادب حتي جابهه بالسب علنا وحينئذ خرج على أبيه واشتغل موظفا وسلك سلوك الموظفين حتي شاعت سمعته في النصب وحازت شهرته شهرة صاحبته وأن اتسعت بينها شقة البعاد وماذلك الا من غلطات غرسها في نفسه والده صغيرا وكبيرا ، فحقا على الوالد أن يحذر التراخي خصوصا مع البنت لانه يكسبها جرأة والمرأة الجريئة أولى بها ن تكون وقودا للسعير اذ تمكنها الجرأة من الاقدام على شتي المنكرات يساندها التراخي وليس لها والحمد لله من خلاق تدفع عنها تيار المفاسد لان آدابنا الشكلية لا أثر لها بالنفس لتزجرها عن أثم أو تنهاها عن منكر فعلى الوالد الحكيم أن يتخذ في تربية أبنائه السبيل الوسطي فلا تراخي ولا شدة

التربية البدنية

قال اسكندر دوماس الصغير مامعناه : لو أني كنت حاكم فرنسا ماكنت أسمح لطفل دون الثانية عشرة سنه من العمر أن يأتى المدن واحتم على الاطفال أن يعيشوا الى هذا السن في الهواء الطلق تحت حرارة الشمس فى الخلاء والغابات والحقول مع الكلاب والخيل والطبيعة المجردة التي تقوى أبدانهم وتحسن عقولهم وتمنحهم الروح الشعرية وتحرك بنفوسهم عوامل التطلع والادراك أكثر من درس جميع كتب أجرومية العالم . وفى سن الثانية عشره تقوي روح الطالب وتحد عقليته حتي يستطيع أن يهضم و بكل سهولة منهج التعليم بتابلية عظيمة فى مدة لاتتجاوز

الاربعة أو الخمسة أعوام الا أنه لسوء حظ الاطفال وحسن حظ فرنسا انى لست ملكا وكل ماأستطيع عمله هو أن أشير بالرأى وأمحض النصح فأقول : يجب أن تجعل التربية البدنية للطفل هى أول أدوار حياته .

واسكندر دوماس هذا كاتب فرنسي كبير ذائع الصيت في بلاده بل في انحاء العالم ولأقواله قيمة عالية في نفوس أهلها وهو أن لم يكن من كبار المربين وأساطين علماء التربية إلا أنه أصاب بقوله هذا مايصيبه أكبرهم علما وأوسعهم اطلاعا فان التربية ليست تلك الحركات النظامية التي تقوم بها الطلبة بين جدران المدارس كلا وأيم الله انما هي التمتع بالهواء الخالى من أدران الاوباء هذا الهواء الذي لاشك عند أى فرد فى أنه اكسير القوة والصحة وقد شاهدت ذلك كثيرا إذ بينما أنا قد أنهكني التعب وأضنانى التفكير فما هى الا جلسة لبرهة وجيزة على قمة المقطم تعيد الى نشاطي وتزيدنى قوة وحركة وصفاء في الذهن وقدرة علي مداومة التفكير . يعلم الله أنه ما استعصي على كتاب من الكتب فصحبته الى روض من الرياض فاذا به على هين ليس به صعوبة وزال ما كان به من تعقيد فاذا كان هذا مقدار تأثير الجو الصحو والهواء النقى علي من جاوز العشرين فلا ريب أن تأثيره على الطفل والصغير أقوي وأفعل وأشد فهناك الذهن الصافى والبالى الخالى والقلب الوادع والنفس المطمئنة فليس للحواس ماينغص عليها أن تسبح فى جنة نعيمها . ألم تر طفلا يلعب

في روض ألم تر أنه جميل وجميل جدا خفيف الروح حلو الحركات مع نشاطها وخفة روحه . ألم تر أنه يضحك لكل شيء للماء والاشجار والطير والازهار كلهم له أصدقاء أوفياء ألم تر ذلك الطفل الذي يجري وراء الغراب والغراب يلاعبه فيقفز من هنا الى هنا ولا يرضى ان يبتعد عنه . ان أبناء الطبيعة كلهم أخوات يميلون الى بعضهم بعضا ولا تفرقهم سوي الضغائن والاحقاد

وأن الجسم كممثل للانسان وخادم لنفسه وعقليته فلا شك أن مهمته شاقة وصعبة جدا فلو لم يكن من المتانة بمكان لخار تحت كلكلها وناء بحمله الصعب الثقيل فيجب أن تؤسس ذلك الصرح صرح البدن على دعائم من القوة والشدة والصلابة تعينه على تحمل أعمال الحياة وأعباء الاشغال وأثقال المعيشة . فان لبدنك عليك حق من الغذاء والشراب والهواء ولكل حاسة غذاء يجب أن لاتحرم منه ، غير أني أعجب كثيرا لقوم يبحثون عن أشهى الاطعمة دائما ولم أرهم يوما يطلبون هواء نقيا مع أن الهواء للبدن ألزم من الطعام والشراب حتي يستطيع الفرد الصيام عنهما أياما ولكنه لا يستطيع الصيام عن الهواء دقائق معدودات ولو أقدم على ذلك دفع فيه ثمنا غاليا هو حياته نفسها أما باقي الحواس كالنظر والسمع . وشبه المناظر الجميلة والنغمات الشجية بفواكه لهما وانظر هل الفواكه من ثمرة

للبدن فبذلك نستطيع تقدير مايجب للسمع والابصار من الرعاية والمحافظة ذلك بعد أن فرضنا اهتمام الفرد بهما وتقدير فوائدهما المباشرة في الحياة

التربية المدرسية

أن التربية المدرسية هي التربية العلمية ولا أكاد أقول أن لها مساس بأصلاح الاخلاق لانه ليس هناك في برامج التعليم ما يشعر اهتماما بالاخلاق ويظهر أن ذلك موكل الى نفس المعلمين الذين يعلمون أن العلم لايحل إلا حيثما كانت الاخلاق الفاضلة ولكن نظرة واحدة الى مدارسنا تجعل الانسان يذوب حسرة وأسفا إذ أني أكاد أجزم بأنه لايوجد بين المعلمين ٤ فى المائة يشعرون بمسئولية المعلم وأنا لاأعرف العلة في ذلك فمنهم من يدعى أن نظامات الوزارة هي التي قضت بذلك ومن الناس من يرى أن ذلك لجهل المعلم نفسه . فاذا كان المعلم لايعلم قيمة مركزه سواء تعالى عنه أو نزل أتى في كلتا الحالين ضررا على الذين بين يديه وليكون لهذا القول نصيب من الثقة فى نفوس قارئيه سأصف بعض حركات المعلمين التي يغلب أن رآها كل من جاز دور الدراسة :

هناك معلمون يغالون فى شدتهم زعما أن الشدة أكبر مساعد على أن يعى الطالب الدرس فتراه يقف في الفصل كالجلاد قد أمسك عصا

طويلة يقطع أصابع الاولاد وقد استعمل بعضهم (المؤشر) في ذلك عندما منعت وزارة المعارف الضرب وهؤلاء الغلاة في الشدة لاشك أنهم جهلوا سبيل العلم لأنه لايكون حشوا دكا بل هو شرحا وفهما

ومنهم من يقف بين تلاميذه كالغانية بين عشاقها بدلال وتيه فلا يرضي لنفسه اجهادا حتي لايفسد هندامه أما كلامه فلا يلاحظ فيه قواعد الكلام بل قواعد (الجنتلمانية) مع مراعاة الدوكة والسيكة

ومنهم من يقف بين تلاميذه بانفة وكبرياء فكأنما أشرف النمروذ على حثالة قومه ولربما فيهم وبينهم من هو أعظم منه ذكاء، يشمخ عليهم بعلمه ولا يرضي منهم بؤلا واذا أجاب فبكل عظمة وان سأل كان بكل احتقار وحضرته يري أن عقله العظيم لايناسب عقولهم وهو لسمة علمه يرى ان الكتاب واضحا فلايكلف نفسه عناء الشرح مادام هو يفهم ذلك الكتاب والله يعلم أنه مافهمه الا فهما (ميكانيكيا) وياللاطامة الكبري عندما يتمسك طالب بحقه في السؤال عما لايفهم فلقد زالت العقول وعدمت الافهام وجاءت البغال تدعى الاحلام حتي قام ذلك الطالب المسكين يطلب من معلمه توضيحا لما لا يفهم ،فلقد كان المعلم يستشهد على صحة قوله ببدهية بلا يفير فقام طالب يسأل عما هى بدهية بلايفير هذه فاحتد عليه الاستاذ وجعل يرميه بقوارص الشتائم والسباب الا أن الطالب بعد أن أشبعه

المعلم سبا رجاه ثانيا أن يوضح له ماجهل من أمر بدهية بلايفير فقال المعلم اذا احتاجت البدهيات الى شرح قل على العقل السلام. قال الطالب إني ياسيدى لم أسمع ببدهية بلايفير فلا أعرف منطوقها فسأل الطلبة ان يذكر أحدهم منطوق هذه البدهية فلم يوجد بينهم من يذكرها فما تجلى ذلك حتي احمرت أذن المعلم من الخجل لان الواجب عليه أن يقول لهم مالا يعرفون ثم بان جهل الاستاذ الفاضل بنفس البدهية وهنا كشف له الطالب (الغبي) سابقا عن خطأ في ذكر هذه البدهية وبعد قليل من المداولة بين الطالب (الغبي) سابقا ومعلمه المتكبر رجع الاستاذ الي استئناف أقواله وهو خجل من انهزامه أمام طالب له . ولو كنت مكانه ماعراني شيء من الخجل اذ ليس من العار أن يغفل الانسان عن ذكر ماعلم ولكن العار كل العار الادعاء لعلم مالم يعلم . فهذا عين الجهل والغرور . ولقد قال ابن المقفع من العلم أن تعلم انك لاتعلم مالا تعلم .

هذا وكثير من الاساتذة لايفهمون روح تلاميذهم وعقليتهم فيتعالون فى القول ظانين منهم وزعما أنهم كلما أغمضوا المعاني على تلاميذهم ظن التلاميذ فيهم العلم وما يفيد هذا التلميذ وقد أتي المدرسة ليتعلم لاليري انعلماء! مثل هؤلاء أن يكلف معلم تلاميذ السنة الثالثة الابتدائية كتابة موضوع انشائى عن بيت من الشعر قد لايدرك معناه طلبة الشهادة الثانوية قسم ثانى وهو

شمال المال تقصر عن يميني ويمنى المجد تقصر عن شمالي

اللهم ان اصطياد معني هذا البيت وما قصده منه قائله والذي لا تدل عليه الفاظه لاصراحة ولا تلويحا ففيه مافيه من أنواع البيان الصعب إدراكه على الكثيرين ممن أجازوا القسم الثانوى فكيف يدركه طالب السنة الثالثة الابتدائية ؟ ثم لنفرض أن حضرة الاستاذ قد قام لهم بشرحه فهل يظن وجود القوة الخيالية التي تدرك مرامى الشعراء حتي يتعمق الطالب فى فهم البيت فيكتب عنه ، ! لله ما أجهل حضرة الاستاذ وأشد غباوته حتي ظن في هذا مايفيد أمثال هؤلاء الصغار ، ان المعلم الحق هو من أدرك حقيقة روح ونفس تلاميذه فنزل اليهم لينهض بهم ويأخذ بنفوسهم فان المعني البليغ الذى يسترعى اعجاب عالم كبير يمر عليه الصغير مر الكرام وربما عابه ، فان لم يكن المعلم واقفا على مقدار عقول بنيه أخطأ تصوير افكاره لهم فضلهم ولم يزدهم الا جهلا ، اما تلك الطبقة التي تزعم أن التعمق والمغالاة يجب أن تكون دائما حتي يظن السامع في سامعه العلم والفلسفة فقد فاتهم أن تمام العلم يمكن صاحبه من مخاطبة كل فرد على قدر عقله وادراكه ولنا من النبي الكريم وصحبه خير أسوة فكم عدل عليه الصلاة والسلام عن لهجة قريش الى لهجة القوم الذين يحدثونه ليكون أقرب الى قلوبهم وأملك لافهامهم بل نراه في مختلف الاحاديث قد أليس كل قول حال سامعه . ثم بعد هذا نري من الادعياء من يقول أن الرجل العلامة

قد أصبح لا يعرف من مبادىء علمه شيئا ولربما يعجز عن توضيحه ! قول يدعو الى العجب والسخرية اذ العالم اللغوى إن عجز أو نسى ماهو الاسم أو الفعل كان لايدري من اللغة شيئا والعالم الرياضى إن غاب عنه تكوين الخط المستقيم أنهار علمه من أساسه وعالم الاقتصاد إن لم يعرف أصول الشحن ضل في علمه والمشرع إن لم يفرق بين الجائز والواجب كان والجاهل سواء كما أن المعلم إن لم يلبس لكل فصل ثوبه حق عليه أن يكون من الجاهلين

أما من جهة أخلاقهم فاسمع أحدثك وإن كنت لن أعدد لهم من مثالبهم شيئا . بل سأصف بعض حركاتهم : إذ يدخل المعلم الفصل وفي نفسه أثر من مشاجرة قامت أمس بينه وبين زوجه أو بينه وبين فردمن الناس . فتراه يرعد ويزبد ويهدر ويزمجر بل يقضى الحصة فى ترديد سباب ولعنات يكيلها للبلد ومن فيها وهو وتلاميذه منهم فتتألم الطلبةمن تلك الالفاظ التي تأنفها الاسماع ثم ينعى التربية وله مايقرب من العشرين عاما يشتغل بمهنة التعليم فأين ما تره . بل هو لايخجل أن يقوم بتمثيل دور من السفاهة قد لا يصدر من أسفل الناس خلقا

وهناك في مدارسنا الاولية : (والتعليم الاولي كما لايخفى على أحد هو أساس التعليم والتربية دون أقل ريب . فيجب أن تكون مدارسه عبارة عن معاهد أخلاقية بحتة قبل أن تكون مدارسنا لتلقين مبادىء

القراءة والكتابة فانما حياة العلم بالاخلاق والادب) يقوم بالتدريس بها فتية وشباب هم أحوج الى التعليم من الطفل الصغير ولم يحصل لهم نصيب ضئيل من التعليم حتي أسرعت وزارة معارفنا بمنحهم اجازة التعليم وأنا أرى انهم لا يعرفون شيئا حتى يقوموا بمهمتهم العظيمة على الوجه المفيد ولذا تري أن الاطفال الابرياء تدخل تلك المدارس طاهرة نقيه فتخلع بها كل السجايا وينقلون عن معلميهم أخلاقهم وسفالتهم وأولئك لجهالتهم لا يعلمون وقد حدثني صديق لي أنه سمع معلمين من معلمي المدارس الاوليه يمزحان في فناء المدرسة وبين الاولاد بصوت عال بالفاظ وكلمات بذيئة يستحى من النطق بها من كان أحط أسافل الرعاع . كما أنني أعرف بعضا من المشتغلين بهذه المهنة ! تراني أعاف الاحتكاك بواحد منهم ولا أرتضي لنفسي محادثة فرد فيهم الا إن اتخذت لى الحمار جليسا لسفالة أخلاقهم وفساد أحلامهم

ولما كان اغلبهم يافعين تراهم لا يشعرون بحنان الابوة أو قيمة محبة الولد فى قلب أبويه فيعاملون الاولاد بخشونة وقسوة بدون تمييز ولكنهم غير ملومين وحدهم مادامت الوزارة (وزارة المعارف) قد رضيتهم معلمين بها ونصبتهم على افلاذ أكبادنا مهذبين وما درسوا من العلم شيئا فمن المكاتب الاولية أميرية أو أهلية الى مدرسة المعلمين ألى المهنة ! مهنة التدريس نعم مهنة التعليم ، تعليم أطفالنا ، أولادنا ، رجال الغد ! ! ! وكان الواجب أن

يكون معلمو المدارس الأولية من أقدر رجال علم النفس والأخلاق ذوي الخلق الطيب والتجارب الكثيرة كما يحسن أن يكونوا دائما من الآباء الذين شعروا بمسئولية الأبوة وحنانها

أما مدارس البنات وأكثرها عندنا أولية فلا ترضي حالها ولا حال معلماتها أنفسهن وأخلاقهن وعقليتهن يكفى أن تسأل كل شاب عن أمرهن فينبيك وإن كان لا يحدثك إلا سرا ، تلك حقيقة والحقيقة مرة ولا يزيدها الاخفاء إلا حنزاوأظن من أكبر دواعى سوء حالهن نظام وزارة المعارف الذي صاغته يد أجنبية لا ترجو نفعا أو تبغى إصلاحا ، وقد نادي كثيرون بوجوب إصلاح الحال دون مصغ أو سميع . فمن دواعى صغر عقليتهن صغر مدة الدراسة التي تنتج قلة المعلومات فتكون احداهن معلمة وهى جاهلة بأبسط المبادىء الأولية ؛ فانني أذكر عام أن كنت بالسنة الثانية الابتدائية وصعب على فهم مسألة حسابيه من مقرر السنه المذكورة وكان لنا جارة معلمة فذهبت إليها رجاء أن توضح لى ما غمض على فى المسألة وياللاسف وجدتها أجهل مني (يومذاك) وكنت إذذاك تلميذ وسط فاذا كان المعلمات بهذا الشكل المزري فهل من شك فيما تصبح عليه تلميذاتهن من الجهل والغباوة وقد بات ذا أمرا محسوسا ، ومن فساد عقليتهن جهلهن لمركزهن حتي يسئن التصرف به أمام تلميذاتهن ، وتلقى إحداهن الالفاظ جذافا دون تقدير أو حساب فتبدر منها عبارة قد تكون

بذرة للشر فى نفوس بناتها ! مثل ذلك ماسمعته من أن معلمة بمدرسة راقية كلفت تلميذاتها برسم صعب فلما شكون اليها صعوبته قالت : إنها لاتحتم أن ترسمه التلميذة بيدها ويكفيها أن تراه في الكراسة سواء لديها كان عمل التلميذة أو أخيها أو أحد أقاربها أو شخص آخر ؟ ! ؟ !

يعني : لا بأس من أن تجتهد كل تلميذة من تلميذات حضرة المعلمة الرشيدة فى معرفة من يقوم لها برسم ماتكلفها به حضرة أستاذتها ! ! ! أف لك أيتها المعلمة ،وويل لك يامصر من أمثالها .

وقس على ذلك من كل من لا تعرف من التدريس أو التعليم سوى قراءة الدرس وتمضية الحصة بأى شكل ،ولا ميزان عندها للالفاظ أو الحركات حتي ترى أن حركاتها لافارق بينها وبين حركات الجاهلة العاميه ، لأن نصيبها من التعليم كما أسلفنا قصير لم يقو على أزالة أدران الخرافة والاوهام الاهلية

أما النقص الاخلاقى فيهن فبشع معيب ، ويرجع أغلبه الي نظام الوزارة المقيت ، فالوزارة تحتم على كل من تقوم بمهنة التعليم ان لاتكون في عصمة بعل ! ! ! لم ؟ ! وما الداعى لغيرة الوزارة من بعولة المعلمات ؟ ! وهل هذا له مساس بالتعليم ؟

أن الوزارة لاتخشى من زواج المعلمات الا طور الحمل والرضاع وهذا عذر لايبرر هذا الامر أو القانون ان جاز لنا أن نسمي ما يخالف سنة الاجتماع بقانون لان من المحال على أى فتاة أن تتبتل فى سبيل خدمة

التعليم الشاقة فتحرم نفسها من التمتع بالحياة . كما أنه من الغريب أن يكون عمل التعليم قاض على الفتاة أن تحرم من الحياة العائلية التي خلقت لها . نعم عجيب جداً أن لا تتفق ـ في نظر الوزارة ـ الامومة والتعليم . لقد كان هذا القانون داع الى امتناع كثيرات من الحائزات على الكفايات والمقدرة من العمل بهذه المهنة وباءت تلك المهنة بعد ذلك وقفا علي من يضطرهن اليها طمع أو فقر أو غرور حتي تري أن أغلب المعلمات اللائى يقبلن العمل فى خدمة التعليم مضطرات الى ذلك بفقرهن أو حاجتهن الى عائل يكفل أمرهن . فهن لذلك داعمات التطلع الي الزواج وسرعان ما ينبذن المهنة ظهريا فى سبيله . وبهذا العمل تخسر الوزارة المعلمات اللائي تمرن أولا بأول ولهذا تقل عندها منهن الكفاآت . زد على انهن لا يحصلن على اجازة التعليم الا وقد أعصرت الواحدة منهن أو قد دنى اعصارها فتبدأ عملها وهى تفكر فيمن سينتشلها من شقاء التدريس (كما يقلن) وان فى هذا التطلع لنقصيا أخلاقيا تبعا لنقص نفسي أثارته عوامل داخلية : أما اللواتى يرجعن الى وظيفة التدريس بعد طلاقهن فهن فى غالب الظروف يظهرن من السفالة والانحطاط ما تسود منه وجه الارض فمن المحال للمرأة أن تحصن بلا رجل مع الاحتكاك

فلو فكرت وزارة المعارف فى السماح للمعلمات بالزواج (١) لأحصنت فروجهن وودعت نفوسهن واستجمت قلوبهن (٢) فتحصل بذلك على

معلمات ماهرات متمدربات يفدن البلاد أكبر فائدة بأخراج أمهات مثقفات مدبرات عاقلات . وما تلك الا غاية التعليم الحقة وما أظن أن مسألة الحمل والرضاع بعويصة الحل ان رغبت الوزارة فى الفائدة العظيمة آنفة الذكر فتقرر منح الحامل اجازة قدرها ثلاثة أشهر أو أربعة تبتدىء من الشهر السادس على أن تكون الثلاثة الشهور الاول بنصف مرتب والمعلمة الحق في مواصلة عملها ان آنست فى نفسها المقدرة على العمل وآدائه كالمعتاد . ولهذا يزاد عدد المعلمات احتياطيا .

وليس هناك من عار فى وقوف المعلمة تحمل ولدها أمام تلميذاتها بل في ذلك لهن نعم المثل والاسوة ولكن يجب على الوزارة أن تعد خادمات لحمل أولاد المعلمات في أوقات دروسهن أن وجدن في صحبتهم ما يمنعهن عن القاء الدرس تماما ، وتكون الخادمات لمدد مؤقتة طبعا حتى يبلغ الطفل سن روضة الاطفال فيحول اليها بنصف مصروفات أو يحسن بالوزارة إنشاء روضة خاصة بأولاد المعلمات والموضوع إذا درس بتمعن تجلت ثماره الأخلاقية والادبية العامة من اصلاح أهم عنصر له أكبر أثر فى الحياة الاجتماعية

الخاتمة

تكلمنا فيما سبق عن بعض عيوب التربية والتعلم بين ظهرانينا فى كل ما كان له مساس بموضوع الكتاب وبعد أن ثبت لنا من درج سطوره أن التربية هي أساس أعمال المرء سواء من خير وشر، والتربية من أكبر المباحث الادبية والنفسية والاخلاقية والاجتماعية يحتاج الباحث فيها ألى الاسهاب فى هذه العلوم ولهذا فهى وحدها تستغرق من الباحث عدة مجلدات ، أما ما كتبناه فيها فقطرة تشفي الصدى ونهلة تروي العطش فمن وعظ وارشاد لتحذير وترغيب ومن مداعبة الاطفال لملاعبة الصغار لمناجاة الشباب ومن نقد الآباء واللوم الامهات لتعنيف المعلمين وتجريح المعلمات .

الحق ، هو قصدي الذي ابتغيته من سعيي ارتجيه . حتي انه يسرني ولا يخجلني أن أسمع كلمة النقد الخالصة لوجه الحق وابتغاء الصواب ولهذا جعلت عنواني الي آخر ديسمبر سنة ١٩٢٥ بشباك مكتب بريد القلعة بمصر لمن تكرم من القراء بابداء رأيه ؟

(تم)

القاهرة مايو سنة ١٩٢٥